د. مشعل عبد العزيز الفلاحي

نواخذ تربوية

على

أحاديث الأربعين النووية

دار القلم
دمشق

نواخذ تربوية

على

أحاديث الأربعين النووية

دار القلم
دمشق
أسّسها:
محمد علي دولة رحمه الله تعالى
سنة ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م

الطبعة الأولى
١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م

حقوق الطبع محفوظة

تُطلب جميع كتبنا من:
دار القلم - دمشق
هاتف: ٢٢٢٩١٧٧ فاكس: ٢٢٥٥٧٣٨ ص.ب: ٤٥٢٣
kalam-sy@hotmail.com
الدار الشامية - بيروت
هاتف: ٨٥٧٢٢٢ (٠١) فاكس: ٨٥٧٤٤٤ (٠١)
ص.ب: ١١٣/٦٥٠١
توزّع جميع كتبنا في السعودية عن طريق:
دار البشير - جدّة
٢١٤٦١ ص.ب: ٢٨٩٥ هاتف: ٦٦٥٧٦٢١ فاكس: ٦٦٠٨٩٠٤

نوافذ تربوية

على

أحاديث الأربعين النووية

د. مشعل عبد العزيز الفلاحي

دار القلم
دمشق

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، **وبعد:**

• فقد كتب الله تعالى لتراث النووي رحمه الله تعالى القبول، وعلى رأس هذا التراث وفي مقدمته كتابه «الأربعين النووية»، والذي يعد أصلاً في أول الطريق ولبنته الأولى لكل طالب علم.

وقد أحسن مؤلفه رحمه الله تعالى الاختيار، فاختار أصولاً نافعة لقارئها، ومربِّية له، وسالكة به إلى تمام الوعي والإدراك والفهم في شريعة الله تعالى.

ومَنْ ضَبَط هذا الأصل، وعني بحفظه وشرحه، وعرف معاني الأحاديث الواردة؛ فقد فقه شيئاً كبيراً من أصول الإسلام ومعانيه الكبار.

• وقد نحيتُ وجهاً غير مقصود عند الشُّرَّاح الذين كتبوا على أحاديث الأربعين؛ فقد تكلمت على لطائف هذه الأحاديث التربوية، **وسيجد القارئ بحول الله تعالى أثناء قراءته لهذا الكتاب مادة ثرية لبناء شخصيته بما يمكِّنه من فقه الحياة ورؤية الطريق بوضوح.**

والأصل الذي كتبت عليه هذه النوافذ أصل مبارك، وكاتبه مبارك، وقد وقعت نهايته في شـــهر رمضان وفي الســـحر منه بالذات، فلعل ذلك من فواتح القبول والتوفيق له، راجياً أن يجد من أوقات المصلحين ما يبعث فيه الحياة، والله ولي التوفيق.

د. مشعل عبد العزيز الفلاحي

المملكة العربية السعودية ـ محافظة القنفذة ـ حلي

Mashal001@hotmail.com

الحديث الأول

إنَّما الأعمالُ بالنِّيَّات

عن عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رضي الله عنه عَلَى المِنْبَرِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلى اللهِ ورسولِهِ؛ فهجرتُهُ إلى اللهِ ورسولِهِ، ومَنْ كانتْ هجرتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا؛ فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ**» رواه البخاري ومسلم.

- «**إنَّما**»: أداة حصر تثبت الحكم في المذكور وتنفيه عمَّا سواه، فهي تحصر ثواب الأعمال التي يقوم بها الإنسان على النية، **فما كان لله تعالى أثيب العامل عليه، وما كان لغيره حرم من ثوابه وأثره.**

- «**الأعمالُ**»: جمع عمل، وهي: **أعمال القلوب**؛ كالتوكل، والإنابة، والخشية، والرغبة ونحوها.. **وأعمال الجوارح**؛ كأقوال اللسان، وأعمال اليدين والرجلين وبقية الجوارح.

- «**بالنِّيَّاتِ**»: جمع نية، وهي القصد، وشرعاً: **العزم على فعل العبادة تقرُّباً إلى الله تبارك وتعالى.**

- «**إنَّما الأعمالُ بالنِّيَّاتِ وإنَّما لكلِّ امرئٍ ما نَوَى**»: أي: إن صحة

الأعمال وفسادها وقبولها وردها عند الله تعالى مردّه للنية، فلا يحصل للإنسان من عمله إلّا مانواه.

• **الهجرة**: الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام، **وإذا صلحت نية المهاجر وأراد بالهجرة ما عند الله تعالى، فـارّاً بدينه من الفتن؛ فقد أتى عملاً عظيماً عند الله تبارك وتعالى، وهي قرينة الجهاد في سبيل الله تعالى:** ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ ﴾ [الأنفال: ٧٢].

ولو مات في الطريق؛ عُدَّ من المهاجرين البالغين أمانيهم، قال تعالى: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ [النساء: ١٠٠].

• **تختلف هجرة الإنسان بحسب نيته**، فمن خرج مريداً ما عند الله تبارك وتعالـى أثيب على ذلك، ومن خرج راغبـاً في تجارة أو زواج أو مصلحة من المصالح فله ما ناله مـن الدنيا، وليس له من ثواب الهجرة شيء.

• **ما تزال الهجرة باقية لا تنقطع حتى قيام السـاعة**؛ لأن الأرض لن تخلو من ديار كفـر ومعارضين لديـن الله تعالى، وقد قـال النبي ﷺ: «**لَا تَنْقَطِعُ الْهِجْرَةُ حَتَّى تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ**».

• **تختلف الهجرة بحسـب البلد الذي يقيم فيه الإنسـان**: فإن كان يستطيع أن يظهر دينه، ولا يجد ما يمنعه من ذلك؛ فالهجرة مستحبة في حقه؛ لأن بقاء المسلم في أرض الكفر خطر ما لم يكن في بقائه مصلحة لدين الله تعالى من دعوة وجهاد وإصلاح، وقد رأينا من إخواننا المصلحين هناك من يكتب رسـالة، ويثير شـجوناً، ويدفع بآمال الأمة إلى أمانيها الكبار، وفي بقاء مثل هؤلاء مصالح لا تخفى على عاقل.

وإن كان لا يقوى على إظهار دينه، ويخشى عليه من الفتن والضياع؛ فالهجرة علـى مثله واجبة، وهذا ليس خاصّاً ببـلاد الكفر، وإنما يجري حتى في بـلاد الفسـق؛ إذا لم يأمن الإنسـان على دينـه، وكان عرضة للانحراف؛ وجب عليه الهجرة والنجاة بدينه، وما لا فلا.

• **محل النية القلب، ولا يُنطق بها مطلقاً**، وليس في شريعة الله تعالى عمل يوجب إظهار نيتك فيه لا سرّاً، ولا جهراً، ولن تجد حرفاً واحداً عن نبيك ﷺ، ولا عن صحابته بشأن ذلك، والله تعالى يعلم ما في القلوب!.

وإذا تأملت حال الناطقين بالنية أدركت سوء ما يفعلون؛ فهم كالذين يخبرون الله تعالى بما يعملون، وكأنه لا يعرف ما يجري في قلوبهم حتى ينطقون به، والله المستعان!.

• **ولا يشوِّش عليك قول الملبي في حجه أو عمرته (لبيك اللَّهم حجاً أو لبيك اللَّهم عمرة)؛ فهذا ليس من إظهار النية في شيء، وإنما هو تعبُّد بإظهار شعيرة النسـك**، وفرق بين ملبٍّ يقول: لبيك اللهم عمرة، وآخر يقول: نويـت العمرة أو الحج؛ فـالأول متعبِّد لله تعالى بإظهار نسـكه، والثاني مظهر لنية النسك، وفرق بين الصورتين، فتنبه لا حرمك الله تعالى التوفيق.

• **لا يغرك صورة العمل التي تراها؛ فإنها مهما بلغت فهي وقف على نية صاحبها**، وكم من عمل جليل صغَّرته النية! وكم من عمل صغير عظمته النية! ومثلك أوعى لإدراك هذا المعنى قبل فوات حظوظ الآخرة من حياتك!.

• **ما قام هذا المعنى بقلب عاقل إلَّا زهد في أنظار المخلوقين**، وصار عنده مدح المادحين وثناء الشاكرين أو ذمهم سواء لا فرق، ما دام قصد ربه وتوجه إلى خالقه بصدق وإخلاص. وما يصنع المخلوقون لك؟! لو كانوا

يملكون شيئاً لأغاثوا أنفسهم؛ فما لك ولضياع عمرك في غير طريق؟!..

• **في زماننا صور من ضعف الإخلاص**: فهذا ترك العمل لأن الناس لا تثمّن جهود العاملين، وآخر تركه لأنهم تجاهلوه ولم يُكْرَمْ في الحفل النهائي، وثالث، ورابع، وعاشـــر.. ولو أدرك هؤلاء قبح هذا المعنى في حياتهم ما أتى على قلوبهم فضلاً أن يتكرر على ألسنتهم كل حين.

وإذا تخلَّف عاقل عن عمل لدين الله تعالى من أجل هذه الصور؛ فهو من الخاســرين، قال عبد الله بن المبارك رحمه الله: **رب عمــل صغير تعظِّمه النية، ورب عمل كبير تصغِّره النية.**

• **حب الثناء جبلة في الإنسان، وعلى العاقل أن يدافعه قدر استطاعته،** وأن يحذر غاية الحذر من تسلل نيته إلى غير مراد الله تعالى.

وقد قال سهل بن عبد الله التســتري: **ليس على النفس شيء أشق من الإخلاص؛ لأنه ليس لها فيه نصيب.**

وقال الفضيل بن عياض رحمه الله: إنما يريد الله تعالى منك نيتك.

وقال سفيان رحمه الله: ما عالجت شيئاً أشدَّ عليَّ من نيتي.

وهذا أنين الكبار والمصلحين وأصحاب الإخلاص؛ فما بالك بمن دونهم؟!..

• **إذا أردت أن تعــرف خطــر النية على العمــل؛ فتأمل حديث أبي هريرة رضي الله عنه في أول ثلاثة تسعَّر بهم نار جهنَّم،** أعاذنا الله تعالى وإياك:

ـ فالأول منهم: تعلَّم العلم وعلَّمه وقرأ القرآن، قال الله تعالى له يوم القيامة: كذبت، إنما تعلمت ليقــال عنك: **عالم**، وقد قيل، وقرأت القرآن ليقال: **قارئ**، وقد قيل!.

ـ **والمنفق** الذي أنفق ماله، فقال الله تعالى: كذبت، إنما أنفقت ليقال لك: **جواد**، وقد قيل!.

ـ **والمجاهد** الذي خـرج، فقال الله تعالى له: كذبـت، إنما جاهدت ليقال: جريء شجاع، وقد قيل! فسحبوا إلى نار جهنَّم!..

ولما بلغ معاوية رضي الله تعالى عنه هذا الحديث بكى رضي الله تعالى عنه حتى غشي عليه، فلما أفاق قال: صدق الله ورسـوله، قال الله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ۝ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٥ ـ ١٦]..

• **العمل لغير الله تعالى قـد يكون رياءً محضاً**؛ كمـن قام إلى عمل لا يريد به الله تعالى، وإنما يريد به مراءاة المخلوقين؛ فهذا العمل حابط من أصله لا يقبله الله تعالى، وصاحبه حقيق بمقت الله تعالى وسخطه.

وقد يكون العمل لله تعالى ويشاركه الرياء، فإن شاركه من أصله فهو باطل لا قيمة له، وإن كان أصل العمل لله تعالى ثم طرأت عليه نية الرياء فلا يضره، وعليه أن يدافعه قدر وسعه، فإن استرسل معه وأعجبه ولذَّ له بهذه الصور؛ فهو على خطر عظيم يخشى معه حبوط العمل وضياع أثره، والله المستعان!.

• **كم هم الذين يحجـون ويعتمرون؛ فيصوِّرون كل شـيء!** حتى لحظات صلاتهم وطوافهم ودعائهم وإقبالهم على الله تعالى، ولم يتركوا وسيلة إلَّا نشـروها فيها، وجهدوا في توسـيع رقعتها بين العالمين؛ **فما أبقوا لله تعالى؟!**..

وجملة من هؤلاء تبدأ قصتهم في هذا الشأن من أول خطوة، فيضعون في الحالات التـي يعرضونها من خلال أجهزتهم بداية السـفر، ومعالم

الطريق، ووجبات الطعام، وأحداث الحياة لحظة بلحظة حتى كأنك معهم في السيارة ذاتها حتى يعودون.

• **كان من فقه سلفك أن الواحد منهم يتخفَّى بعمله**، حتى إنه يغسل وجهه من أثر السهر ويكتحل حتى لا يرى فيقال: كان في طاعة! وبعضهم إذا سمع طارقاً أقبل على سجادته فطواها، ومصحفه فخبأه؛ محاولة منه في أن يبقى العمل لله تعالى لا شريك له فيه، فأين هذه الصور من واقع بات فيه كل شيء مكشوفاً؟! حتى أكفنا حين نرفعها للسماء نبعث بصورها للعالمين، كأنما نمتهن هذه العبادة ونتسوَّر محرابها الكبير!.

• **ومن فقه الإنسان وكمال وعيه: أن يدرك خطورة الرياء**، وينتبه لسوء أثره على عمله، ويجاهد قدر وسعه لتحصيل الإخلاص، على ألَّا تكون هذه الأحاديث التي تحذِّر من الرياء طريقاً لترك العمل، والتخلي عن عمارة الأرض والإصلاح، وقيام الإنسان بواجبه ودوره في الحياة، وما ضر الشيطان أن يظفر بأي الطريقين!.

• **قد يدهمك الرياء وحب الشهرة في بداية الطريق؛ فلا تتوقف لأجل ذلك**.. واصل طريقك وسل الله تعالى ملحّاً في دعائك أن يخلِّصك منه، ويجنبك آثاره، ويعينك على تجاوز حظوظ نفسك؛ فمن صدق مع الله تعالى في ذلك بلَّغه الله تعالى أمانيه، قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: **طلبنا العلم لغير الله فأبى أن يكون إلَّا لله**.

وهذه عقبة تعرض لكل إنسان في بداية الطريق، فتهيأ لها، واستعد لمواجهتها مع الأيام.

• ســتلقاك الجماهير في عرض الطريق مصفقة ومهنئة على نجاحك، وشاكرة على تميُّز مشروعك، ومباركة لك على بلوغك آمالك، فخذ من هذه المعاني ما يعينك، واعلم أنهم لا ينفعونك في شيء، **فما قَبِله الله تعالى أقبل بقلوب العالمين عليه، وما كرهه أدبر بقلوب العالمين عنه.** فاشكر ربك على فضله ومنته وإحسانه إليك، وتذكَّر أنه لولا الله لما كان لك من ذلك شيء.

• ماذا لو **أدرك المعلم** الذي يتردد على مدرسته أثر عمله وجهده في بناء دينه ومنهجه في الحياة! وماذا لــو **عرف الوالد** أن كل ما يجري منه على ولده صدقة وبرٌّ ومعروفٌ في الدارين! وماذا لو **صلحت نية الموظف** الذي يتردد على وظيفته كل صباح، وأنه على ثغر من ثغور المسلمين!..

• **حتى نومك إذا صلحت نيتك** وأردت به أن تُعان على قيام الليل، أو تقوم لصلاة الفجر، أو تأتي على مهمة إصلاح في باكر يومك؛ **ستجري ساعاتك كلها في ميزان الحسنات.**

وثوبك الذي تفصله وتدفع فيــه مئات الريالات؛ لو جرت عليه **النية الصالحة** لأسبغت عليه مباهج الحياة «**والله جميل يحب الجمال**».

وبيتك الذي تنفق فيــه آلاف الريالات، وتعتني به، ويذهب فيه جزء من عمرك؛ هو كذلك **بحاجة إلى نية صالحة**.. وقد زرتُ صاحب مشروع فوجدت جزءاً من بيته لصالح مشروعه في الحياة، ومن كان كذلك كان حقيقاً بالتوفيق.

• يجب أن تكون واعياً في زمن التواصل الاجتماعي؛ فإذا كان العمل مبهجاً ويشــجع على النجاح، ونية صاحبه من تصويره وعرضه إغاثة من حوله وتوسيع أثره، وتشــجيعهم للعمل؛ فلا حرج من ذلك، وهذه نوايا صالحة تمد في آثار صاحبها، **وإياك أن تصوِّر شيئاً أو تعرضه ولا حاجة لك به في مداد أثر القدوة، فإن ذلك ضياع لعملك وجهدك في الدارين.**

• الدعاة والمصلحون وحُمَّال الرايات في واقع الأمة يقدمون جهوداً ضخمة، وأعمالاً كبيرة، ومشاريع عظيمة، ويديرون شأن واقعهم بامتياز، وهم لا يأخذون مقابلاً، ولا يتقاضون حظّاً عاجلاً على كل ذلك، **وبمثل هذه النوايا تزدان الحياة، وتفيض على الأمة مباهج الأفراح.. وهكذا كان الرسل والأنبياء في التاريخ:** ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ [الأنعام: ٩٠]..

فالزموا مشاريعكم أيها الكبار، وناضلوا من أجل الأفكار الناهضة، ولا تدنوا للدنيا لتأخذوا منها شيئاً فتدنوا تلك الطموحات والأحلام يوماً ما.

إياكم أيها الكبار ومحقرات الهمم؛ فإن أطماع المال مهلكة، وفي حديث نبيكم قال ﷺ: «**ما ذئبانِ جائعانِ أُرْسِلَا في غَنَمٍ بأفْسَدَ لها مِنْ حِرْصِ المَرْءِ على المَالِ والشَّرَفِ لِدِينِه**».

• **التربية على الإخلاص ضرورة ملحَّة في منهج تأهيل الأجيال التي يُراد منها صناعة التاريخ،** وإذا قرأت سيرة نبيك ﷺ لا تكاد تقف على حديث واحد كان ﷺ يُمَنِّي أصحابه بشيء من لعاع الحياة العاجل، إلَّا ما يجري في ساحات الوغى!.

وإذا أردت معالم من ذلك التاريخ فتأمل قوله ﷺ: «**مَنَ جَهَّزَ جَيشَ العُسْرَةِ فَلهُ الجَنَّة**».

وقوله ﷺ: «**مَنْ يَضْمَنْ لي ما بَيْنَ لِحْيَيْهِ، وما بَيْنَ رِجْلَيْه؛ أَضْمَنْ له الجَنَةَ، ومَنْ بنى لله مَسْجِداً؛ بنى الله له بيتاً في الجَنَّةِ**».

• ولما كان هذا هو المنهج؛ جاءت الأسئلة مثرية لواقعه: أخبرني يا رسول الله بعمل يدخلني الجنة! دلني على عمل إذا عملته دخلت الجنة! وحين كانت الصور تلمِّع الريال وتتحدَّث عن الملايين؛ رأيت من

يبيع دينه بعرض من الدنيا! **فيا خيبة النفوس لِمَنْ عاجل هذه الحياة!..**

• **من مباهج الإخلاص وأثره: أنه يبلغ رسالة صاحبه بأيسر الطرق،** ويمد في أثره، ويجعل له قبولاً كبيراً في العالمين، ومثلك أعرف بأن الله تعالى إذا قبل شيئاً مدَّ له في القبول.

قيل ذات مرة لحمدون بن أحمد: ما بال كلام السلف أنفع من كلامنا؟ قال: لأنهم تكلموا لعز الإسلام ونجاة النفوس ورضا الرحمن، ونحن تكلمنا لعز النفوس وطلب الدنيا ورضا الخلق. اهـ. والله المستعان!.

• **من علامات الإخلاص: فن المبادرة، وصناعة الواقع، وإدارة دائرة الممكن،** وعدم انتظار توجيه من أحد، وتحمل أعباء الطريق وتكاليف الرحلة بوعي وإدراك.

ومن علاماته كذلك: ألَّا يتوقف صاحبه لمدح المخلوقين وثنائهم، أو عيبهم وانتقادهم، وإنما يمضي لا توقفه سوى مصلحة العمل وإرادة تقويمه وإصلاح واقعه.

ومن علاماته: ألَّا تجد في نفسك غروراً وكبراً لواقع العمل الذي تراه.

ومن علاماته: أنه كلما نجح تواضع وذل لربه، وأقبل عليه، وزاد رجاؤه ودعاؤه وعمله لربه تعالى.

ومن علاماته: ألَّا يدل بعمله على الله تعالى، فلا يرى أنه قدم شيئاً، ويعلم يقيناً أن التوفيق كله من عند الله تعالى.

• **وإذا رأيته حريصاً على التكريم، ويشتاق إلى مدح مشروعه والثناء عليه، وقد يتوقف عند حدوث نقص في ذلك؛ فهذه من علامات الخسران،** ومثل هذا لو استبقى جهد جسده خير له من ضياع عمره للمخلوقين.

ومن صور ذلك: عملي أحسن من عملك، وجهدي أثمن من جهدك، ومشروعي أهم من مشروعك، وجماعتي وحزبي أكثر تنظيماً من حزبك وجماعتك.. **وعلى مثل هذه النقائص تموت مساحات الإخلاص!.**

• **وإذا أردت أن تعرف خطر النية فتأمل هذا الحديث:** عَنْ سَهْلٍ، قَالَ: التَقَى النَّبِيُّ ﷺ وَالمُشْرِكُونَ فِي بَعْضِ مَغَازِيهِ، فَاقْتَتَلُوا، فَمَالَ كُلُّ قَوْمٍ إِلَى عَسْكَرِهِمْ، وَفِي المُسْلِمِينَ رَجُلٌ لَا يَدَعُ مِنَ المُشْرِكِينَ شَاذَّةً وَلَا فَاذَّةً إِلَّا اتَّبَعَهَا فَضَرَبَهَا بِسَيْفِهِ، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا أَجْزَأَ أَحَدٌ مَا أَجْزَأَ فُلَانٌ، فَقَالَ ﷺ: «**إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ**».

فَقَالُوا: أَيُّنَا مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، إِنْ كَانَ هَذَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ؟! فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ: لَأَتَّبِعَنَّهُ، فَإِذَا أَسْرَعَ وَأَبْطَأَ كُنْتُ مَعَهُ. حَتَّى جُرِحَ، فَاسْتَعْجَلَ المَوْتَ، فَوَضَعَ نِصَابَ سَيْفِهِ بِالأَرْضِ، وَذُبَابَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ، ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَيْهِ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَجَاءَ الرَّجُلُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ، فَقَالَ: «**وَمَا ذَاكَ؟**».

فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ: «**إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ، فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ، وَإِنَّهُ لَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ**».

فتأمل هذا المشؤوم وكيف أن خراب قلبه أودى به في الردى! وتأمل في المقابل **حديث ذلك الصالح الذي ألقى به الإخلاص في الجنان، وهو لم يسجد لله تعالى سجدة واحدة:**

عَنْ شَدَّادِ بْنِ الْهَادِ: أَنَّ رَجُلاً مِنَ الْأَعْرَابِ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَآمَنَ بِهِ وَاتَّبَعَهُ، ثُمَّ قَالَ: أُهَاجِرُ مَعَكَ. فَأَوْصَى بِهِ النَّبِيُّ ﷺ بَعْضَ أَصْحَابِهِ.

فَلَمَّا كَانَتْ غَزْوَةٌ غَنِمَ النَّبِيُّ ﷺ سَبْياً، فَقَسَمَ وَقَسَمَ لَهُ، فَأَعْطَى أَصْحَابَهُ

مَا قَسَمَ لَهُ، وَكَانَ يَرْعَى ظَهْرَهُمْ، فَلَمَّا جَاءَ دَفَعُوهُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: مَا هَذَا؟ قَالُوا: قِسْمٌ قَسَمَهُ لَكَ النَّبِيُّ ﷺ.

فَأَخَذَهُ فَجَاءَ بِهِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: مَا هَذَا؟ قَالَ: «**قَسَمْتُهُ لَكَ**» قَالَ: مَا عَلَى هَذَا اتَّبَعْتُكَ، وَلَكِنِّي اتَّبَعْتُكَ عَلَى أَنْ أُرْمَى إِلَى هَاهُنَا ـ وَأَشَارَ إِلَى حَلْقِهِ ـ بِسَهْمٍ، فَأَمُوتَ فَأَدْخُلَ الْجَنَّةَ. فَقَالَ: «**إِنْ تَصْدُقِ اللهَ يَصْدُقْكَ**».

فَلَبِثُوا قَلِيلاً ثُمَّ نَهَضُوا فِي قِتَالِ الْعَدُوِّ، فَأُتِيَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ يُحْمَلُ قَدْ أَصَابَهُ سَهْمٌ حَيْثُ أَشَارَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَهُوَ هُوَ؟**» قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «**صَدَقَ اللهَ فَصَدَقَهُ**».

ثُمَّ كَفَّنَهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي جُبَّةِ النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ قَدَّمَهُ فَصَلَّى عَلَيْهِ، فَكَانَ فِيمَا ظَهَرَ مِنْ صَلَاتِهِ: «**اللَّهُمَّ هَذَا عَبْدُكَ خَرَجَ مُهَاجِراً فِي سَبِيلِكَ، فَقُتِلَ شَهِيداً، أَنَا شَهِيدٌ عَلَى ذَلِكَ**».

• **النية عمل قلبي، ولا يجوز لمخلوق أن يحكم على آخر من خلال نيته**، ونحن في زمان بات يجرؤ كثيرون على الحكم على الآخرين من خلال نياتهم؛ أرادوا كذا، وفعلوا كذا، وهؤلاء من الجماعة الفلانية، والحزب الفلاني، ويقصدون هذا، ويريدون ذاك.. وفاتهم حديث أسامة رضي الله تعالى عنه، قَالَ: بَعَثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي سَرِيَّةٍ، فَصَبَّحْنَا الْحُرَقَاتِ مِنْ جُهَيْنَةَ، فَأَدْرَكْتُ رَجُلاً فَقَالَ: لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ. فَطَعَنْتُهُ، فَوَقَعَ فِي نَفْسِي مِنْ ذَلِكَ، فَذَكَرْتُهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَقَالَ: لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَقَتَلْتَهُ؟!**» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّمَا قَالَهَا خَوْفاً مِنَ السِّلَاحِ. قَالَ: «**أَفَلَا شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ حَتَّى تَعْلَمَ أَقَالَهَا أَمْ لَا؟**» فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا عَلَيَّ حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي أَسْلَمْتُ يَوْمَئِذٍ.

وفي رواية أبي داود: «**مَنْ لَكَ بِلَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟**».

وكم من خائض في نيات الناس يحتاج في يوم الحاجات إلى دلائل وبينات!..

• **النية تميِّز ما بين العبادات**؛ فهذا فرض، وهذا سُنَّة، وهذا واجب، وهذا مباح، **وتميِّز ما بين العادات والعبادات**؛ ففرق بين من يأكل شهوة في الطعام، ومن يأكل تقوياً على طاعة الله تعالى، ومن يغتسل تبرُّداً، ومن يغتسل عن جنابة.

• **النية تقلب الأعمال المباحة، وتحيلها إلى طاعات تجري في ميزان حسناتك يوم القيامة**؛ فمن أكل وشرب بنية التقوِّي على طاعة الله تعالى، كان ذلك قربة وأجراً، ومثله: من نام ليدرك صلاة الفجر أو ليقوم الليل، ومن نوى بتجارته كفَّ يده عن سؤال الناس، أو جامع أهله بنية إعفاف نفسه، أو حصول الولد الصالح، ونحو ذلك مما يحيل المباحات إلى طاعات وقربات! وكم من رابح في هذا المقام! وكم من غافل عن موارد التوفيق!..

• **حديث النية ميزان الأعمال الباطنة، ويمثل قاعدة كبرى في دين الله تعالى**، وكم من حكم شرعي يتوقف على نية الإنسان وما بينه وبين الله تعالى! ومن فقه معنى هذا الحديث أجراه على كثير من مسائل العلم لا يتوقف من ذلك في شيء.

الحديث الثاني

بيانُ الإسلامِ والإيمانِ والإحسانِ

عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الْإِسْلَامُ: أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلاً**».

قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ، يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ. قَالَ: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**».

قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ. قَالَ: «**أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**».

قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ. قَالَ: «**مَا الْمَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ**».

قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا. قَالَ: «**أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ**».

قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ، فَلَبِثْتُ مَلِيّاً، ثُمَّ قَالَ لِي: «**يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟**» قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «**فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ، أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ**» رواه مسلم.

۞ ۞ ۞

• **بيَّن هذا الحديث مراتب الدين**، وأنها على ثلاث: الإسلام، والإيمان، والإحسان، وأن الناس مختلفون في الدين بناء على اختلافهم في هذه الدرجات.

• **حرص الصحابة رضوان الله تعالى عليهم على صحبة رسول الله ﷺ**، والاستفادة منه قدر الإمكان، وفي الحديث: (بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ).. **وكذا طالب العلم ينبغي أن يكون شديد الحرص على مجالسة العلماء، والأخذ عنهم، والاستفادة منهم قدر الوسع، على ألَّا يكون في ذلك إضاعة لأوقات الكبار، أو التسوُّر عليهم في كل حين.**

• **حسن خلق العالم، وطالب العلم**، وأنه ينبغي أن يكون قريباً من الناس يسمع منهم، ويأخذون منه.

والدارس لحياة النبي ﷺ يقرأ فصولاً من التواصل مع كافة الشرائح التي كانت تعيش معه ﷺ تلك الحقبة حقيقة بالاقتداء.

• **أدب طالب العلم**، وأنه ينبغي أن يكون في صورة فائقة من الرقي والأخلاق (شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ).. وكذا من يعرف قدر العلم، ويجالس أهله؛ ينبغي أن يكون مثالاً في مثل هذه المعاني الكبار!.

إن حلق العلم حقيقة بالإجلال! ومن أقبل على مراتعها تنظَّف لها وتطيب، ولبس جميل ثيابه، وأقبل مشتاقاً إلى محاريبها.

• (فأسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ) أي: أن جبريل أسند ركبتيه إلى ركبتي النبي ﷺ، ووضع يديه على فخذي نفسه وليس على فخذي النبي ﷺ، **وهذا أدب في الطلب، ودرس في الإجلال، وتواضع ينم عن خلق الكبار!.**

فأين هذا من طالب يأتي متأخِّراً وعهده بدرسه الفائت لحظة خروجه، ولا يستقر على جلسة، وإنما يشغل معلمه بكثرة الحركة، والالتفات، ولا يترك داخلاً للحلقة إلَّا رمقه ببصره وأعطاه جزءاً من وقته، وكثيراً ما يعبث بجوَّاله، وإذا تأدب صمَّتَه ووضعه بالقرب منه يرمقه ويتابع رسائله! وكل هذا خلاف أدب الطلب، وما عالمٌ أزهد في طالبٍ كزهده فيما يراه في مثل هذه الصور!.

• قال جبريل عليه السلام: (أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ)، ولا حاجة له عليه السلام بالجواب، لكنه أراد تعليم صحابة رسول الله ﷺ، **وكم من طالبٍ فطن يسأل ليستبين، ويناقش ليوسِّع أثر الدرس على زملائه في حدود من الأدب**، وجوانب تستحق السؤال، ويختار لكل ذلك وقتاً مناسباً ونفساً منشرحة عند شيخه وعالمه، لا ذلك الذي يتسوَّر كل وقت، ويطرح كل سؤال دون مراعاة للحال والمآل.

• **ينبغي أن يُعنى طالب العلم بحقائق المعارف، والأشياء، وما تفضي إليه في النهاية، وثمرتها في الواقع، وتصوُّر المسألة، وتطبيقاتها، وأدلتها، ووجه الدلالة منها**، وإلَّا صارت المعارف التي يتلقَّاها ركاماً لا قيمة لها في واقعه، وكم اليوم ممَّن يسمع بالإسلام، ويدين به، وربما لم يعرف حدوده ومبانيه وآثاره في واقعه! ولذلك كان سؤال جبريل: (أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ).

• **الإسلام حقيقة وليس لفظاً يقال، أو قضية يُنتسب لها دون تطبيق، الإسلام هو الاستسلام لله تعالى بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله.** وكم ممَّن يدعي الإسلام لا يعرف من هذه الحقيقة شيئاً!.

ولذلك أبان النبي ﷺ هذا الركن: «**الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلاً**» هذه هي أركان الإسلام ومبانيه العظام، وفرق بين من يؤدِّيها صوراً وأشكالاً، ومن يستشعر معانيها فيقوم لها بالإجلال والتعظيم!.

• قسم النبي ﷺ الإسلام إلى أركان، الركن الأول: شهادة أنْ: لا إلٰه إلَّا الله، وأن محمداً رسول الله، وهي ركن واحد؛ لأن شهادة أنْ لا إلٰه إلَّا الله تستلزم الإخلاص، وشهادة أن محمداً رسول الله تستلزم الاتباع، **وكل عمل لا يُقبل حتى يكون خالصاً صواباً.**

• «**لا إلٰه إلَّا الله**» أي: لا معبود بحق إلَّا الله تعالى، وإنما قيل ذلك لأن ثمة معبودات كثيرة في الواقع، لكنها على غير حق، كما قال الله تعالى: ﴿فَمَآ أَغۡنَتۡ عَنۡهُمۡ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِي يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ﴾ [هود: ١٠١].

• **الشهادة باللسان تُدْخِل صاحِبَها الإسلام، وتعصم دمه وماله وعرضه، ويعامل صاحبها معاملة المسلمين في الدنيا،** كما قال النبي ﷺ في قصة أسامة حين طارد كافراً، ثم لما أدركه شهد أن لا إلٰه إلَّا الله، فقتله زيد، ولما سأله النبي ﷺ قال: إنما قالها تعوّذاً، فقال ﷺ: «**أقتلتَهُ بعدما قال: لا إلٰه إلَّا الله؟! أَفَلا شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ؟!**» لكنها لا تنفعه في الآخرة في شيء، كحال المنافقين، والعياذ بالله تعالى.

• **وشـــهادة أن محمداً رســـول الله تســـتلزم**: الإقرار بأن محمداً ﷺ رسول الله تعالى إلى الثقلين عامة، وأن رسالته خاتمة الرسالات وناسختها في الأرض، وليس بعده رســـول؛ قولاً واعتقاداً، والأخذ بسنته وشريعته وتمثلها والقيام بحقوقها كل حين.

• **لا يدخل الإنسان الإسلام إلَّا بالشهادة، والصلاة يُعَدُّ تاركها كافراً لا دين له**، وبقية الأركان كالزكاة، وصوم رمضان، والحج: أركان الإسلام ومبانيه العظام؛ إن تركها الإنســـان جاحداً فهو كافـــر، وإن تركها تهاوناً وكسلاً فلا يكفر على الصحيح، وأمره إلى الله تعالى.

• **أصل الإسلام يشمل فعل الأوامر، وترك المنهيات**، والنقص منه إن كان في ركن فقد يُفضي بالمســـلم خارج دائرة الإسلام، وإن كان النقص في غيرها نقص إسلامه بحسب درجة ذلك المنقوص.

• **الإيمان في اللغة: هو التصديق الجازم الذي لا يعتريه شك. وفي الشرع: قول باللســـان، واعتقاد بالقلب، وعمـــل بالجوارح، يزيـــد بالطاعة وينقص بالمعصية**، قال تعالـــى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥].

وقال ﷺ: «**الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ أَوْ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ بَاباً، أَفْضَلُهَا شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ**».

وقد رأيت أن إقرار أبي طالب الباطن بصدق رسول الله ﷺ واعترافه بذلك لم يدخله دين الله تعالى، وقد كان يردد:

ولقد علمتُ بأنَّ دينَ محمدٍ ... من خيرِ أديـــانِ البَرِيَّـــةِ دينا
لولا الملامةُ أو حذارُ مَسَـــبَّةٍ ... لرأيْتَني سَـــمْحاً بـــذاك مبينا

• عرَّف النبي ﷺ **الإيمان** بقوله: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**» وهذه هي أركان الإيمان الستة.

• **الإيمان بالله تعالى يتضمَّن الإيمان بربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته**، ولا يكون الإنسان مؤمناً إلَّا بتحقيق هذه الثلاثة:

ـ **الإيمان بربوبية الله تعالى**: بأنه المنفرد بالخلق والملك والتدبير، وهذا التوحيد متفق عليه بين طوائف الأرض، قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [العنكبوت: ٦١].

ـ **والإيمان بألوهية الله تعالى**: أي: أنه المستحق للعبادة وحده لا شريك له، وهذا الذي أُنزلت من أجله الكتب، وأرسلت من أجله الرسل، وهو محط الخلاف بين أمم الأرض ورسلهم، وهذا التوحيد يستلزم صرف كل أنواع العبادة لله تعالى وحده.

ـ **ثم توحيد الأسماء والصفات**: وهو تسمية الله تعالى بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، والخلاف في هذا التوحيد حدث في القرون المتأخرة.

• **الركن الثاني: الإيمان بالملائكة**: فنؤمن أنهم خلق الله تعالى، ونؤمن بأسماء من علمنا من أسمائهم، وأن لكل ملك عملاً؛ فمنهم الموكل بالوحي كجبريل، والموكل بالقَطْر كميكائيل، والموكل بالنفخ كإسرافيل، والموكلون بقبض أرواح بني آدم، والموكلون بسؤال الميت في قبره، وخازن للجنة، وخازن للنار.

• **الركن الثالث: الإيمان بالكتب**: فنؤمن أن الله تعالى أنزل كتباً على رسله، وهي من كلامه، كما قال تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ

﴿ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢١٣].

ونؤمن بما فيها من أحكام، ونؤمن بما علمنا من أسمائها؛ كالقرآن والتوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم وصحف موسى.

• **الركن الرابع: الإيمان بالرسل:** وهم كل من أوحى الله تعالى إليهم ببلاغ دينه إلى خلقه، وأولهم نوح، وآخرهم محمد ﷺ. ومنهم الأنبياء؛ وهم من أوحي إليهم بشرع ولم يؤمروا بتبليغه كآدم عليه السلام.

وأفضلهم محمد ﷺ كما قال ﷺ: «**أنا سيِّد ولد آدم ولا فخر**» وأَمَّهم في الصلاة في بيت المقدس ليلة الإسراء.

ثم **يليه في الفضل إبراهيم** عليه السلام وقد اتخذه الله تعالى خليلاً.

• **الركن الخامس: الإيمان باليوم الآخر:** أي: ما بعد الموت، وأن ثمة يوماً يبعث الله تعالى فيه الخلق ويحشرهم، كما قال ﷺ: «**يُحْشَرُ النَّاسُ يومَ القيامةِ حُفَاةً عُرَاةً**».

والإيمان بكل ما ورد في السُّنَّة من أحداث ذلك اليوم؛ كالحساب والعذاب، والشفاعة والحوض، والصراط والجنة والنار، والإيمان بنعيم القبر وعذابه.

• **الركن السادس: الإيمان بالقدر خيره وشره:** وهو ما قدَّره الله تعالى ممَّا كان وما يكون إلى أن تقوم الساعة، وأن القلم جرى بكل ما هو كائن إلى يوم القيامة، وكتب في اللوح المحفوظ فلا يقع شيء إلَّا بقدر، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩].

وقوله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: ٢٢].

وهو على أربع مراتب:

١ ـ الإيمان بعلم الله تعالى، وأن الله تعالى يعلم كل شيء، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٦].

٢ ـ وأن الله تعالى كتب في اللوح المحفوظ مقادير كل شيء إلى يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ١٢].

٣ ـ وأن ما حدث في الكون بمشيئته، قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩].

٤ ـ وأن الله تعالى خلق كل شيء، قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢].

• **الإحسان معنى كبير**، وقد عبَّر عنه النبي ﷺ بقوله: «**أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**».

ومتى ما قام هذا المعنى في قلب عبد تحقق له كل شيء! **وهذه هي مراقبة الله تعالى**، وهي التي قامت بقلب يوسف عليه السلام في زمن المحنة، وما حاجة عبد إلى شيء حاجته إلى هذا المعنى في زمن الفتن!..

لو قام هذا المعنى في قلب إنسان وهو يصلي، أو يصوم، أو يحج، أو يتصدق، أو يقوم بدوره ومسؤوليته في كل مكان، أو يخلو بربه في ظلمة، لكان حقيقاً بالفلاح في الدارين.

• **المقام الأول في الإحسان: أن تؤدي كل عبادة ومعاملة كأنك ترى الله تعالى وترقبه**، فإن تخلَّفت هذه المنزلة فلا أقل من أن يقوم في قلوبنا أن الله تعالى يرانا في كل صغير وكبير: «**أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**».

• لو قيل لبعضنا: المكان مراقب بالكمرات؛ لرأيت منا حساباً دقيقاً لكل تصرفاتنا، حتى إن بعضنا يتحرج من الحركة التي هي في أصلها حلال، ولكنه يراها خلاف الأدب؛ فكيف والله تعالى يرقبنا ويعرف تفاصيل حركاتنا ومبعث النيات في قلوبنا؟!.. «**أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**».

• (فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ) وهي: موعد قيام الناس من قبورهم للجزاء والحساب، قال: «**مَا المَسْؤولُ عنها بأعْلَمَ مِنَ السَّائلِ**» أي: إني لا أعلم منها شيئاً كما أنك لا تعلم منها شيئاً.

ثم سأله أن يخبره عن علاماتها، فقال له: «**أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ**».

ـ «**أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا**» أي: سيدتها، فيكثر التسرّي في آخر الزمان، فتكون البنت حرة تبعاً لأبيها، والأم أَمَة، فتكون البنت سيدة لأمها.

ـ «**وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ**» أي: ترى أهل البادية الفقراء المساكين رعاة الشاة والإبل، يتطاولون في البنيان، ويتباهون فيه كما هو في زماننا، والله المستعان!.

• (فأخْبِرْنِي عَنِ السَّاعةِ): **هذا سؤال العمل والتطبيق، وليس سؤالاً معرفيّاً محضاً** كالأسئلة التي تدار في مجالس كثيرين لا قيمة لها في العمل، ولا مجال لها في التطبيق؛ تأخذ من أوقاتنا، وتستقطع من أفكارنا، ولا قيمة لها في واقع الحياة.

تدار جملة كبيرة جدّاً من الأسئلة في الأنشطة التي تقام لأجيال المسلمين، وإذا سبرت هذه الأسئلة أدركت ذلك الضياع الذي يغشى

أفكارنا وأوقاتنا في كل مرة تدار فيها هذه الأسئلة: من مكتشف؟ من اخترع؟ من صنع؟ كم عدد؟ كلها أسئلة معرفية لا علاقة لها **بالأسئلة الثمينة؛ أسئلة (كيف؟ ومتى؟)**.

جملة من هذه الأسئلة لا ضابط لها ولا هدف منها، والمقصد منها تضييع أوقات أجيال الأمة في غير نافع ولا مفيد، **ولو وجَدَت هذه الأمة صاحب راية لأخرج لنا كنوز القرآن، وسيرة أعظم قائد ومصلح وأب وزوج وصديق في التاريخ، ولأثار عقول أبناء الأمة بشيء مرتب** يأتي منه كل حين على جزء حتى تكتمل الصورة النهائية لدى هذه الأجيال، بدل أن تذهب أوقاتهم سدى في أسئلة لا علاقة لها بالحياة في شيء.

• (فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ): على الكبار وصنَّاع الحياة وحمَّال الرايات ومن يتولى تربية الأجيال في أي موقع أن يعتنوا بأسئلتهم التي يطرحونها، **وأن يكون هدفهم التربية والتأهيل**؛ لا تلك الأسئلة التي تخلق تشظِّياً في عقولهم ولا تصل بهم إلى مقصود.

وهي رسالة كذلك للمؤسسات التي تُعنى بهذه القضية، والأفراد الذين يجهدون في مشاريع التأهيل، والمؤسسات الخيرية التي تتولى شأناً في هذا الباب: أن تُعد لهذه اللقاءات برامج ومسابقات تليق بأوقاتهم، وتستثمر في معرفة الوحي بطريق مرتبة ومنظمة ومتسلسلة؛ **لأن حاجة الأمة إلى صناعة الفكرة وصناعة تطبيقات وممارسات ممكنة في الواقع من أعظم الحاجات.**

• (فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ) هذه هي الأسئلة التي يجب أن تسيطر على همومنا وتفكيرنا كل حين! **القضية الكبرى التي نعيش من أجلها**: متى

موعدها؟ متـــى تكون؟ حتى نســـتثمر أوقاتنا ونأتي علـــى تحقيق آمالنا الكبار. كما قال النبي ﷺ للرجل الذي سأله وهو يخطب: (متى الساعة؟) قال: «**مَاذَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟!**».

• «**وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ**» دعوة لإدراك واقعك، والاستعداد ليومك، والنهوض بأعباء مشروعك وفكرتك، وإصلاح مســـاحتك؛ فهذه الصورة كثرت أمام عينـــك، وتجدها في كل مكان.

ومثل ذلك: ما أشار إليه النبي ﷺ لمن ســـأله عن الساعة، فقال: «**إِذَا وُسِّدَ الأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ**» وهي صورة كذلك أخذت حظها من واقع الحياة بكثرة.

الحديث الثالث

بُنِيَ الإسلامُ على خَمْسٍ

في الصحيحين: من حديث ابنِ عمر رضي الله عنهما، قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**بُنِيَ الإسلامُ على خَمسٍ: شهادةِ أَنْ لا إلٰهَ إلَّا الله، وأَنَّ محمداً رَسُولُ الله، وإقامِ الصَّلاةِ، وإيتاءِ الزكاةِ، والحَجِّ، وصَوْمِ رمضانَ**».

۞ ۞ ۞

• **هذه الخمسة هي أركان الإسلام ودعائمه الكبار وأسسه العظام**، وقد مر معك أن الإنسان لا يدخل دين الله تعالى أصلاً إلَّا بالشهادة، ومن ترك ركن الصلاة فهو كافر؛ لقول النبي ﷺ: «**الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ**»، ولقول عبد الله بن شقيق رحمه الله: كان أصحاب النبي ﷺ لا يرون شيئاً من الأعمال تركه كفر إلَّا الصلاة. رواه البخاري ومسلم.

• **بقية الأركان من الزكاة والصوم والحج إن أنكر الإنسان وجوبها فهو كافر**، لأن وجوبها معلوم من الدين بالضرورة، وإن أقر بوجوبها وتركها تهاوناً وكسلاً فهو على خطر عظيم، لكن لا يُحكم بكفره، وأمره إلى الله تعالى؛ إن شاء عذَّبه، وإن شاء غفر له.

• **الإسلام أعم من هذه الأركان**، بل كل الأعمال الصالحة التي وردت في كتاب الله تعالى وسُنَّة نبيه ﷺ من الإسلام، ومثل ذلك ما ورد الشرع بالنهي عنه.

• **لكل بناء أسس ودعائم؛ ما لم تستقر فيه، فلا وجود له في النهاية، وهذا يجري في كل بيت وأسرة ومجتمع**، وعلى البناة وصانعي القرار في هذه المعاني أن يدركوا ذلك ويهتموا به في كل شأن.

كم من أسرة تقوم حظوظها في البناء، ويفوتها أثناء ذلك البناء العناية بالقيم التي تصنع وجهتها، والمبادئ التي ترتكز عليها، فيأتي البناء في النهاية مشلولاً لا قيمة له ولا أثر فيه، ومثل ذلك الفرد الذي يعتني بجوانب عملية تطبيقية من حياته، ويكوِّن له أهدافاً، ولكنها ناقصة، فيختل توازنه، ومن ثم تختل حياته في النهاية، وقل ذلك في كل أمر لا يمكن أن يكتمل إلَّا من خلال العناية بكل الأركان والجوانب.

• **إذا تأملت هذا الحديث رأيت كيف أن الإسلام يعتني بالإنسان ويحرص على كماله**؛ فالشهادة التي تعتبر القاعدة والأصل في البناء تعينه على وحدة الفكر وسلامة المنهج وأصل الحياة، وإذا تعرَّف على ربه وشهد له بالألوهية وقام له بحقه من العبادة عرف الطريق واهتدى للحق، وسلم من الشتات والفوضى.

• «**لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللهُ**» **تحرر العقول والأفكار والمفاهيم**، تحرر الإنسان من العبوديات الزائفة، وتفك أسره من الخرافة والجهل والأوهام التي تطارد كثيرين في عالم اليوم.

كم هي حالات الضياع التي تصيب أمماً من الخلق اليوم وهم يهبون عقولهم ومشاعرهم لعالم الأوهام والخرافات، ويعيشون أعمارهم في ضياع!..

كم هم الذين يترددون على قبور الأولياء، ومشاهد الصالحين!..

وكم هم الذين يطوفون بالمقابر في كل صباح ومساء!..

كل هذا لأن هذه الشهادة لم تأخذ حقها في نفوسهم بإمعان.

• **«لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللهُ» تحرر صاحبها من عبودية الأشخاص** التي تحوَّل بها كثيرون من الحرية إلى الاسترقاق، وعاد الواحد من هؤلاء في قيد الذل والإهانة والعبودية بعد أن فكَّه الله تعالى من أغلالها.

• **«لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللهُ» توحِّد مصدر التلقي في حياة صاحبها**، وتحميه من نزاع الشركاء في حياته، وتجعله في مأمن من صور الفوضى التي تلقي المنحرفين عن الطريق الصحيح.

وإذا استقام للإنسان توحيده صح منه كل شيء، وإذا خرب هذا المعنى خرب كل شيء.

وعلى الدعاة والمصلحين أن يعتنوا بهذا المعنى، وأن يُولُوهُ عنايتهم، ويجهدوا في بيان أثره وتحقيق مقاصده في حياة العالمين.

• **والشهادة بالرسالة لرسوله ﷺ دليل على حاجة الإنسان للقدوة**، وأنه لا يستقر له منهج ولا طريق إلَّا من خلال قدوة تدله على ذلك الطريق، وتعينه على سلوكه.

حتى لو عرف الإنسان ربه لا يمكن أن يصل إليه إلَّا من خلال قدوة تعينه على ذلك الوصول، وتبلغه مراده من الحقائق التي ينشدها: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١].

• **العالم اليوم يموج بالفوضى**، ومن لا يعرف ربه الذي يستحق عبادته، أو لا يعرف نبيه الذي يدله على الطريق؛ لا يمكن أن يجد الحياة التي يبحث عنها ولو كان يملك كل شيء.

وإذا رأيت العالـــم الذي يدير الحضارة الحســية في الأرض أدركت حجم الفوضى المعنوية التي تســيطر على حياة هؤلاء في كل شــأن من شؤونهم.

• **حاجة العبد إلى ربه كبيرة**، وهذه الأركان تقيم هذا الشــأن وتبني هذه العلاقة، وتحقق للإنســان مراده الكبير فيها؛ فترى العبد يتردد على بيوت الله تعالى خمس مرات في اليوم والليلة، ويقيم شــأن الجمعة كل أسبوع، ويصوم شهر رمضان في كل عام، ويتعبَّد لله تعالى بالحج في كل سَنة، ومن رعى هذه العلاقة وأقام شأنها لقي خيراً في الدارين.

• **وهذه هي الأركان التي لا يصح دين الإنســان إلَّا بها، وما عداها ســنن متمِّمات لهذه الأركان الكبرى في دين الله تعالى**، وإذا تأملت هذا التشريع أدركت حكمة الله تعالى، وكيف أن هذه التشريعات راعت ضعف خلق الإنسان وقدرته واســتطاعته، ولم توجب عليه إلَّا ما كان في قدرته واستطاعته، وتركت ما عدا هذه الأركان في حكم المتمِّمات.

• القارئ في تشريع هذه الأركان سيجد أن هذه **الشريعة عنيت بإعداد العبد لنفسه**، وتأهيل ذاته من خلال تشريعات هذه الأركان في واقعه، ومن حافظ على هذه الأركان كما أراد الله تعالى وجد حظوظها في نفسه عاجلاً وآجلاً، **وعنيت في الوقت ذاته بالجماعة**، وإعداد الإنســان للتفاعل مع غيره؛ ســواء في صلاة الجماعة التي يلتقي فيها بغيره خمس مرات في اليوم الواحد، ومرة في الأسبوع من خلال صلاة الجمعة، وشهر كامل من خلال مشاهد الجماعة في صيام رمضان وصلاة التراويح، ومرة واحدة في العام في مكان واحد من خلال شعائر الحج.

• **تبني هذه الأركان الوحدة الشعورية في حياة كل إنسان**؛ فمن لقاء الحي الواحد في صلاة الجماعة، إلى لقاء المجتمع الواحد في صلاة الجمعة، إلى مشاركة المسلمين في العالم كله من خلال شريعة الصيام، ثم لقاء الأمة الكبير في مشهد الحج في مكان واحد.

إن الأمة كلها تلتقي من خلال هذه الأركان في كل شيء، فربها الذي تتعبَّد له واحد، ونبيها الذي تقتدي به وتسير على نهجه واحد، والقبلة التي يتجهون إليها في كل يوم خمس مرات واحدة، وفريضة الزكاة كذلك خالصة في هذا الشأن؛ فهي ترعى الجماعة المسلمة فيما بينهم، وتقوم على شأن الفقراء والضعفاء والمعوزين حتى يتحقق لهم العيش بأمان، وهذه المعاني بعضها كافٍ في بناء هذه الوحدة الشعورية بين المسلمين؛ فكيف بها مجتمعة تؤوب بهم إلى هذه الغايات الكبرى في واقع الحياة؟!.

• **تؤكِّد هذه الأركان حاجة الإنسان إلى التدريبات العملية التطبيقية**، وأن كل معرفة لا تكتسب حظَّها من العمل لا تصنع جديداً في واقع صاحبها، والمعرفة الناهضة هي التي تتحوَّل من مادة خام لا تبرح عقل الإنسان إلى مادة فاعلة في فكره ومشاعره وواقعه الحركي في كل لحظة من حياته، وإذا تأملت هذه الأركان وجدت ذلك بيِّناً واضحاً في كل مساحة منها.

• **من فقه المربِّي: ألَّا يكثر من التكاليف على من يربِّيهم، وأن يراعي قدراتهم في ذلك قدر الإمكان**، ألا ترى كيف أن الإسلام راعى هذا الإنسان؛ فلم يكلِّفه ما لا يطيق، واقتصر على هذه الأركان فقط كواجبات متحتِّمات، وترك باقي التشريع في مقام الاستحباب.

وكم من خلل في هذا المفهوم أوجب خللاً في تحقيق تلك الغايات التي يريدها المربي من تلــك المجموعة التي يدير شــأنها ويقوم على تأهيلها.

• **في الحديث دعوة إلى فقه الأولويات**؛ فأصول الدين وأركانه خمسة فقط، وهي كذلك متفاوتة في أثر تخلف الإنسان عنها؛ فليس تارك الصلاة كتارك الزكاة أو الصيام أو الحج، ومن لم ينطق بالشهادة لم يتحقق له من دينه شيء.

وهذا المعنى ـ أعني (إدارة الأولويات) ـ حقيق بالفقه والإجلال! ومن وعاه حق الوعي أتى منه على أمانيه.. وإذا قرأت سير الكبار والمخفقين؛ أدركت أن وراء ذلك هذا المعنى الكبير: (إدارة الأولويات).

• **رأيت في حياتي من يصنع لهذا المعنى شيئاً بهيجاً في واقعه**؛ فإذا أذَّن المؤذن ترك كل شــيء في يده، وقام من الاجتماع الذي كان يدير نقاشــه، وأنهى كل قضية يديرها في لحظته حتى لكأنك ترى معه ومن خلاله الحياة؛ كل ذلك تعظيماً منه لقدر الصلاة، وقياماً بحقوقها كأولوية كبرى في واقعه.

ورأيت من فــي وقته ورد من القرآن لا يــكاد يتخلَّف عنه يوماً من عمره، ولا يكاد يودع يومه إلَّا بانتهاء ورده.

ورأيت من يُجِلُّ والديه، ويعتبرهما أولوية قصوى في حياته، ويوقف كل شيء من أجل أمانيهما في الحياة.

ورأيت من يحتفل بوقته للدرجة التــي لا يتخلف عن موعده مهما كانت الظروف التي تقف على بابه في تلك اللحظة.

ورأيت من يناضل في سبيل هدفه الذي دوَّنه في خطته الشهرية حتى إنه لا يكاد يتخلَّف عنه البتة.

• **وفقه هذا المعنى ـ أعني (إدارة الأولويات) ـ يجري في كل شأن من حياة الإنسان، وليس في أهدافه الشخصية فحسب!** كم هي الأعمال والجهود التي تفرغ في العمل الدعوي، وتكتشف بعد ذلك أنك في فروع على حساب الأصول! ومثل ذلك في العمل الاجتماعي يركَّز على بعض الأعمال والمشاريع والأهداف على حساب ما هو أولى منها، وقُلْ مثل ذلك في الأعمال التربوية والتعليمية التي يدير الإنسان شأنها كل يوم.

• **إن من أكثر الأسئلة التي يجب أن تأخذ حظها من كل عمل قبل بدايته: ما حجم هذا العمل في دين الله تعالى؟** وهل هو أهم عمل؟ أم أن هناك أعمالاً هي أولى منه وأهم؟.. وهذا في كل مساحة نديرها في شأننا العام أو الخاص، حتى في وسائل التواصل الاجتماعي ـ كمثال ـ ينبغي أن يدار شأن هذه الأسئلة: ما الجوانب التي يجب أن يركَّز عليها في الطرح؟ وما علاقتها بأولويات الوحي؟ وهل هي أصل أو فرع؟ وكم ينبغي أن تأخذ من الحظ في وقت صاحبها وفكره ومشاعره؟..

• ما ينبغي أن يؤكَّد عليه في ختام هذا الحديث: أن **هذه الأركان يجب أن تأخذ حظها من الحديث والطرح والنقاش أكبر من أي قضية أخرى في دين الله تعالى**؛ لأنها هي الأصول والأركان التي تكفل للإنسان النهايات التي يحلم بها مع الأيام.

الحديث الرابع

إنَّ أحَدَكم يُجْمَعُ خَلْقُه في بطنِ أمِّه

في الصحيحين: من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه، قال: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ الصَّادِقُ المَصْدُوقُ، قَالَ: «**إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْماً، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكَتْبِ رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، فَيَدْخُلُهَا، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَدْخُلُهَا**» رواه البخاري ومسلم.

- «**يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ**» أي: من خلال ماء الرجل وماء المرأة.

وقوله: «**أَرْبَعِينَ يَوْماً [نُطْفَةً]**» أي: قطرة من منيٍّ.

وقوله: «**ثُمَّ يكونُ عَلَقَةً مثلَ ذلك**» أي: يتحوَّل المني إلى دم.

«**ثُمَّ يكونُ مُضْغَةً**» أي: يتحوَّل الدم إلى قطعة لحم.

ففي الأربعين الأولى يكون مجرد نقطة منيٍّ، وفي الثمانين يتحوَّل

المنيُّ إلى قطعة دم، وفي مئة وعشـــرين يوماً ـ أي: أربعة أشهر ـ يتحول إلى قطعة لحم، وتُخَلَّق أعضاؤه، وتنفخ فيه الروح، ويكون بذلك إنساناً.

وكل ذلك ـ سواء تحوَّل هذا المني إلى دم ولحم، وتبيَّن خلقه، ونفخ فيه الروح، أم لا ـ من أمر الله تعالى، وليس للإنســـان مجال لمعرفته أو العلم به، كما قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥].

• «**وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَـــاتٍ: بِكَتْبِ رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَـــقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ**» ولا يخرج في شيء من هذه الأربعة عن قدر الله تعالى، ولن يكون له إلَّا ما دوَّنه قلم القدر في هذه المرحلة، وكلٌّ مُيَسَّر لِمَا خُلق له، **غير أن ما جرى به القلم هنا لا يرفع قصد العبد واختياره.**

• **هذا القدر الذي كتبه الله تعالى على كل إنسان في بداية خلقه لم يطَّلع عليه أحد من الخلق**، وقد قال الصحابة رضوان الله تعالى عليهم: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنَعْمَلُ فِي أَمْرٍ مُسْتَأْنَفٍ، أَوْ أَمْرٍ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ؟ قَالَ: «**لَا، بَلْ فِي أَمْرٍ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ**» قَالُوا: فَفِيمَ نَعْمَلُ إِذاً؟ قَالَ: «**اعْمَلُوا، فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ**».

فعلى الإنسان أن يســـتقبل أيامه بالعمل، ويظن بالله تعالى خيراً، ويجهد في الوصول إلى غاياته، وقد قـــال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٥ ـ ١٠].

• **أبطل الله تعالى احتجاج المشركين بالقدر**، فقال تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍۚ كَذَٰلِكَ

كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴾ [الأنعام: ١٤٨].

• **وكل من احتجَّ بالقدر فاحتجاجه مردود عليه**، فمن قال: كتب الله تعالى عليَّ ألَّا أصلي أو أصوم، أو أستقيم، أو أعمل خيراً. يقال له: وكتب عليك ألَّا تتزوَّج ولا تتوظف ولا تأكل ولا تشرب ولا تطلب الرزق، فارْضَ بما قسم الله تعالى لك.

• **ولا يُشْكِلُ عليك في تقرير مسألة القدر محاجاة آدم وموسى**، كما في الصحيحين: من حديث أبي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى، فَقَالَ لَهُ مُوسَى: يَا آدَمُ، أَنْتَ أَبُونَا خَيَّبْتَنَا وَأَخْرَجْتَنَا مِنَ الجَنَّةِ. قَالَ لَهُ آدَمُ: يَا مُوسَى، اصْطَفَاكَ اللهُ بِكَلَامِهِ، وَخَطَّ لَكَ بِيَدِهِ، أَتَلُومُنِي عَلَى أَمْرٍ قَدَّرَهُ اللهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً؟! فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى**».

فإن ظاهر الحديث أن آدم احتجَّ بالقدر على الإخراج من الجنة فحج موسى.

والجواب: أن يقال: إن آدم قال هذا بعد أن تاب من الذنب، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له، ولوم موسى لم يكن على الذنب الذي تاب منه، وإنما كان على المصيبة التي حصلت بفعله؛ لقوله: «**خَيَّبْتَنَا وَأَخْرَجْتَنَا مِنَ الجَنَّةِ**» ولم يقل له: عصيت ربك. **وفرق بين احتجاج آدم بالقدر بعد التوبة منه، واحتجاج إنسان مع استمراره على المعصية والمخالفة.**

• **ولا تعارض بين ما في الحديث من كتابة الرزق والأجل وبين قوله ﷺ: «مَنْ سرَّه أن يُبْسَطَ له في رِزْقِهِ، ويُنْسَأ له في أَثَرِه أو في أجَلِهِ؛ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»**.

فإما أن يقال: **إنها زيادة وتغيير حقيقي، ولكنه في صحف الملك الموكل به لا في اللوح المحفوظ**، يقال للملك: اكتب له ستين سنة مثلاً، وفي علم الله جل وعلا لا يتغيَّر إنما يتغيَّر ما في علم الملك كما قال الله تعالى: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾ [الرعد: ٣٩].

وإما أن يقال: **إن الزيادة معنوية ليست في عدد الأيام والسنين، وإنما في البركة**، وكم من مبارك له في وقته وأتى منه على أمانيه ولم يعش إلَّا قليلاً، ولا أدل على ذلك من **النووي** رحمه الله عاش خمسةً وأربعين عاماً، وترك إرثاً يجري أثره وصداه في كل مكان، و**حافظ حكمي** رحمه الله عاش بضعاً وثلاثين سنة وترك ما يبهج الحياة.

• **هذا هو الإنسان على حقيقته: «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْماً، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ»** هذه قصة بدايته ورحلة نشأته لا فرق بين إنسان وآخر! هذا هو المَلِك، وهذا هو شأن التاجر الكبير، والأمير، والوزير، والعامل والفقير، لا فرق، يولدون من خلال نطفة، ويترقون من خلال العلقة، والمضغة، حتى يصبح الواحد منهم إنساناً، **وفي هذا من تأصيل فقه التواضع، واحتقار النفس وذمها، وعدم الكبر على عباد الله تعالى، ما فيه.**

ولو أن كل واحد فقه هذا المعنى وتربَّى على معانيه؛ لعاش عظيماً كبيراً، وما تسللت الأمراض المعنوية في قلوب كثيرين وفسدت الأحوال، وخربت الخواتيم؛ إلَّا من خلال نسيان هذ المعنى الكبير.

• وإذا تأملت الحديث: **«إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْماً، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ**

مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ» أدركت أن الله تعالى يجري الأشياء وفق أسبابها، لا يتخلف منها شيء.

فلقد خلق تعالى هذا الإنسان في أطوار مع قدرته تعالى على خلقه مرة واحدة، وهذه هي قصة الحياة كلها، ومشروعك الذي تقوم عليه، وفكرتك التي تعكف على بنائها، ورسالتك التي تجهد في تحقيقها؛ تحتاج إلى زمن حتى تبلغ آمالها.

إن مشكلة كثيرين أنهم يخالفون ناموس الكون، ويريدون لأفكارهم ومشاريعهم أن تولد كبيرة، وتخرج مستوية، وتنهض مرة واحدة، وكل ما يخالف ذلك يقعدهم عن العمل، ويفتح لديهم دوائر التشاؤم واليأس والإخفاق.

إن سُنة الله تعالى الجارية أن لكل شيء ميلاد، وللعمر القادم مراحل يتطوَّر فيها حتى يبلغ درجة الكمال، ولا يصل الإنسان لمقصوده وغايته حتى يدفع على تلك الغايات زمناً طويلاً ثم تأتي الثمار.

• **كل هذه الحضارة التي تراها شاهقة البناء الحسي هي في أصلها لبنة بدأت أول وهلة في الأرض، ثم صارت إلى هذا المشهد الحسي الكبير**، والمشاريع الضخمة والأفكار العظيمة بدأت صغيرة، ثم ما زالت تنمو وتأخذ حظها حتى أصبحت كل شيء.. وعلينا أن نؤمن أن مشاريعنا وأفكارنا التي نرجوها ستكون كذلك، وعلينا أن نصبر ونعمل في الوقت ذاته حتى تأتي الأيام بما نرجوه من آمال.

• **لا تقلق على رزقك**، فقد جرى به قلم القدر وأنت في بطن أمك: **«ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكَتْبِ**

رِزْقِهِ...» وفي هذا المعنى أمان من الخوف والقلق والضيق والاضطراب الذي يطارد كثيرين في حياتهم اليومية!.

وكل ما تراه في واقع بعض المسلمين من الغش والسرقة والاحتيال التي تجري في حياتهم بعض مظاهر الخلل في هذا المفهوم، والغفلة عن هذا المعنى الذي ذكَّر به النبي ﷺ في هذا الحديث.

وليس في هذا إعفاء من بذل الأسباب الممكنة، وإنما دعوة لبذل السبب والاجتهاد فيه بطرقه الشرعية، والطمأنينة في النهاية بكل ما يأتي.

• **وفي الحديث دعوة للطمأنينة والراحة والاستقرار، وعدم الضجر من حوادث الزمان!** إن ساعة الموت مكتوبة مقدرة زماناً ومكاناً وسبباً؛ فلمَ الخوف والقلق والاضطراب؟!..

إن أناساً يسافرون فتظل قلوبهم تخفق بالموت حتى يعودوا إلى بيوتهم من جديد، ويسافر أبناؤهم فلا يجدون للنوم راحة، ويتصلون بهم في كل لحظة حتى يبلغوا مكانهم ويصلوا إلى ما يريدون، ولو آمن هؤلاء بأن قدر الإنسان مكتوب، وسببه مدوَّن، ومكانه محدد، ولا يمكن لإنسان في الدنيا أن يجاوزه؛ لارتاحت نفوسهم، وهدأت ضمائرهم، ولم يجد القلق إلى قلوبهم وأفكارهم وعقولهم طريقاً، ولكنها الغفلة عن الهدي.. «**ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكَتْبِ رِزْقِهِ، وأَجَلِهِ...**».

• **الأعمال بالخواتيم!** «**فَوَالَّذِي لَا إِلَـهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، فَيَدْخُلُهَا، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، حَتَّى**

مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَدْخُلُهَا».

• **لِصَلاح القلوب وفسادها أثر في الخواتيم**، وكم من سريرة صالحة أوجبت لصاحبها الأفراح! وكم من سريرة سيئة أودت بصاحبها في مهالك الخسران!..

تأمَّل خاتمة ذلك الشقي لفساد قلبه؛ فقد جاء في البخاري: من حديث سهل، قَالَ: التَقَى النَّبِيُّ ﷺ وَالمُشْرِكُونَ فِي بَعْضِ مَغَازِيهِ، فَاقْتَتَلُوا، فَمَالَ كُلُّ قَوْمٍ إِلَى عَسْكَرِهِمْ، وَفِي المُسْلِمِينَ رَجُلٌ لَا يَدَعُ مِنَ المُشْرِكِينَ شَاذَّةً وَلَا فَاذَّةً إِلَّا اتَّبَعَهَا فَضَرَبَهَا بِسَيْفِهِ، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا أَجْزَأَ أَحَدٌ مَا أَجْزَأَ فُلَانٌ، فَقَالَ: «**إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ**» فَقَالُوا: أَيُّنَا مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، إِنْ كَانَ هَذَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ؟! فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ: لَأَتَّبِعَنَّهُ، فَإِذَا أَسْرَعَ وَأَبْطَأَ كُنْتُ مَعَهُ، حَتَّى جُرِحَ، فَاسْتَعْجَلَ المَوْتَ، فَوَضَعَ نِصَابَ سَيْفِهِ بِالأَرْضِ، وَذُبَابَهُ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ، ثُمَّ تَحَامَلَ عَلَيْهِ فَقَتَلَ نَفْسَهُ. فَجَاءَ الرَّجُلُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ، فَقَالَ: «**وَمَا ذَاكَ؟**» فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ: «**إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ، فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ، وَإِنَّهُ لَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ**».

وتأمل خاتمة ذلك الصالح لصلاح قلبه، وحديث الأعرابي الذي قدم على النبي ﷺ فآمن به واتبعه، وقال: أهاجر معك. فأوصى به النبيُّ ﷺ بعض أصحابه، فلما كانت غزوةٌ غَنِمَ فيها رسول الله ﷺ أشياء، فقسم وقسم له، فقال: ما هذا؟ قالوا: هذا قسم قسمه لك رسول الله. فأخذه فجاء به إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد، ما هذا؟ قال: «**قَسَمْتُهُ لَكَ**» قال: ما على هذا اتبعتك، ولكني اتبعتك أن أُرمى هٰهُنا ـ وأشار إلى حلقه ـ بسهم، فأموت وأدخل الجنة. فقال ﷺ: «**إِنْ تَصْدُقِ اللهَ يَصْدُقْكَ**».

فلبثوا قليلاً، ثم نهضوا إلى العدو، فأُتـــي به إلى النبي ﷺ يُحمل قد أصابه سهم حيث أشار، فقال النبي ﷺ: «**أَهُوَ هُوَ؟**» قالوا: نعم. فقال ﷺ: «**صدَق اللهَ فَصَدَقَهُ**».

وكفنه النبي ﷺ في جبته، ثم قدمه فصلـــى عليه، فكان ممَّا ظهر من صلاته عليه: «**اللهُمَّ إنَّ هذا عبدُكَ، خَرَجَ مُهَاجراً في سَبيلِكَ، فَقُتِلَ شَهِيداً، أنَا شَهِيدٌ عَلَى ذَلك**».

فتأمل الفارق الكبير بين هذيـــن وهما في رفقة نبي الله ﷺ، وصنعت القلوب فوارق وخنادق من النهايات.

• **لهذا المعنى كان الواجب على كل مؤمن أن يعتني بقلبه، وأن يجهد في نقاء ســـريرته، وأن يجاهد ليُحَصِّل الإخلاصَ وسعه وطاقته، وأن يكثر من سؤال الله تعالى والإلحاح عليه أن يصلح قلبه ويقيه فساد سوء النهايات.**

وقد كان نبيك ﷺ يدعو ملحّاً: «**يا مُقَلِّبَ القُلُوبِ، ثبِّتْ قَلْبي عَلَى دِينِكَ**» فقيل له: يا نبيَّ الله، آمنا بك وبما جئت بـــه، فهل تخاف علينا؟ فقال ﷺ: «**نَعَمْ! إنَّ القُلُوبَ بينَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أصَابعِ الرَّحْمَنِ يُقَلِّبُها كَيْفَ يَشَاءُ**».

وقال ابن مليكة: أدركت ثلاثين ـ يعني: من الصحابة ـ كلهم يخاف النفاق على نفسه.

وكان الخليفة الراشد الفاروق ـ على جلالة قدره، وقوة إيمانه ـ يقول لحذيفة: أسألك بالله هل سمَّاني رسول الله ﷺ في المنافقين؟.

• **العُجْبُ من أسوأ الأمراض التي تواجه الإنسان وتأتي على أعماله بالبطلان، والعاقل من جمع بين حسن العمل وإساءة الظن بنفسه.**

وقد سألت عائشة رضي الله عنها عن هذه الآية: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون: ٦٠] خائفة، فقالت: أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ فقال ﷺ: «**لا يا بنت الصِّدِّيق، ولكنَّهُمُ الَّذينَ يَصُومُون وَيُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقون، وهم يَخَافُونَ أَلَّا تُقبلَ منهم**».

وهذا مُشاهد ملحوظ في النفوس الصالحة؛ تجدها تعمل وتكد وتجهد، وترى بأنها لم تصنع شيئاً وما زالت مقصِّرة، بخلاف صاحب العُجب فإنه يرى عمله بلغ منتهاه، ولا يشعر بنقص أو تقصير؛ فمثل هذا حقيق بالمراجعة لقلبه، ومداواة مرضه، وشفاء قلبه قبل الفوات.

• **من فقه الإنسان وكمال عقله: أن يحذر سوء الخاتمة غايةَ الحذر..** فكم ممَّن آمن وهو مغرور! وكان بعض السلف كثير الوجل عظيم الخوف من سوء الخواتيم، والله المستعان!.

• **لسوء الخاتمة أسباب:**

ـ **من أعظمها: الكبر والعُجب بالعمل**؛ وكم ممَّن قضى زمناً في الطريق لم ينتبه لهذه الأمراض حتى أودت به في سوء النهايات، وترك الطريق من أصله، وكفر بعد إيمان!.

ـ **ومنها: البدعة**؛ وهي أخطر ما تكون على الخواتيم؛ لأن صاحبها معترض على اختيار الله تعالى، ومعاند لرسوله ﷺ، ومخالف للشريعة، باغٍ منهجاً غير منهج الله تعالى لخلقه، وهذه حقيقة البدعة، ومن تأملها عرف ما تخلفه في حياة أصحابها.

ـ **ومنها: المعصية بعمومها**؛ فمن أَلِفَ شيئاً عاش له ومات في سبيله، وكم ممَّن ذُكِّر بالشهادة في آخر عمره وحياته فلم يتمكَّن منها، ومات وهو يردد ما أَلِفَهُ وعاش في سبيله.

ـ **وأخطر هذه الأسباب وأجلها: مرض النفاق**، نسأل الله تعالى العافية.

• في الحديث إشارة إلى الفأل وحسن الرجاء في قدر الله تعالى: «**وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَدْخُلُهَا**».

فكما فيه الخوف من سوء الخاتمة، فكذلك فيه حسن الظن بالله تعالى، وألَّا يَكِلَّ الإنسانُ من عمل الصالحات واستثمار الفرص في كل طريق، فما يُدريه أن يكون ذلك العمل خاتمته ونهايته، والله ذو الفضل العظيم.

لقد كان بِرُّ الرجل بوالديه، وترك ما حرم الله تعالى من أجله تعالى، والقيام بحقوق الأُجَراء سبباً كبيراً في النجاة من كرب الدنيا وأزمات الطريق، كما في حديث الثلاثة الذين أطبقت عليهم الصخرة.

فلا تحتقر عملاً أيّاً كان مستواه، فلعله أن يلقي بك للجنان.

وكم من عمل أمَّل الإنسان عليه خيراً ولم يكن منه شيء، وآخر لم يأبه له فكانت به نجاتُه في الدارين.

• **وفي الحديث رسالة إلى الدعاة والمصلحين: ألَّا يستثقلوا شارداً في الطريق، وأن يصبروا على إعراض الناس مهما طال الطريق في ذلك..**

ألا ترى هذا الذي عاش مسرفاً على نفسه في كل عمره، ثم في النهاية فتح الله تعالى له طريقاً إليه فعاد: «**وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَدْخُلُهَا**».

• **ليكن همكم أيها الدعاة والمصلحون استنقاذ الناس من الضلال،** وإخراجهم من وحل المعاصي، والحرص على ردهم إلى الطريق..

فما زال نبيُّكم ﷺ بابن يهودي حتى ردَّه للحق، فخرج مسروراً يردد: «**الحمدُ لله الَّذي أَنْقَذَهُ بِي مِنَ النَّارِ**».

وحين ضربه قومه ﷺ حتى أدموه قال: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**» فعفا عنهم، وسأل الله تعالى لهم المغفرة، واعتذر لهم بأنهم لا يعلمون.

وفي سورة (يسّ) قصة ذلك الرجل الذي أقبل يسعى لإنقاذ قومه، ومات في سبيل ذلك، وكان غاية ما يتمناه في الحياة كلها ما ذكره الله تعالى عنه بقوله: ﴿قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ۞ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ﴾ [يسّ: ٢٦ ـ ٢٧].

وإنما تمنى ذلك رغبة في هداية قومه، وحرصاً عليهم.. وعلى مثل هذه المعاني الكبار تزدان الحياة.

الحديث الخامس

إبْطَالُ البِدَعِ والمُنْكَرات

في الصَّحِيْحَيْنِ: من حديث عَائِشَةَ رضي الله عنها، قالتْ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ، فَهُوَ رَدٌّ**» وفي رواية لمسلم: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا، فَهُوَ رَدٌّ**».

- **كل من أوجد شيئاً في دين الله تعالى لم يشرعه الله تعالى، ولا رسوله ﷺ؛ فهو رد على صاحبه، غير مقبول عند الله تعالى.**
- **هذا الحديث أصل في الأعمال الظاهرة**، فكل عمل لم يكن على سُنَّة رسول الله ﷺ فهو لاغٍ لا عبرة به، وصاحبه مبتدع في دين الله تعالى ما ليس منه.
- **كل عمل لا يصح إلَّا بشرطين:**

ـ **الإخلاص لله تعالى**: كما في حديث: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ**».

ـ **والمتابعة لرسول الله ﷺ**.

وإذا سقط أحد هذين الشرطين؛ بطلت العبادة، وليس لصاحبها منها سوى عرق الحسرات.

- **القاعدة الكبرى في العبادات: أن الأصل فيها أنها على التوقيف على الدليل، فلا تصح عبادة إلَّا بدليل.** وهذه القاعدة تجري في كل قربة أراد الإنسان أن يتقرَّب بها إلى ربه تبارك وتعالى.

• **لا يتعارض هذا الحديث مع فعل عثمان** الذي أحدث الأذان الأول يوم الجمعة؛ لأنه خليفة من الخلفاء الراشدين المهديين، وقد أمرنا النبي ﷺ بالاقتداء بهم، كما في قوله ﷺ: «**عليكم بِسُنَّتي وسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي، عَضُّوا عليها بالنَّواجِذِ**».

ومن ذلك: **فعل عمر** رضي الله تعالى عنه؛ فقد كان الصحابة يصلون التراويح فرادى في زمن النبي ﷺ وزمن أبي بكر رضي الله عنه وصدراً من خلافة عمر رضي الله تعالى عنه، فجمعهم على إمام واحد؛ فهو كذلك خليفة مشروع الاقتداء به، ولما رآهم يصلون أعجبه المنظر، فخشي الناس أن يقال: ابتدعت يا عمر! فقال: نعمت البدعة. أشار إلى ذلك الشيخ عبد الكريم الخضير رحمه الله تعالى. ويرى شيخ الإسلام رحمه الله تعالى أن البدعة التي قصدها عمر بدعة لغوية.

• **ولا يتعارض كذلك هذا الحديث مع قوله** ﷺ: «**مَنْ سَنَّ في الإسْلامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فلهُ أَجْرُها، وأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بها إلى يومِ القيامةِ**».

لأن المراد بالسُّنَّة الحسنة: ما كان أصلها في الشرع، فيكون معنى الحديث: من بادر إلى العمل بها ولها أصل؛ كمن أقام مشروعاً خيريّاً في مكان لا يوجد فيه ذلك المشروع، فيكون من السنن الحسنة التي سَنَّها في هذا المكان، وهي في الأصل سُنَّة مشروعة بدليل شرعي.

• **الوحي أصل في بناء الإنسان، وحضارة الأمم والأفراد وَقْفٌ على هذا المعنى الكبير**! وما من أمة أو مجتمع أو حتى فرد من الأفراد تنكَّبوا هذا الطريق إلَّا ضلوا وانحرفوا، ولم يبلغوا من مقاصد خلقهم شيئاً!.

هذا الحديث رسالة ضخمة لكل سالك لطريق العبودية: أنه ليس من حقه أن يسلك طريقاً يتعبد فيه لربه إلَّا بوحي من شريعة الله تعالى، وأن

عمله مهما كان مقصده إذا لم يكن على السُّـنَّة والهدي، فلا قيمة له في واقعه، بل صاحبه مأزور غير مأجور.

• **ليس فـي الأمة كلها فرد صالـح للاقتداء الكلي إلَّا الرسـل**، وما عداهم فالاقتداء بهم على قدر اقتدائهم بأنبيائهم، وما سوى ذلك ضلال!.

وهذا المعنى حقيق بالفقه والإجلال!.. كلمـا جاءك قول أو رأي أو فكرة فاعرضها على قبس النبوة؛ فإن وافقت فاجعلها تاجاً على رأسـك، ونوراً على طريقك الطويـل، وإن تعارضت مع هديـه ﷺ، فألقها على عارضة الطريق تصطليها الشمس، وتطؤها أقدام المارة، وتمتهن مع الأيام.

القدوة حياة، وكل طريق ليس فيه أثر من رسولك فهو ظلام لا تستبين موقع قدمك، فضلاً أن ترى فيه مباهج الحياة.

• **وفي الحديث دعوة إلى إحياء السـنن، ومحاربة البدع، والوقوف أمام كل فكرة ضالة في عرض الطريق.**

إن مواجهة البدعـة بالتحذير منها وبيان ضررها على دين الإنسـان ضرورة، ولكن في المقابل إحياء السُّنَّة وإفشاء مظاهرها وبسطها في واقع العالمين يمثِّل حصانة للأمة، ودرعاً حصيناً أمام الشبهات.

كم من البدع انتشـرت في واقع الأفراد والأمم والجماعات لأنها لم تجد صاحب راية يبسط السُّنَّة ويثير مباهجها في تلك المساحة، فنبتت في أرض ميتة، ولمَّا لم تجد قدوة مثيـرة يواجهها ما زالت تنمو حتى باتت سُنَّةً في أعراف كثيرين دون وعي.

• **ما أحوج الأمة إلى طالب علم يُثري سـاحاتها بالعلم والتطبيق**، ويحيل ذلك الواقع الذي يعيش فيه إلى مساحات من الربيع.

إن أول خصوم البدعة في أي مساحة: طالب العلم، الذي يدرك دور العلم وأثره في صناعة مساحة التغيير، ويقوم بواجبات العلم، ويثري تلك المساحات بحقائق العلم وآثاره.

وكلما تقلَّص طلاب العلم في مساحة أخذت البدعة حظها وانتشرت حتى تبلغ مداها.

وفي هذا المعنى رسالة إلى كل طالب علم: أن يقوم بأمن هذا المشروع في واقعه، وأن يجهد في بيان الحق قدر استطاعته.

- **على الأمة أن تعي دور المشروع العلمي في بناء أفرادها**، وأثره في إحياء السُّنَّة، وإفشاء العلم، ومحاربة الجهل، ودحر البدعة، والوقوف أمام كل حدث في دين الله تعالى، وعليها أن تحوِّل هذا الوعي إلى إعداد أجيال قادرة على النهوض بهذا المشروع، وإحياء آثاره في واقع العالمين.

- **في الحديث إشارة إلى تمام هذا الدين وكماله**، وأنه لا يحتاج إلى رأي مخلوق، قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

وكل دعاوي الإصلاح التي ينشدها أصحابها إن لم تكن على صلة بدين الله تعالى؛ وإلَّا فهي مردودة على أصحابها لا قيمة لها في واقعهم.

۞ ۞ ۞

الحديث السادس

الحَلال بَيِّنٌ والحرامُ بَيِّن

عَنِ النُّعْمَانِ بنِ بَشِيرٍ رضي الله عنهما، قالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «**الحَلَالُ بَيِّنٌ، وَالحَرَامُ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لَا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى المُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ: كَرَاعٍ يَرْعَى حَوْلَ الحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَا إِنَّ حِمَى اللهِ فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ القَلْبُ**» رواه البخاري ومسلم.

- **الأحكام ثلاثة:**

ـ **حلال بيِّن:** وهو الأصل في الأشياء، ولا تنتقل منه إلى حكم آخر إلَّا بدليل، والأحكام الشرعية تفتقر في ثبوتها للأدلة الشرعية.

ـ **وحرام بيِّن:** وهو ما ورد الدليل بتحريمه ممَّا نصت عليه الشريعة؛ كالخمر والزنى والربا ونحو ذلك.

ـ **ومشتبه:** وهو ما اشتبه علمه وحكمه على من يحتاج إليه.

- **الواجب على الإنسان في المشتبه تركه،** وعدم الوقوع فيه؛ حتى يتبين له الحق فيه، وهذا هو الاستبراء الذي أشار إليه الحديث: «**فَمَنِ اتَّقَى المُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ**».

• **الأصل في شريعة الله تعالى: أنها على الحِل**، وهو دليل على سعة هذه الشريعة ويسرها، وهو رد على من يصفها بالضيق والتحجُّر، وأنها لا تفي بحاجات الناس ومتطلبات الحياة، وهي شريعة بيِّنة واضحة محكمة؛ يؤدي فيها الإنسان تعاملاته، ويقوم بأدواره بشكل واضح لا إيهام فيها ولا إشكال.

• **الأصل في الناس الجهل**: «**لا يَعْلَمُهُنَّ كثيرٌ مِنَ النَّاسِ**»، ومعرفة هذا الواقع دعوة لعناية الإنسان بدينه، والتحري فيه، وعدم المخاطرة به من أجل ما يرى ويشاهد من أحوال الناس العامة، ومن كان الجهل أصلاً فيه، فالخطأ والضلال ملازم له لا ينفك عنه؛ إلَّا من شاء الله تعالى خلاصه من تلك المشكلات والبلايا.

• **حاجة الناس لطلاب العلم**، وهم سُرج الظلام، وجلاء المشكلات والأوهام، وفي قول النبي ﷺ: «**لا يَعْلَمُهُنَّ كثيرٌ مِنَ النَّاسِ**» دليل على أنهم قلة في زمانهم، وندرة في مساحاتهم، ومن الاستبراء لدين الإنسان ألَّا يصدر في دينه إلَّا عن ثقة، وأن يجهد غاية وسعه في بلوغ الحق، وألَّا يكل أمره إلَّا إلى الثقات، كما قال الله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

• **من فقه المؤمن: رعاية دينه، وتجنيبه المشتبهات، والترفع به عن كل ريبة قدر الوسع**، فإن السلامة لا يعدلها شيء: «**فَمَنِ اتَّقَى المُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ**» وما أكثر المشتبهات في مثل زمانك، أو التي جرى فيها خلاف العلماء، ومثلك أوعى بدينه، وأرعى لحياتك من أن تزل قدمك فيما يسوءُك في الدارين.

• **بات اليوم يُسَوَّق لكثيرٍ من مسائل الربا** ـ التي وردت فيها قوارع النصوص ـ على أنها حلال ولا حرج، والأمر واسع، وفيها خلاف بين العلماء، وفلان أفتى بكذا، وفلان أجازه، **والعاقل أحرص من أن يُذْهِبَ دينه لمثل هذه الأقاويل والهوامش في حياة الآخرين.**

• **في الحديث دعوة إلى الفرار من مواطن الفتن**، وعدم الاغترار بدينك في مراتعها: «**فَمَنِ اتَّقَى المُشَـبَّهَاتِ اسْـتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ: كَرَاعٍ يَرْعَى حَوْلَ الحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَا إِنَّ حِمَى اللهِ فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ**».

فلا تغتر بمعاملتك للنساء ولو كانت المصالح المتوخاة كالسيل الهادر على بابك، ولا تقف على كتب المبتدعة ولو كان بعض ما فيها سيفتح لك مشـاريع لا تخطر لك على بال، ولا تعاشر مفتوناً وصاحب سوء ولو بلغ منك ما بلغ، وكن حذراً من الفتن ومقاربة طرق السـوء حتى لا تقع ولا تندم ولات حين مندم.

• **من وعي المربي وفقهه: أن يكثر في درسه وموعظته من الأمثلة التي تقرِّب مرادَه**، وتوصله بعقل المتعلم من أيسر الطرق وأقرب المسالك: «**كَرَاعٍ يَرْعَى حَوْلَ الحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ**» فإن الراعي الذي يتهاون بحمى غيره لا يكاد يخلو من وقيعة في شأن صاحب ذلك الملك ولو كان حريصاً.

• **يصرُّ كثير من الرعاة في مـرات كثيرة على الرعي حول الحمى، ولا يأبهون بقول ناصح**، ويقعون في ذلك الحمى الذي نُهوا عن قربانه، ويفسدون على صاحب الحمى زرعه وبستانه.

وتتكرر ذات الصور اليوم مع كثيرين:

ـ فتبدأ القصة في حمى لحيته، فيأخـذ منها الزائد بدعوى تنظيمها وترتيبها، وما يزال يتعاهدها حتى لا يبقي منها شيئاً.

ـ ويتساهل في طول ثوبه، ويرى بأن المحظور ما نزل على الكعب، وما يزال حتى تراه لا يستنكر تلك الكبيرة في واقعه.

ـ ويتسوَّر محاريب بيوت أرحامه وإخوانه وأصدقائه، ويتساهل في ذلك، وما يزال حتى يقع في النهاية في الحرام.

ـ وتبدأ القصة لديه في بيع الحـرام؛ كالتهاون في المعاملات التي وقع فيها خلاف بيـن العلماء، وما يـزال حتى يقع في ربـا الجاهلية الأولى.

ـ وتبدأ قصة النظر المحـرم بمعرفة الواقع، والتسـاهل في بعض المشاهد البسيطة حتى تستلذ عينه الحرام، ويصبح شيئاً معتاداً مع الأيام.

ـ وتبدأ قصة التخلي عن مشروعه ورسالته في الحياة بافتتاح بوفيه صغيرة، أو بضعة ماشـية يريد أن يسـتغني بها عن سؤال الآخرين، ثم ما يلبث أن يترك كل شيء ويعود هامشاً لا حياة فيه...

هذه قصة الحمى في حياة كثيرين، ومـن فقهك ووعيك: أن تدرك هذا الدرس، فإنه حاضر وبكثرة في واقع الناس اليوم.

• **القلبُ مَلِكٌ والجوارح جنوده**، وإذا صلح القلب صلح كل شـيء، وإذا فسد فسد كل شيء: «**أَلَا وَإِنَّ فِي الجَسَـدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ القَلْبُ**».

• **إذا كان قلبك هو الأصل في صلاح جسـدك وفسـاده، وهو مادته الأولى، فعليك أن تنتبه له، وتبلغ منه غايـة الحذر، وتتعاهده بالإصلاح قدر وسعك**، وليس أعون لك على ذلك من:

ـ دعاء ربك بالثبات والتوفيق.

ـ وتجنَّب به موارد السوء.

ـ واحذر من غفلات الشهوات.

ـ وتجنب مواطن الفتن.

ـ وإياك من الواردات على سمعك وبصرك، فإنها السم الزعاف في قلبك مع الأيام.

وتذكَّر بأن الله تعالى يرى كل ما يجري في ساحات قلبك، والخذلان منه أولاً، وغالب الذين تركوا دين الله تعالى بعدما عاشوا لذته هم الذين تساهلوا في أمره ولم ينتبهوا له مع الأيام.

• **في الحديث دليل على أن الوقوع في الحرمات ومواقعة الشبهات يمرض القلب ويعطبه**، ويتسبب في فساده وضياع غاياته: «**أَلَا وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ القَلْبُ**».

وهو عرضة لكل وارد ما لم ينتبه له صاحبه ويرعاه عن موارد الضلال والظلام، وكم من تساهل في الحرام أوجب لقلب صاحبه الخذلان!.

وقد قال أحد السلف: **آكل الربا مجرب له سوء الخاتمة**. اهـ.

ونحن في زمان لم يعد الإنسان يتورع عن قضايا كثيرة من الحرام البيِّن، فضلاً عن مواقعة الشبهات، والله المستعان!.

• **في الحديث دعوة لتفعيل قاعدة الشريعة الكبرى (سد الذرائع)**؛ وهي قاعدة محكمة تسد عن الإنسان طرقاً كثيرة تسلك به للحرام، وتدفع به لمواقعة المنكرات: «**أَلَا وَإِنَّ لكلِّ مَلِكٍ حِمًى**».

فمنعت الشريعة النظر سدّاً لذريعة الوقوع في الزنى، ومنعت ضرب المرأة بقدمها على الأرض لمنع لفت الأنظار إليها، ونهت عن سب

المشركين لأنه طريق لسب الله تعالى.. وكل ذلك سدّاً للذريعة، وحماية لجناب الشريعة.

• **كل ما يظهر على الإنسان وتراه واقعاً في حياته فإن أصله القلب،** وهو تعبير واضح وجلي لما في قلب صاحبه: «**أَلَا وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّه، وإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّه، أَلَا وَهِيَ القَلْبُ**».

فإذا رأيت في نفسك حرصاً على الطاعة وإقبالاً عليها، وبُعداً عن الحرام ومجانبة لطرقه؛ فاعلم أن ذلك دليل صلاح قلبك.. وإذا رأيت منها وقوعاً في الحرمات، وتساهلاً في الطاعات؛ فذلك دليل بيِّن على فساد قلبك وخراب مادته التي تجري منها الحياة.

ودعك ممَّا يقال عنك، وأنت أبصر بنفسك، وأعلم بذلك من غيرك، فإذا رأيت صلاحاً فاحمد الله تعالى واجهد في تغذية ذلك المورد بالخيرات، وإذا رأيت سوءاً أو تخلُّفاً وتأخُّراً فأدْرِك قلبك، وشمِّر إليه، واهرع إلى مداواته قبل فوات أمرك وضياع مستقبلك.

الحديث السابع

الدِّينُ النَّصِيحَة

عن أبِي رُقَيَّةَ تميمِ بنِ أَوْسٍ الدَّارِيِّ رضي الله عنه: أنَّ النبيَّ ﷺ، قالَ: «**الدِّيْنُ النَّصِيحَةُ**» قُلْنا: لِمَنْ؟ قَالَ: «**للهِ، ولكتابِهِ، ولِرَسُولِهِ، وَلأئمَّةِ المُسْلِمِينَ، وَعَامَّتِهِمْ**» رواه مسلم.

۞ ۞ ۞

• «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**» أي: إن النصيحة هي الدين؛ لما فيها من المصالح الكبرى في الدارين.

• **النَّصِيحَةُ لله تَعَالى**: بأن تكون مؤمناً به، عابداً له كما أمرك تعالى، محققاً للتوحيد بأقسامه الثلاثة، مؤمناً بأقداره وأفعاله، وأنه لا يستحق العبادة سواه.

هذا هو أصل النصيحة وقاعدتها وذروة سنامها؛ أن يتعرف الإنسان على ربه، وأن يعرف حقوقه، ويقوم له بواجباته، **وما حاجة العبد إلى شيء في هذا المعنى حاجته إلى تحقيق التوحيد الخالص لربه بكل معانيه، وإخلاصه لله تعالى في كل شيء**، وكل شائبة من شرك أو بدعة أو معصية إنما هو خلل في هذا المعنى الكبير.

• **النصيحة لكتابه**: أن تؤمن به وتعتقد أنه كلام الله تعالى، وتكثر من تلاوته وتدبره، وتعمل به وتقوم بحقوقه كما أراد الله تعالى، وتعلم أن من

أقبل عليه، ومنحه وقته، وأعطاه فكـــره، ورعاه حق رعايته؛ أتى منه على ما لم يكن له في الحسبان.

ليس من النصيحة لكتاب الله تعالى اليوم أن تقبِّله وتضعه على رأسك أو صدرك ـ كما يفعل العوام ـ ثم ترمي بأحكامه عرض الحائط لا تلوي عنقك على شيء منها.

إجلالك لكتـــاب الله تعالى يأتي مـــن خلال فقهك منـــه مراد ربك، وتعظيم ما فيه، والوقوف عند حدوده، والصدور عنه في كل شـــيء، وما عدا ذلك صور لا علاقة لها بشيء من هذا المعنى الكبير.

• **النَّصِيحَةُ لِرَسُـــوله** ﷺ: بأن **تقر** بأنه رسول الله تعالى، **وتطيعه** فيما أمر، **وتصدِّقـــه** فيما أخبر، **وتنتهي** عما نهى عنـــه وزجر، وأن **تحبه** محبة تقدمها على حبك لنفسك وأهلك والناس أجمعين، **وتقدِّم** أمره على كل شيء في حياتك. ومن لم يجر هذا المعنى في حياته لم يبلغ منه شيئاً.

• «**ولأئمَّةِ المُسْـــلِمينَ**» أي: ولاتهم؛ بأن **تعتقد ولايتهم، والســـمع والطاعة لهم بالمعروف، والقيام بالأعمال** التي أوكلوها إليك، **ونُصحهم** فيمـــا وقعوا فيه مـــن أخطاء بالمنهج الشـــرعي الصحيـــح، **والدعاء لهم** بالصلاح والتوفيق في الدارين.

ونحن في زمن كثر فيه النفـــاق، وتعددت صوره، وانحرفت مفاهيمه للدرجة التي لم يعد يبصر كثير من الخلق الحقائق.

باتت النصيحة لأئمة المســـلمين عند كثيرين: مدحهم على المنابر، وذكرهم وشكرهم، واللهج بطاعتهم باللسان فحسب، ولو كنت بعد ذلك متخلِّفاً في وظيفتك، غاشّـــاً في مال المســـلمين العام، ظالماً لكثير من حقوق هذه الولاية الكبرى في حياتك.

وتشوُّه المفاهيم الشرعية من أخطر ما تواجه الأمة، وعلى طلاب العلم وحماة الشريعة أن يرعوا حدود هذه الشـــريعة، ويقوموا بواجب البلاغ، ويحرصوا على هذه الثغور ما أمكنهم؛ فإن الفســـاد في ذلك لا نهاية له، والله المستعان!.

• **إن من أعظم النصيحة للولاة: بيان ما يمكنهم من إقامة حقوق الله تعالى**، وتذكيرهم بمـــا يبدد عليهم نعم هذه الولاية، ويثير عليهم فســـاد الرعية واختلاف الرأي.

وليس من النصيحة في شيء أن يسكت الإنسان عن منكر، أو يتغاضى عن شر، أو يتهاون في سبيل رد منكر من المنكرات؛ إلَّا إذا كان من باب رعاية المصالح والمفاســـد، وما عدا ذلك فســـاد للراعي والرعية، وكل تفريط سيأتي مصحوباً بالندم والأسف.

حَجَّ **هارون الرشـــيد** رحمه الله، فلما رقى الصفا لقيه **عبد العزيز العمري**، فقال له: ارم بطرفك يا هارون إلى البيت. فقال هارون: قد فعلت. قال: كم هم؟ قال: ومـــن يحصيهم؟! قال: فكـــم من الناس مثلهـــم؟ قال: خلق لا يحصيهم إلَّا الله. قال: اعلم أيها الرجل أن كل واحد يُســـأل عن خاصة نفسه، وأنت وحدك تُســـأل عنهم كلهم، فانظر كيف تكون. فبكى هارون وجلس، وجعلوا يعطونه منديلاً للدموع. اهـ.

ولا تكاد تجد اليوم من يعرف هذا الواجب الكبير لأئمة المســـلمين فضلاً أن يقوم به في واقعه لهم!.

• **ليس من الأدب مع ولاة الأمر أن يتولى نصيحتهم كل أحد صغر أو كبر، عرف حقوق النصيحة أو لم يعرفها**، وإنما الواجب أن تناط بأهلها

ومن يعــرف حقوقها، ويصــل إليهم بطريــق أو بآخر.. فإنَّ تَسَــوُّرَ هذا المحراب بغير أدب مُؤْذِن بخراب كبير وشر مستطير.

• رأيت كثيراً ممَّن لم تنتظم صلاة الجماعة لديه، ولم يقم بحق والديه، ويعاني من نقص كبير في بعض الواجبات؛ يزري على ولي الأمر تخلفه في بعض الواجبات، وعدم قيامه بحقوق الرعية في بعض شؤونها، **ومثل هذا لو فقه حق النصيحة لعني بشــأنه الخاص، ولأقبل على واجباته يرعى شأنها ويقوم بحقوقها**، لا هذه الفوضى التي تراها في بعض واقع الناس.

• النصيحة التي تراها في بعض وســائل التواصل الاجتماعي حول بعض المصالح الحكومية وتأخُّرها، أو فساد بعض شأنها؛ هي كذلك لها آداب يجب أن تُرْعى، فلا يجوز بحال أن يكتب عن هذا القصور حتى يبلَّغ هؤلاء المسؤولين عن هذا النقص، **بل يجب أن تصلهم النصيحة مباشرة**، ويأتي إليها من الأبواب قدر المستطاع، وإذا احتجنا للأبواب الأخرى بعد ذلك فتقدَّر المصلحة بقدرها، ويعرف للنصيحة حينئذ شأنها وحاجتها.

• «**وعَامَّتِهِــمْ**» أي: **النصيحة لعامة المســلمين بالصــدق معهم في المعاملة، والتعامل بالأخلاق، والقيام بواجب الدعوة لهم**؛ بدلالتهم على الخير، ونصحهم بالابتعاد عن الشر، والتعاون معهم على كل ما من شأنه جمع كلمتهم، وتحقيق مراد الله تعالى فيهم.

وما أشد حاجة هؤلاء إلى النصيحة! وما أكثر أثرها في واقعهم! وقد أطبق الجهل في كثير من قضايا الشريعة فضلاً عن معرفة حقوق الناس فيما بينهم.

• **حُسن تعليم النبي ﷺ؛ حيث يذكر الشي مُجْمَلاً ثم يفصِّله**، فإنك إذا أبلغت المخاطب بأصل مرادك، وجمعت له ما ينفعه في بداية كلمتك

أو خطبتك، ثم فصَّلْتَ له شـأنها بعد ذلك؛ كان ذلك أدعى لفقه مرادك ووصول أثر كلمتك إليه.. وكم هي حاجـة الخطيب والداعية ومن يدير شأن الكلمة في مواقع التواصل إلى هذا المعنى الكبير في الحياة!..

• **إدارة شأن الأولويات أصل في حياة الإنسـان**، وإذا قرأت خطاب النبي ﷺ في هذا الحديث أدركت رعايته لهذا الجانب واهتمامه به: «**لله، ولِكِتَابِهِ، ولِرَسُولِهِ، ولأئمَّةِ المُسْلِمِينَ، وَعَامَّتِهِمْ**».

فبدأت النصيحة أولاً لله تعالى، ثم أتبعته بالنصيحة لرسوله ﷺ، ثم لكتابه... حتى استنفدت واجبها في طريق مرتَّب يرعى هذا المعنى ويؤكِّد عليه، والخلل في هذا المعنى مؤذن بالضياع. ومن فقه هذا الشـأن بلغ مراده، وأتى على مقصوده الكبير من أيسر الطرق، ومن لم يعطه حقَّه ولم يقم بشؤونه فاته حظوظه من الدارين.

• **فقه الصحابة رضي الله عنهم ووعيهم وإدراكهم لكل ما يقرِّبهم إلى الله تعالى، وحرصهم على العمل والتطبيق**؛ (قلنا: لمن يا رسـول الله؟) وهذا شـأن المؤمن العارف بالله تعالى؛ يهتبـل كل فرصة، ويرعى كل لحظة، ويأتي على كل مراد حتى يبلغ أمانيه.. وما حاجة الأمة إلى شـيء حاجتها إلى إدراك ما يقربها إلى ربِّها تعالى، ويَرِدُ بها إلى حياض الفضائل كل حين.

• **الأسئلة الواعية فرع عن وعي صاحبها وفقهه في الحياة**، سألوه عمَّا يفتح لهم باب العمل، ويعينهم على التطبيق.

وكم من سـؤال يدار ولا يترتب عليه عمل! وكم هي الأسـئلة التي أشغلت المسلمين وأخذت من أوقاتهم وأفكارهم دون شيء!..

• **ما أشد حاجة الناس للنصيحة في مثل زمانك**؛ سواء في عباداتهم، أو معاملاتهم، أو حتى أخلاقهم!.

وكم من نصيحة بلغت مقصودها من قلب صاحبها وعقله! لو أن المسلمين اليوم أدركوا هذا المعنى وحرصوا عليه ولم يتهاونوا فيه لبلغت الشريعة من نفوسهم مبلغاً عظيماً، وإنما أُتي الناس من قِبَلِ تفريطهم في هذه الشأن، وبات عدد من الخلق يتخلَّفون عن هذا المعنى بأعذار واهية وأوهام، والله المستعان!.

- **من مكملات النصيحة وموجبات قبولها: أن تتعاهد صاحبها فيما بينك وبينه قدر وسعك**، وألَّا تنصحه على الملأ، وهذا هو الأصل، وما عداه عارض يقدَّر بقدره.

- **من فقه الناصح: أن يختار ما هو أنجع من الوسائل لبلاغ رسالته**؛ فإن تعدد وسائل التواصل الاجتماعي اليوم نعمة يجب أن تستثمر فيما يعود على هذا المعنى بالنجاح والتوفيق.

- **من وعي الناصح وفقهه: أن يركِّز على الجوانب المشرقة في المنصوح**، وأن يجعلها قاعدة نصحه، وأن يتلطَّف معه غاية التلطُّف؛ لأن المقصود دعوته للخير، وقبوله لما يأتي إليه، وليس إقامة الحجة المجردة.

- **الإسلام حركة فاعلة ومؤثرة في حياة صاحبه، وليس شأناً خاصّاً بالمسجد كما يظن كثيرون.**

وفاعلية الإنسان على قدر ما فيه من مفاهيم الإسلام ومعانيه الكبار، وليس من الوعي ولا من الفقه أن يكون الإسلام عبادة مقتصرة على ذات الإنسان وليس لها حقوق فيما بين الإنسان ومن يعيش معهم وبينهم.

- **يدعو الإسلام على الإيجابية، وينهى عن الأنانية**، وتقديم النصيحة وبذلها لكل من حولك دليل هذا الشأن الكبير، وقد بلغك عن نبيك ﷺ

أن صلاح الإنسان في نفسه لا يعفيه في النهاية من العذاب: أنهلك وفينا الصالحون؟! قال: «**نَعَمْ، إِذَا كَثُرَ الخَبَثُ**».

- **يؤكِّد الإسلام على التعاون وبذل المعروف، والقيام بحقوق الآخرين قدر الوسع**، وما يصنع الإسلام في أمة لا تتعاضد على الفضيلة، ولا تقوم بواجب الإخاء، ولا تعرف حقوق بعضها على بعض؟!.

ومن أعظم الفقه: أن يدرك الإنسان أن الإسلام كما هو في المسجد؛ هو كذلك في التعامل والتعاون مع إخوانه المسلمين في كل زمان ومكان.

الحديث الثامن

حُرْمَةُ المُسْلم

عن ابنِ عُمَرَ رضي الله عنهما: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ، قالَ: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ، وأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ الله، ويُقِيموا الصَّلاةَ، ويُؤْتُوا الزَّكاةَ، فإذا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلَامِ، وحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ**» رواه البخاري ومسلم.

۞ ۞ ۞

• **المقاتلة: السعي في جهاد الأعداء حتى تكون كلمة الله تعالى هي العليا**، وهي غير القتل؛ فمقصود المقاتلة إذعان الناس لدين الله تعالى، ودعوتهم إلى الحق والاستسلام له، بخلاف القتل الذي يراد منه سفك الدماء وقتل الأبرياء بكل حال، ولذلك قال ﷺ: «**أُمِرْتُ أَنْ أقاتلَ النَّاسَ**».

• **المراد بالناس في الحديث: الكفار الذين رفضوا الاستسلام لدين الله تعالى أو دفع الجزية**؛ لعموم قول الله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

• **إذا أقرَّ الإنسان بالإسلام ودخل فيه؛ منع من المقاتلة، وله بعد ذلك ما للمسلمين من حقوق**، وفي هذا دليل على أن الإسلام يُجْري أحكامه في الدنيا على الظاهر، وكان ﷺ إذا أراد أن يغزو قوماً لم يَغِرْ عليهم حتى يصبح، فإذا أصبح فإن سمع أذاناً كفَّ عنهم، وإلَّا أغار عليهم.

• **الشهادة التي تنفع صاحبها وتشهد له بالإيمان: هي ما تواطأ عليها القلب واللسان**، ويكفي نطقها في تحريم دمه، ولا علاقة في التعامل معه بما في قلبه، ولذلك قال ﷺ: «**وحِسَابُهُمْ عَلَى الله**».

• **لا يحق لمسلم أن يتخوَّض في دماء المسلمين بالظنون الواهية**، وأنَّه ما قال: لا إلٰه إلا الله؛ إلَّا حقناً لدمه؛ لحديث أسامة الذي قتل فيه المشرك بعد شهادته، فقال له النبي ﷺ: «**أقتلتَه بَعْدَمَا قَالَ: لَا إلٰه إلَّا اللهُ؟!**» قال: إنما قالها تعوذاً! قال: «**أَفَلَا شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ حتَّى تعرفَ أنَّه مَا قَالها إلَّا تَعَوُّذاً؟!**» ثم ردد عليه: «**أَقَتَلْتَهُ بَعْدَمَا قال: لَا إلٰهَ إلَّا الله؟!**».

• **لا يكفي نطق صاحب الشهادة بها مجردة عن العمل، بل لا بد من إقام الصلاة**؛ فإن حان وقت الصلاة ولم يصلِّ؛ فلا تفده شهادته في شيء: «**فإذَا فَعَلُوا ذلكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إلَّا بِحَقِّ الإسْلامِ، وحِسَابُهُمْ عَلَى الله**».

• **تارك الزكاة يُخْتَلَف باختلاف حاله**؛ فإن تركها جحوداً فهو كافر إجماعاً، بخلاف من تركها بُخلاً؛ فيقاتل على تركها، ويرغم على دفعها كما فعل أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه مع مانعي الزكاة في زمن خلافته: «**فإذَا فَعَلُوا ذلكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهم وَأَمْوالَهُم إلَّا بِحَقِّ الإسْلَامِ، وحِسَابُهُمْ عَلَى الله**».

• **إذا أقام الإنسان الشهادة والصلاة والزكاة عصم دمه وماله**؛ فصارت حراماً، لا يحل الاعتداء عليه بحال من الأحوال: «**فإذَا فَعَلُوا ذلكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُم وأَمْوَالَهُمْ إلَّا بِحَقِّ الإسْلَامِ، وحِسَابُهُمْ على الله**».

• قوله: «**إلَّا بِحَقِّ الإسْلَامِ**» أي: **إلَّا ما يوجب القتل في الإسلام**؛ كالزاني المحصن، والقاتل بغير حق، والتارك لدينه المفارق للجماعة؛

لقول النبي ﷺ: «**لا يحلُّ دمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا بإِحْدَى ثَلاثٍ: النَّفْسُ بالنَّفْسِ، والثَّيِّبُ الزَّانِي، والتَّارِكُ لِدِينِهِ المُفَارِقُ للجَمَاعَةِ**».

• **الأصل أن الله تعالى خلق الخلق لغاية كبرى:** ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] وكل من خالف هذا الطريق ولم يقم بواجبه فالواجب قتاله حتى يحقق ما أراد الله تعالى منه.

• **الجهاد شريعة من شرائع الله تعالى، وهي واجب على كل إنسان بحسبه**، لا يجوز التخلف عنها بحال من الأحوال: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقاتِلَ النَّاسَ حتَّى يَشْهَدُوا: أَنْ لَا إِلٰه إِلَّا الله، وأَنَّ مُحَمَّداً رسولُ الله، ويُقيموا الصَّلاةَ، ويُؤتوا الزَّكاةَ، فإِذَا فَعَلُوا ذلكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلَامِ، وحِسَابُهُمْ عَلَى الله**».

• **من فقهك وكمال وعيك: أن تدرك أن الإغارة على المصطلحات الشرعية جزء من المعركة التي يديرها العدو معك**، وما مصطلح الإرهاب إلَّا طريق إلى وأد شريعة الجهاد، للدرجة التي بات كثير من المسلمين يتخفَّون بمصطلحهم، ويندسُّون بتراثهم عن الواقع الذي يعيشون فيه.

• **يُسر الإسلام وسماحته، وأنه دين رحمة وحب وسلام:** «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ**»، المقاتلة التي تقودهم إلى امتثال دين الله تعالى وإعلاء كلمته أو دفع الجزية، وليس القتل الذي يريق الدماء، ويستبيح الأنفس والإرغام على دخول الإسلام.

• **الغاية الكبرى من الجهاد: إعلاء كلمة الله تعالى، ونشر الإسلام والسلام في الأرض**، وإزالة العقبات العارضة في الطريق، وليس المقصود

منه الاستيلاء على ممتلكات الناس وأخذ أموالهم وإراقة دمائهم، وفي الحديث: «**عَجِبَ رَبُّكَ مِنْ قومٍ يُقادون إلى الجَنَّةِ بالسَّلاسِلِ**».

• **حرمة دم المسلم وماله وعرضه**، لقوله ﷺ: «**عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وأَمْوَالَهُمْ**»، فدل على أن الإسلام يقدِّس الإنسان، ويعظم الحريات، ويحرم الاعتداء عليه إلَّا بإذن من شريعة الله تعالى.

• **الأصل في المسلم الإسلام، ولا ينتقل من هذا الأصل إلَّا بدليل وبيِّنة ثابتة**، وعلى هذا فلا يجوز استحلال دماء الناس ببعض الأخطاء؛ سواء أخطاء بدعية، أو أخطاء سلوكية؛ إلَّا بعد قيام الدليل الكافي على ذلك.. وما عدا ذلك تَخَرُّص وأوهام.

الحديث التاسع

ما نَهَيْتُكم عنه فَاجْتَنِبوه

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «**ما نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ، وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، فإِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَثْرَةُ مَسَائِلِهِمْ، واخْتِلَافُهُمْ عَلَى أَنْبِيائِهِمْ**» رواه البخاري ومسلم.

❁ ❁ ❁

• **كل ما نهتْ عنه الشريعة؛ فالأصل فيه التحريم:** «**مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ**» هذه قاعدة الشريعة في كل منهي عنه لا يحل للإنسان فعله أو مواقعته وقد جرى عليه التحريم.

وفرارك من النهي كمال فقه وتوفيق، فلا تنهى الشريعة عن شيء إلَّا وفيه عطب الإنسان وهلكته وضياعه.. وكم من محبوب في العاجل أورث ذلّاً وخسارة في الدارين! وكم من مستحسن في فكر إنسان مستقبح في حقيقته!.

• **من الوعي أن يشتد هروبك من الحرام،** والفرار من مواقعه، والخوف والخشية من آثاره: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢].

وكل من رعى حدوده، وحفظ حرماته، وجانب كل طريق يبلغ به إليها؛ حفظه الله تعالى وسدَّده، ويسر أمره، وأعانه على بلوغ أمانيه.. ومن تهاون في الحرام أوشك ألَّا يخرج منه، ولا يُعان في طريق، ولا يجد يسراً في شيء، والله المستعان!.

• **كلُّ ما أَمرت به الشريعة فالواجب فعله، وامتثال أمر الله تعالى فيه، ولكن ذلك مشروط باستطاعة الإنسان والقدرة على فعله وامتثاله: «وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ».**

ومن كمال عقلك وفقهك: أن تجهد وسعك في امتثال كل أمر دعت إليه الشريعة؛ فإن مصالح ذلك تجل عن الوصف.. وقد كان من فقه سلفك أنه لا يجاوز مأموراً إلَّا وعمل به، ولو مرة واحدة في حياته، حتى يكون له منها نصيب.

• **من جمال الشريعة وكمال ذوقها:** أنها فرَّقت بين ما يستطيعه الإنسان، ولا يكلفه تركه؛ فنهت عنه كله: «**ما نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ**» بخلاف المأمور؛ فإنه متوقف على قدرة واستطاعة المكلف، فجعلته وقفاً على ذلك: «**وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ**».

وفي هذا دليل على جمالها وأناقتها؛ فإنها لا تُحمِّل الإنسان فوق وسعه، وإنما تجري به في فلك كل ممكن يسير.

• **خطر النية وأثرها في واقع صاحبها صلاحاً وفساداً: «فإِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَثْرَةُ مَسَائِلِهِمْ، واخْتِلَافُهُمْ عَلَى أَنْبِيائِهِمْ»..**

فلولا فساد نياتهم لما صار منهم هذا الخلاف لأنبيائهم، وقد مر بك في أول حديث في الكتاب ما يعينك على فقه آثارها وشدة خطرها.

• كل سؤال لا يترتَّب عليه عمل فهو سؤال مذموم، لا تحتفي به الشريعة ولا تقيم له وزناً: «**فإِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَثْرَةُ مَسَائِلِهِمْ، وَاخْتِلَافُهُمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ**».

وكل سؤال لا يترتب عليه عمل ولا فقه في حياتك اليومية فينبغي ألَّا يكون له قيمة في حياتك كلها.

• **فرق بين سؤال وسؤال، فسؤال العلم واستبصار الحقائق والبحث عن مشكل المسائل والعلوم من فِقْه صاحبه ووعيه**، وقد قيل لابن عباس رضي الله عنهما: ما بلغ بك؟ فقال: لسان سؤول، وقلب عقول! فينبغي ألَّا يملَّ طالب العلم من كل سؤال يبلِّغه أمانيه في هذا الطريق.

أما السؤال الآخر المذموم، فهو سؤال الشكوك والأوهام، وضرب النصوص ببعضها؛ فهذا نية صاحبه كافية عن معانيه، وكاشفة عن نهايته.

• **ومن أعظم أسباب أسئلة الشكوك والأوهام**، أو الأسئلة الفارغة التي لا ينبني عليها أثر في دين الإنسان:

- **الفراغ** الذي يداهم حياة كثيرين.

- **والقراءة للنكرات**.

- **والإغراق** في متابعة بعض حسابات وسائل التواصل الاجتماعي التي من شأنها خلق هذه الشبه وتوسيع دائرة هذه المعاني في حياة الإنسان.

- **والتهاون** في دين الله تعالى.

- **وحب الركون إلى الدنيا**... ونحو ذلك ممَّا لا يفوت على أمثالك.

سأل رجل ابن عمر رضي الله تعالى عنهما عن استلام الحجر، فقال له: رأيتُ النبيَّ ﷺ يستلمه ويقبِّله. فقال له: أرأيتَ إن زُحمت؟ أرأيتَ إن غُلبت عنه؟ فقال له رضي الله تعالى عنه: اجعل (أرأيتَ) باليمن! رأيتُ رسول الله ﷺ يستلمه ويقبله. وهو درس متين لأصحاب الفراغ والأوهام في مثل زمانك.

• **التعنُّت في سؤال أهل العلم، والتنطُّع في ذلك: سبيل للانحراف والضلال والضياع**: «**فإنَّما أهْلَكَ الَّذينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَثْرَةُ مَسَائِلِهِمْ وَاخْتِلَافُهُمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ**».

ووجد في زمانك من يسأل أسـئلة لا يريد بها إزالة إشكال أو إبانة موقف جهل، وإنما يريد أن يسرد على شريعة الله تعالى إشكالات، ويخلق حولها الشبه والمعارضات، وهذا سـوء توفيق، ومثل هذه النية كافية في خواتم السوء.

• **من كمال علمك: الإذعان لشـريعة الله تعالـى، وطاعة أهل العلم** المعروفين بدينهم وأمانتهم وتقواهم فيما أوكلهم الله تعالى في الجواب عنه، والاحتفاء بجوابهم، وتعظيم شأنهم وقدرهم: «**فإنَّمَا أهْلَكَ الَّذينَ مِنْ قَبْلِكُمْ: كَثْرَةُ مَسَائِلِهِمْ، واخْتِلَافُهُمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ**».

و«**العُلَمَاءُ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، والأنبيـاءُ لَمْ يُوَرِّثوا دِينَاراً وَلَا دِرْهَماً، وإنَّمَا وَرَّثُوا العِلْمَ؛ فَمَنْ أَخَذَ بِهِ فَقَدْ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ**».

ومن عرف عدوه بوعي أدرك أنه يسـعى بكل ما يملك لفك الرابطة الوشيجة بينه وبين الموثوقين من أهل العلم، ويجهد وسعه في توهينها وإضعافها؛ حتى لا يجد الناس فيما يستقبل من أيامهم صلة بينهم وبين شريعتهم، فتموت الشريعة ولا يبقى للناس دين.

• **ومن كمال فقهك: أن تعرف لأهل العلم قَدْرهم**، وتعظِّم شأنهم كما عظمته شريعة الله تعالى، وأن تثق بهم في كل نازلة زمان أو مكان، وألَّا تقبل بعارض في الطريق مهمـا كان، وفي الوحي: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

• **الخلاف شر**، وإذا رأيت محتفياً به، مجلّاً له، معتبراً أن ذلك كمالاً ووعياً؛ فاعلم أن ذلك طريق الضلال وسبيل الشيطان: «**فإنَّمَا أهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ: كَثْرَةُ مَسَائِلِهِمْ، واخْتِلَافُهُمْ عَلَى أَنْبِيائِهِمْ**».

وتحوَّلت الأمة اليوم بمثل هذا الفقه إلى فرق وشـيع وأحزاب، والله المستعان.

ومن فقهك وكمال عقلك: أن تنأى بنفسـك عن كل وسيلة تبلغ بك ذات الطريق.

• **كمال الإنسان في تسليمه لشرع الله تعالى، وامتثاله لأوامره، وأقبح صفات الإنسـان: أن يَزْوَرَّ عن شـريعة الله تعالى؛ اعتـداداً بعقله ورأيه، وخضوعاً لشهواته ومزاجه.**

كان السلف يُجِلُّون هذه الشـريعة لأبعد درجة، ويقفون منها موقف العبيد الذين لا يملكون إلَّا التسليم: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٥١].

وقـال تعالـى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ [النور: ٥٢].

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

وفي مثـل زمانك: (المسـألة فيها قـولان، والدليـل ضعيف، وفيه خلاف)؛ حتى يأتي التشـريع الذي يوافق هواه ويصلح مع مزاجه، فتراه بعد ذلك يجري في فلكه مغتبطاً بما وصل إليه منها، والله المستعان!..

الحديث العاشر

إنَّ اللهَ طَيِّبٌ لا يقبلُ إلَّا طيِّباً

عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّباً، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ**»، فَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ﴾ [المؤمنون: ٥١]، وَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾ [البقرة: ١٧٢]، **ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ: يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟!**» رواه مسلم.

❁ ❁ ❁

• **الإسلام دين عام لا يفرِّق بين أحد من العالمين؛ فما أمر به المؤمنين أمر به المرسلين لا فرق**، وهي دعوة لاستشعار هذا المعنى الكبير في حياتنا جميعاً.

لقد عانت الأمة زمناً ـ وما تزال ـ من التفرقة بين الناس بناء على أموالهم ومناصبهم وأنسابهم، وتُجري على ذلك صوراً من الاحترام والتقدير والتعامل، بينما شريعة الله تعالى تُجري هذه السُّنَّة بين الخلق عموماً؛ لا تفرِّق بين رسول وغيره، كلهم أمام شريعة الله تعالى سواء.

• **وهذه الطبقية التي نشأت بين الناس هي قاعدة الظلم وأصله وأساسه**، وإلَّا فالأصل أن الناس سواسية أمام شريعة الله تعالى؛ لا يحل لحاكم أو محكوم أن يتجاوز حدَّه، أو يتصرف في شيء إلَّا بإذن من الشريعة، وفي الحدود المتاحة فحسب.

ولن تجد في شريعة الله تعالى: أن فلاناً عليه كذا من التكاليف لمكانته، وفلان عليه كذا لموقعه؛ بل الجميع سواسية أمام حكمها؛ لا فرق بين عربي ولا عجمي، ولا عبد ولا حر إلَّا فيما ورد به الدليل الشرعي فحسب.

• **«إنَّ الله طيِّبٌ لا يقبلُ إلَّا طيِّباً» وصفٌ لله تعالى بأنه مقدَّس، منزه عن العيوب والنقائص، طيب في ذاته، وفي أسمائه وصفاته، وفي أوامره ونواهيه، لا يقبل إلَّا الطيب من الأقوال والأعمال والأفعال.**

وهذا الوصف لربك مؤذن لك بالعناية بكل ما تتعامل به معه تعالى إجلالاً وتعظيماً، وإياك ونقائص الأخلاق والأحوال! وبلوغك لهذا الحال مرهون بفقهك لهذه الشريعة، ومعرفتك لما فيها من لطائف وآداب وأسرار، وعنايتك بتحويل معارفها إلى تطبيقات في حياتك اليومية، وستبلغ بها ومن خلالها أمانيك.

وإذا تأملت في شريعة الله تعالى وجدتَها ترشد إلى كل طيِّب، وتنهى عن كل قبيح، وبَنَتْ لك صرحاً من الفقه إذا ضبطته لم تجاوز هذا الحديث في شيء.

• **كل ما كان خبيثاً فإن الله تعالى لا يقبله**؛ كالاعتقادات الفاسدة، وبذيء القول وسيئه.

والتصرفات والصدقات والتبرعات التي مصدرها خبيث كالربا والغش والسرقة والغصب ونحوها؛ كلها مردودة على أصحابها، لا قيمة لها، ولا بركة فيها، فالله تعالى طيب لا يقبل إلَّا طيباً.

واعلم أن كل ما نهت عنه الشـريعة فهو خبيث لا يقبله الله تعالى، ولا يثيب عليه، ومن كمـال فقهك وعلمك وأدبك: ألَّا تقـارف منهيّاً عنه في شـريعة الله تعالى، والنزول إليه والتلبُّس به من باب الحمأ الذي يجب أن تنزِّه واقعك عنه.

• **الدعاء من أعظم الطرق التي تبلغك أمانيك، وتعينك على الوصول إلى أحلامك**، ومن فقه أثر هذا المعنى وهـب له وقته، ودفع له من قلبه ومشاعره ما يبلغه أحلام الدارين.

• **من فقهك وكمال عقلك: ألَّا تتسوَّر هذا المحراب وليس معك شيء من أدبه**، وتذكَّر بأن السفر، والشعث، ورفع اليدين إلى السماء، وقولك مراراً: يا رب، يا رب؛ من موجبات إجابته، وتحصيل مرادك منه: «**ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ، أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ: يَا رَبِّ، يَا رَبِّ**».

• **أَكْلُ الحرام موجب لحرمان الإنسان من بلوغ أمانيه**، ولو تصوّر داعٍ بلغ جهده، وتوسـل إلى ربه بكل ممكن، ورفع يديه مضطرّاً، وكان في شعث السفر، ومع ذلك لم يلتفت إليه ربه، ولم يجب دعاءه؛ لوجود حرام حال بينه وبين تلك الدعوات؛ لعرف قدر تلك المسألة، ولجعل بينه وبين الحرام سـدوداً وموانع تكفيه مواطـن الحرمان: «**ثُمَّ ذَكَـرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ، أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ: يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ**».

وما أكثر هذه الحال في عالم اليوم! وما أشد انتشار بيع الحرام وأكل الربا والتحايل على حرمات الله تعالى في مثل زمانك، فكن واعياً مدركاً لآثار ذلك، متورِّعاً عن كل شبهة حتى لا تكون من المحرومين.

• **إطابة المطعم من أسباب إجابة الدعاء: «ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ، أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ: يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ».**

وكم من متورِّط في المال العام، فضلاً عن التساهل والترخُّص في بيعات الربا ونحوها من الحرام!.

• **كثرت عوائق الطريق في مثل زمانك، وقلَّ أن تجد طريقاً للمال إلَّا وهو شَعِثٍ وفيه عقبات، ويحتاج إلى تأهيل للنفس حتى تستعلي على إغرائه، وتتفوق على شهواته.**

ولو سألت عن أكثر المعاملات التي تدار في كثير من المؤسسات لوجدتها متدنِّسة بهذه الشبه، أو غارقة فيها بدون ضابط، أو بيع مال بمال ربا الجاهلية الأولى، وأمثال هذا كثير جدّاً، حتى إنك لم تعد تستغرب إعلاناً في أماكن عامة: من أراد أن يسدد قرضه في بنك من البنوك فليتواصل مع فلان يسد قرضه، مقابل فائدة زيادة؛ ربا الجاهلية الأولى، الذي فيه وفي أمثاله حديث نبينا ﷺ: «**لَعَنَ اللهُ آكِلَ الرِّبَا، ومُوكِلَهُ، وكَاتِبَهُ، وشَاهِدَيْهِ، وَقَالَ: هُمْ سَوَاءٌ**».

والإجماع على أن كل قرض جرَّ نفعاً فهو ربا. وهذا مجرد شاهد فحسب.

• **انكسار القلب وشعوره بالفقر والذل بين يدي ربه موجب لإجابة الدعاء «أَشْعَثَ أَغْبَرَ»**.. وكم أوجب هذا المعنى من فتوحات لأصحابه، وبلغوا مقاصدهم، وحققوا مرادهم من تلك الحال.

ولا تقرِّب عطايا الله تعالى إلَّا أحوالُ الفقر والذل والخشوع له تعالى.

• **فرق بين داعٍ وهو مستعلٍ على ربه**، أو لا يجد شعوراً يدفعه للطلب، أو يسأل الله تعالى وهو غافل لاه، **ودعاءٍ يستنزل فضل الله تعالى لتعبُّد صاحبه**، وشدة خشوعه، وإنابته إلى ربه، والحاجة إليه، وإدمان الوقوف على بابه كثيراً.

• **المظاهر** من الألبسة، والمراكب، والمساكن؛ موجبة لكبر القلب واستعلائه وعدم حاجته، ما لم تغالب بفقه وعلم، وفي قوله ﷺ: «**أَشْعَثَ أَغْبَرَ**» ما يشير إلى ذلك المعنى في الحديث، وهذا شيء مجرَّب في واقع كل إنسان!.

الحديث الحادي عشر

دَعْ ما يَرِيبُكَ إلى ما لا يَرِيبُك

عَنْ أبي محمَّدٍ الحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ سِبْطِ رَسولِ الله ﷺ وَرَيْحَانَتِهِ، قالَ: حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قالَ: «**دَعْ مَا يَرِيبُكَ إلى مَا لَا يَرِيبُكَ**» رواه النسائي، والترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

- «**مَا يَرِيبُكَ**»: ما تشك فيه ولا تطمئن إليه.

«**إلى مَا لَا يَرِيبُكَ**»: إلى الشيء الذي لا تشك فيه.

- **من فقهك وكمال علمك: أن تستبرئ لدينك، وتتحرى لمنهجك؛** فلا تقدم إلَّا على ما هو بيِّن واضح بدليله: «**دَعْ مَا يَرِيبُكَ إلى مَا لَا يَرِيبُكَ**».

وهذه من دلائل الإيمان، وعلامات التوفيق، وكمال أدب صاحبه في تعامله مع ربه تبارك وتعالى.

- **إياكَ والشُّبهات**؛ فإنها الطريق الذي يُودِي بك إلى ضياع دينك، وفواتِ مصالحك: «**دَعْ مَا يَرِيبُكَ إلى مَا لَا يَرِيبُكَ**».

وكم من شبهة اتضحت في النهاية أنها بينة الحرمة رأي العين، ولكن الذي قعد بصاحبها عن رؤية واقعها الخذلان.

• **من جمال دينك وأناقته: أنه يحمي الإنسان من الوقوع في الشبهات والشكوك، ويحذِّر الإنسان من كل طريق يودي به إلى ذلك**، ونهيه في الحديث: «**دَعْ مَا يَرِيبُكَ إلى مَا لَا يَرِيبُكَ**» دليل بيِّن على ذلك.

كم ممَّن تساهل في بعض الشبهات ثم أربكت تفكيره وقعدت له بكل طريق، وإذا سمع قائلاً أو سمع مفتياً أو سائلاً عادت إليه الشكوك من جديد، فلا هو الذي سعد بما أخذ، ولا هو الذي سلم من الشكوك والأوهام.

• **ترك المشتبه فيه منهج شرعي، ما لم يُفْضِ بصاحبه إلى الوسواس**: «**دَعْ مَا يَرِيبُكَ إلى مَا لَا يَرِيبُكَ**».

فالأصل أن يحتاط الإنسان في كل داخل عليه، ويستبرئ لدينه، وألَّا يأتي لشيء مهما بلغت حاجته إليه إلَّا واضحاً جليّاً، وما عدا ذلك فطريق للأوهام والشكوك.

ما لم يُفْضِ هذا الورع إلى الوسواس؛ فيأتي الإنسان إلى أشياء حلال بينة واضحة فيتركها قلقاً وخوفاً من الحرام؛ فمثل هذا وسواس مذموم؛ الوقوع فيه كالوقوع في الشبهة لا فرق.

• «**دَعْ مَا يَرِيبُكَ إلى مَا لَا يَرِيبُكَ**» **في التعامل مع زوجك وأهل بيتك، وإياك من تتبع العثرات**! ولذلك نهت الشريعة عن أن يطرق الرجل أهله طروقاً؛ أي: أن يأتي إليهم في الليل دون علمهم يتخوَّنهم، أو يلتمس عثراتهم؛ فإن ذلك مُفْضٍ إلى الشكوك والأوهام والنزاع والشقاق.

• «**دَعْ مَا يَرِيبُكَ إلى مَا لَا يَرِيبُكَ**» **في التعامل مع ولدك وطالبك وعاملك**، ولا تخلق لك ولهم شكوكاً وأوهاماً عارضة تمنعك من الحياة

معهـــم وبهم، فإن الشـــريعة تمنع ذلـــك، وتراه فوضـــى مجلبة للقلق والأوهام.

• **إذا تعاملت مع إنسان، أو بحثت قضية من القضايا؛ فلا تفتح لباب الأوهام والشكوك والوســـاوس باباً؛ فإن ذلك جالب للقلق والاضطراب، وموجب للشـــتات والفوضى**، وهو طريق لا يقف بصاحبه عند حد، ولا يبلغ به إلَّا إلى الشتات: «**دَعْ مَا يَرِيبُكَ إلى مَا لَا يَرِيبُكَ**».

• **ليس من الفقه أن يقع الإنسان في الحرام الصريح، ولا يتورَّع عن ذلك، وينغمس في قضايا خطيرة على أصل دينه، ثم تجده متحرِّياً ورعاً في مواقف أو أبواب أخرى!.**

- ويصلح لهؤلاء ما قاله ابن عمر رضي الله تعالى عنهما لمن سأله عن دم البعوض من أهل العراق: يسألونني عن دم البعوض وقد قتلوا الحسين. اهـ.

- وســـأل رجلٌ بِشْـــرَ بن الحارث عن رجـــل له زوجة، وأمـــه تأمرُهُ بطلاقها، فقال: إن كان يبر أمه في كل شيء، ولم يبقَ من برها إلَّا طلاق زوجـــه؛ فليفعل، وإن كان يبرهـــا بطلاق زوجه ثم يقـــوم إليها بعد ذلك فيضربها فلا يفعل. اهـ.

- وســـئل الإمام أحمد رحمه الله تعالى عن رجل يشـــتري بقلاً ويشترط الخوصة (التي تربط حزمة البقـــل)، فقال أحمد: إيش هذه المســـائل! فقيل له: إنه إبراهيم بن أبي نُعيم، فقال الإمام أحمد: إن كان إبراهيم بن أبي نعيم فنعم.

الحديث الثاني عشر

مِنْ حُسْنِ إِسْلامِ المَرْءِ تَرْكُه مَا لا يَعْنِيه

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مِنْ حُسْنِ إِسْلامِ المَرْءِ تَرْكُهُ مَا لا يَعْنِيه**» رواه الترمذي وحسَّنه.

۞ ۞ ۞

- **في الحديث إشارة إلى أنَّ الإسلام يزيد وينقص**، وذلك على قدر امتثال الإنسان لهدي الوحي أو ضياع ذلك منه: «**مِنْ حُسْنِ إِسْلامِ المَرْءِ تَرْكُهُ مَا لا يَعْنِيه**».

- **يرعى الإسلام شؤون الإنسان، ويرتب له حياته**، ويعينه على استثمار عمره في الأنفع والأصلح له: «**مِنْ حُسْنِ إِسْلامِ المَرْءِ تَرْكُهُ مَا لا يَعْنِيه**».

وذلك من أعظم الأدلة على كمال الشريعة وأناقتها وجمالها، ورعايتها لمصالح الإنسان في الدارين.

- **كل مسألة وكل علم يُعْرض عليك لا يترتَّب عليه تطبيقٌ عمليٌّ في حياتك؛ فهو من الانشغال بما لا يعنيك.**

وكم من مسائل استفرغت وسع بعض طلاب العلم، وعاش في تحقيقها زمناً، وهي لا تدفعه خطوة واحدة إلى الدار الآخرة، وإنما تشغله وتؤخِّره، كما قال الله تعالى: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ [التكاثر: ١].

كالانشـــغال بالجنة التي أُهبط منها آدم: هل هي الجنة التي يدخلها المؤمنون يوم القيامة أو هي جنة خاصة؟! وما هي الطيور التي ذبحها إبراهيم عليه السلام في قصة التعرُّف على كيفية إحياء الموتى في سورة البقرة؟! أو ما صفة كلب أصحـــاب الكهف؟!.. ونحو ذلك من المســـائل التي لا تغني عامياً في شيء فضلاً أن تنفع طالب علم.

• **بناءُ كلِّ إنسان من طريقين: التخلية، والتحلية، وهذا الحديث أصلٌ في باب التخلية..** وعلى كل إنسان أن يجهد في تخلية نفسه وتطهيرها من كل ما يشوبها من عوارض الطريق.

ولا تأتي التحلية في الأصل إلَّا بعد بناء دور التخلية، وتطهير النفس من كل ما يشوبها، وحينئذ يستوي البناء.

• **انشغال الإنسان بغيره ضعف وعي، وقلة توفيق،** وعمر الإنسان أكبر من أن يضيع في معرفة أحوال الآخرين وترصُّد أخبارهم وأوضاعهم: «**مِنْ حُسْنِ إِسْلامِ المَرْءِ تَرْكُهُ مَا لا يَعْنِيه**».

• **كم هي الأوقات التي تُصْرف في وسائل التواصل الاجتماعي كمثال،** وتذهب في أخبار وأحداث ووقائع لا قيمة لها في حياة الإنسان، فضلاً عن مضرَّتها في مستقبل الأيام: «**مِنْ حُسْنِ إِسْلامِ المَرْءِ تَرْكُهُ مَا لا يَعْنِيه**».

• **كثيرون مشغولون بأحوال الناس؛** هذا طلَّق زوجه، وهذا راجعها، وهذا اختصم مـــع مديره، وذاك فُصـــل من عمله، والآخـــر أُقيل من وظيفته.. وأمثال هذه الأخبار التي من شـــأنها ضياع مستقبل الإنسان وعمره في أحاديث لا شأن لها بالآخرة: «**مِنْ حُسْنِ إِسْلامِ المَرْءِ تَرْكُهُ مَا لا يَعْنِيه**»..

فكيف إذا رصدت واقع كثيرين في القنوات الإعلامية على مختلف صورها وأشكالها!..

• **بعضهم لو سألته عن أركان الصلاة لما عدَّها لك**، ولو استنطقته الفاتحة لما أحسن قراءتها، ولو سألته عن رواتب كثير من الموظفين وأوضاعهم لسردها عليك لا يخلُّ منها بشيء، وآخر يمكن أن يحكي لك ظروف العالم وأوضاعه ومشكلاته ولم يتفقَّد صلاته بعد، أو يحسن استثمار عمره في شيء نافع: «**مِنْ حُسْنِ إِسْلامِ المَرْءِ تَرْكُهُ مَا لا يَعْنِيه**».

• **ومثل ذلك وأسوأ من يدير شأناً عامّاً بلسانه**، ويخوِّن في بعض القضايا، ويوزِّع التهم على كثيرين من حوله؛ وهي ليست من شأنه ولا مساحته، ولا يمكن أن يتم على حديثه أي صورة تطبيقية عملية: «**مِنْ حُسْنِ إِسْلامِ المَرْءِ تَرْكُهُ مَا لا يَعْنِيه**».

• **لا يأتِ على بالك في هذا الباب أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الانشغال بغيرك؛ فإنه من شريعة الله تعالى، وواجب كفائي**؛ إن لم يقم به غيرك ويسد واقعه في ذلك وإلَّا كنت آثماً على تفريطك: «**مِنْ حُسْنِ إِسْلامِ المَرْءِ تَرْكُهُ مَا لا يَعْنِيه**».

• رأيتُ بعض الكبار إذا دخل بيتاً لم يحسن الالتفات في أركانه، ولا يمكن أن يسألك عمَّا يجري في حياتك إلَّا إذا شاورتَه في ذلك، **ويرى أن من الأدب ألَّا يتسوَّر على الآخرين محاريب بيوتهم وأحوالهم إلَّا بإذنٍ**: «**مِنْ حُسْنِ إِسْلامِ المَرْءِ تَرْكُهُ مَا لا يَعْنِيه**».

• وبعضهم لو دق جوال صاحبه وهو أقرب ما يكون إليه ما التفت إليه، ولا أعاره نظره، **رعاية لأسرار الآخرين**، ولو أعطيته خطاباً ليوصله إلى فلان ما نظر إلى شيء فيه: «**مِنْ حُسْنِ إِسْلامِ المَرْءِ تَرْكُهُ مَا لا يَعْنِيه**».

وغيرهم بخلاف هذا الخلق تماماً؛ يهتك ستر المستور، ويبحث عن غوره، ويأتي لك بخفاياه، ولا يوصله إلـى أصحابه إلَّا وقد عبث بكل شيء فيه.

• قال أحدهم ذات مرة وهو يسـمع حديث الشاكين عمَّا يُكتب في دورات المياه، قال: والله ما سمحتُ لنفسي أن تقرأ حرفاً في ذلك المكان: «**مِنْ حُسْنِ إِسْـلامِ المَرْءِ تَرْكُهُ مَا لا يَعْنِيه**» وعلى مثل هذا المعنى الكبير تجري أحداث الحياة.

• **من كمال عقلك وسلامة دينك: أن تتربَّى على ألَّا تخوض في شيء لا يترتَّب عليه عمل ينفعك في الدارين:** «**مِنْ حُسْـنِ إِسْـلامِ المَرْءِ تَرْكُهُ مَا لا يَعْنِيه**».

• **كان السلف رحمهم الله تعالى يرعون ألسنتهم عن الخوض فيما لا يعنيهم:**

ـ قال **عمر بن عبد العزيز**: من عدَّ كلامَه من عمله قلَّ كلامُه إلَّا فيما ينفعه. اهـ.

ـ ولما سُـئل **لقمان** عمَّا بلغ به منازل الكبار، قال: صدق الحديث، وطول السكوت عما لا يعنيني. اهـ.

ـ وحين دُخـل على بعض الصَّحابة في مرضـه؛ رؤي وجهه يتهلَّل؛ سئل عن سبب تهلل وجهه، فقال: ما من عمل أوثق عندي من خصلتين: كنت لا أتكلَّم فيما لا يعنيني، وكان قلبي سليماً للمسلمين. اهـ.

ـ وهذه أخبار الكبار، ومن أراد اللحاق فلا أقل من أن يتمسَّك بذات الطريق.

الحديث الثالث عشر

لا يُؤمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيْهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ

عن أَنَسِ بْنِ مَالكٍ رضي الله عنه، عَنِ النبِيِّ ﷺ، قالَ: «**لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**» رواه البخاري ومسلم.

❁ ❁ ❁

- **حرص الإسلام على بناء الجماعة المسلمة من خلال جملة من التوجيهات والتنظيمات** التي تسهم في حفظ لحمتها، وبناء شملها، وتجاوز الظروف العارضة التي تُلِمُّ بها، ومن هذا المعنى: **حرصها على العناية بشأن القلوب وسلامتها: «لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»**.

- **ترتَّب على التفريط في هذا المعنى: «لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ» مخاطر كبيرة**؛ بدأت من الفرد، مروراً بالأسرة، ثم المجتمع، حتى عم الخلاف الأمة وبلغ منها مبلغاً أدى إلى فرقتها وخلافها ونزاعها وشقاقها، حتى أصبحت كَلَأً مستباحاً للعدو في كثير من قيمها وقضاياها.

- **«لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ»: لا يؤمن الإيمان الكامل**؛ لأن هذا الإثم موجب لنقص إيمانه وضعفه، ومثل ذلك: **«لا يُؤمن أحدُكم حتَّى أكونَ أحبَّ إليه مِنْ ماله وأهله والنَّاس أجمعين»**.

ومثله كذلك: «**والله لا يُؤمِنُ، واللهِ لا يُؤْمِنُ، واللهِ لا يُؤْمِنُ**» قيل: مَنْ يا رسولَ الله؟ قال: «**الَّذي لا يَأْمَنُ جارُهُ بوائِقَه**».

• «**حتَّى يُحِبَّ لأخيه ما يُحِبُّ لنفسه**» من الخير والنجاح والتوفيق الذي يصيبه الإنسان لنفسه، **ويكره له كذلك ما يكره لنفسه** من الشر والإخفاق والعقبات وسوء التوفيق.

• «**حتَّى يُحِبَّ لأخيه ما يُحِبُّ لنفسه**» يجري **فيما كان متعلِّقاً بأمور الدِّين**؛ كأن يحب له: الهداية، والإيمان، وصلاح القلب، ومتانة الدين، وحسن الخلق. ويجري كذلك **فيما يتعلق بأمور الدنيا**؛ كأن يحب لأخيه: سعة الرزق، ويحب أن يكون لأخيه مثل ما له في: الجاه، والمنزلة، والمكانة أو المال، ونحو ذلك.

• **من فقه عقلك ومتانة دينك: أن تُعنى بقلبك، وتهتم به، وترعاه من كل طارئ يؤدي إلى تسلل الأمراض إليه.**

ـ وقد بلغت سلامة قلب **ابن عباس** رضي الله تعالى عنهما؛ حتى قال: إني لأمرُّ على الآية من كتاب الله تعالى، فأود أن الناس كلهم يعلمون منها ما أعلم. اهـ.

ـ وقال **الشافعي** رحمه الله تعالى: وددت أن الناس تعلَّموا هذا العلم، ولم ينسب إليَّ منه شيء. اهـ.

ـ وكان أحد السلف إذا أراد أن يفطر من صومه قال لبعض من حوله ممَّن لم يصم: أخرج إليَّ ماء أو تمرات أفطر عليها ليكون لك مثل أجري. اهـ.

فأين هذا من:

ـ **طالبِ علمٍ** يشحُّ بما آتاه الله تعالى على إخوانه، وإذا وجد كتاباً أو علماً أو شيئاً يبلِّغه مناه فرح به وسُرَّ، ثم خبأه عن إخوانه وزملائه حسداً وترفعاً عليهم.

ـ أو **صاحب بيت** تمنى من كل قلبه ألَّا يشاركه أو يشابهه في ذلك البناء أحد، وإذا جاءه صديق يسأله عن بعض ما في بيته من جمال اغتم وكره ذلك، واعتذر بألف عذر.

ـ أو رُزق مالاً وطريقاً للكسب، وضن على إخوانه أن يبلغهم بالطريق ليلحقوه في ذلك الطريق.

• **الأصل أن الحسد جِبِلِّي في قلب كل إنسان**، فقد جُبل الإنسان على ألَّا يدانيه أحد في شيء.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: والمقصود أن الحسد مرض من أمراض النفس، وهو مرض غالب فلا يخلص منه إلَّا قليل من الناس، ولهذا يقال: ما خلا جسد من حسد. ولكن اللئيم يبديه والكريم يخفيه. وقد قيل للحسن البصري: أيحسد المؤمن؟ فقال: ما أنساك إخوة يوسف لا أبا لك؟! ولكن عَمِّه في صدرك؛ فإنه لا يضرك ما لم تَعَدَّ به يداً أو لساناً.

ثم ذكر رحمه الله علاج ذلك، فقال: فمن وجد في نفسه حسداً لغيره فعليه أن يستعمل معه التقوى والصبر، فيكره ذلك من نفسه، وكثير من الناس الذين عندهم دين لا يعتدون على المحسود؛ فلا يعينون من ظَلَمه، ولكنهم أيضاً لا يقومون بما يجب من حقه، بل إذا ذمه أحد لم يوافقوه على ذمه، ولا يذكرون محامده، وكذلك لو مدحه أحد لسكتوا، وهؤلاء مدينون في ترك المأمور في حقه، مفرطون في ذلك، لا معتدون عليه، وجزاؤهم أنهم يبخسون حقوقهم فلا يُنصَفون أيضاً في مواضع، ولا يُنصَرون على من ظلمهم كما لم ينصروا هذا المحسود، وأما من اعتدى بقول أو فعل فذلك يعاقب.

ومن اتقى الله تعالى وصبر فلم يدخل في الظالمين؛ نفعه الله تعالى بتقواه، كما جرى لزينب بنت جحش ﵂ فإنها كانت هي التي تسامي عائشة من أزواج النبي ﷺ، وحسد النساء بعضهن لبعض كثير غالب، لا سيما المتزوجات بزوج واحد.. وهكذا الحسد يقع كثيراً بين المتشاركين في رئاسة أو مال؛ إذا أخذ بعضهم قسطاً من ذلك وفات الآخر، ويكون بين النظراء لكراهة أحدهما أن يفضِّل الآخر عليه؛ كحسد إخوة يوسف، وكحسد ابني آدم أحدهما لأخيه؛ فإنه حسده لكون أن الله تعالى تقبَّل قربانه ولم يتقبل قربان هذا، فحسده على ما فضله الله تعالى من الإيمان والتقوى.. وفي الحديث: «**ثلاثٌ لَا يَنْجُو مِنْهُنَّ أَحَدٌ: الحَسَدُ، والظَّنُّ، والطِّيَرَةُ، وسَأُحَدِّثُكُمْ بما يُخْرِجُ مِنْ ذلك: إذا حَسَدْتَ فَلَا تُبْغِضْ..**» اهـ.

ومن أعظم ما يعالج به مرض الحسد: دعاء الله ﷻ أن يخلصه من آثار ذلك، ويعينه على مراضي الله تعالى في هذا الشأن.

وعلى من ابتلي بهذا المرض أن يعارضه ويقابله بجملة من التطبيقات التي توهنه وتذبله في قلب صاحبه؛ كالفرح بنجاحات الآخرين، وتهنئتهم على ذلك، ومشاركتهم أفراحهم، وحثهم على النجاح، ودعم من يستحق ذلك الدعم، وعونه بالمال والتشجيع، ومساعدته في تسهيل طريقه؛ فإن هذه الخطوة كفيلة بإذن الله تعالى بِسَلِّ سخائم النفوس، وبرء تلك الجروح، وانقلابها إلى أفراح مع الأيام.

• **لا يدخل في هذه المسائل الإيثار بالقُرَبَ**، ومن آثر غيره بقربة من القرب فقد وقع في الكراهة؛ لأن في ذلك مخالفة لما أمر الله تعالى به من المسارعة والمسابقة في أبواب الطاعات، بخلاف الإيثار في أمور الدنيا؛

كالطعام والملبس والمركب ونحوها؛ فالإيثار في هذه الأمور مستحب، كما قال الله تعالى في وصف المؤمنين: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩].

• **لا تضادَّ بين هذا المعنى الذي يقرره الحديث، وطلب المنافسة والمسابقة والمسارعة في الخيرات، ومحبة الإنسان لنفسه في هذا المجال أكثر ممَّا يحبُّ لإخوانه**؛ فقد نافس أبو بكر عمر رضي الله تعالى عنهما، فجاء أبو بكر بكل ماله، وجاء عمر بنصف المال، ولكن ليس من لازم هذه المسارعة والمسابقة الشحناء والبغضاء والحسد لأخيك وتمني زوال النعمة عنه. والله تعالى أعلم وأحكم.

الحديث الرابع عشر

لا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مسلمٍ إلَّا بإحْدى ثلاثٍ

عن ابنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**لا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إلَّا بإِحْدَى ثَلَاثٍ: الثَّيِّبُ الزَّاني، والنَّفْسُ بالنَّفْسِ، والتَّارِكُ لِدِينِهِ المُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ**» رواه البخاري ومسلم.

• **الإســـلام يحرِّم الاعتداء على الناس**، ويجرِّم قتل الأبرياء، وإراقة الدماء، وهو الأصل في الشـــريعة، وما عداه عارض لسبب يقتضي ذلك لمصلحة كبرى في دين الله تعالى.

• **تُحرِّم الشريعة الفوضى**، وتقف لها في عرض الطريق، وتمنع كل ســـبب يبعثر الأمن، ويخلق العبث، ويجلب الشتات للمجتمعات، وهذا النهي عن الاعتداء على الآخرين مانع من حدوث الفوضى، وحائل دون أسبابها في الحياة.

• **الأصل حرمة قتل المسلم أو الاعتداء عليه**؛ فإذا خالف هذه الشريعة فزنى وهو محصن؛ أي: ســـبق له الوطء في نكاح صحيح، أو قتل نفساً معصومة بغير حق، أو ارتد عن دينه؛ فتبيح الشريعة دمه، وتجيز قتله، فلا يأتي متشـــدِّق يردد أن الشـــريعة لا تتورَّع في إراقة الدماء بســـبب قتلها

لهؤلاء؛ فإن هذا عارض وليس الأصل، وهو كذلك إنما شُـرع لمصالح كبرى لا يمكن إقامتها إلَّا من خلال هذا المعنى الكبير.

• **إقامة الحدود تنتظم بها الحياة، وينتشـر بها الأمن، وتسود بها النِّعَم**، قال تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ ﴾ [البقرة: ١٧٩].

ومن تأمل إقامة الحدود في مساحة ما؛ أدرك ما خلَّفته من ربيع في واقعها، ومن رأى الفوضى في البلاد التـي لا تقيم هذه الحدود؛ علم صلاح شريعة الله تعالى للأولين والآخرين.

• **حرص الإسـلام على الجماعة، وجمع الكلمـة، وائتلاف الرأي**، وتخاصم الشريعة وتحارب وتنازع مظاهر الفرقة والشقاق والخلاف في كل مظاهرها.. «**والتَّارِكُ لِدِينِهِ المُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ**».

الحديث الخامس عشر

مَنْ كانَ يُؤمنُ باللهِ واليومِ الآخرِ فليقلْ خيراً

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قالَ: «**مَنْ كانَ يُؤْمِنُ باللهِ واليومِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْراً أو لِيَصْمُتْ، ومَنْ كانَ يُؤمِنُ باللهِ واليومِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ، ومَنْ كانَ يُؤْمِنُ باللهِ واليومِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ**» رواه البخاري ومسلم.

- **من فقهك وكمال وعيك: أن تراقب لسانك**، وتعتني بقولك، وتجهد في استثمار كلمتك فيما ينفعك في الدارين: «**مَنْ كانَ يُؤْمِنُ باللهِ واليومِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْراً أو لِيَصْمُتْ**».

- **عليك أن تزن كلامك بميزان الشريعة**؛ فما كان منه يقربك إلى ربِّك ويثير مساحة دينك، ويوسِّع في مباهج رسالتك في الحياة؛ فقله لا تتردد فيه، وما كان منه يحمِّلك ديوناً من أعراض المسلمين، أو يقف حجر عثرة في طريق دينك ورسالتك، فأمسك عنه واحذره، وإياك من أوزاره وأثقاله: «**مَنْ كانَ يُؤْمِنُ باللهِ واليومِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْراً أو لِيَصْمُتْ**».

- **إذا أردت أن تعرف قدر الكلمة وأثرها فاقرأ** حديثَ نبيِّك ﷺ: «**وإِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ تَعَالى؛ يُحِلُّ اللهِ تَعَالى عَلَيْهِ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، وإِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سُخْطِ اللهِ تَعَالى لَا يُلقِي لَهَا بَالاً؛ تَهْوِي بِهِ فِي النَّارِ أَبْعَدَ مَا بَيْنَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ**».

وفي القرآن: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [قَ: ١٨].

• كم من كلمة أعاقت إنساناً في الطريق! وكتبت على آخر الإخفاق في الحياة! وفرقت جمع أسرة! وأوصدت باباً أمام آمال كثيرين!.. وكم في المقابل من كلمة فتحت آفاقاً للحياة في قلوب العالمين!.

الفأل والأمل هو صناعة كلمة، والإخفاق واليأس والفشل هو كذلك صناعة كلمة!: «مَنْ كانَ يُؤْمِنُ بالله واليومِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْراً أو لِيَصْمُتْ».

• **كثيرة هي مساحات الكلام الذي لا قيمة له في مثل زمانك**، ومثلك أوعى بكتابة تاريخك، وسلامة طريقك، في مثل هذا الفراغ الكبير: «**مَنْ كانَ يُؤْمِنُ بالله واليومِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْراً أو لِيَصْمُتْ**».

• **أدرك السَّلَفُ رضوان الله تعالى عليهم خطرَ الكلمة:**

ـ فكان **كعب** يقول: العافية عشرة أجزاء؛ تسعة منها في السكوت. اهـ.

ـ وقال **الأوزاعي**: ما بلي أحد في دينه ببلاء أضر عليه من إطلاق لسانه. اهـ.

ـ والأصل أن الغنائم في السكوت ما لم يكن عجزاً عن منكر يحتاج إلى إيقاف، أو معروف يحتاج إلى دعم ومؤازرة.

• **العلاقة مع الآخرين دين يتعبَّد به الإنسان لربه، ويرقى به في منازل الدارين: «ومَنْ كانَ يُؤمنُ بالله واليومِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ، ومَنْ كانَ يُؤْمِنُ بالله واليومِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ».**

وكم نشأ من خلل في هذا المفهوم فأصبح الإنسان يدير شأن العبادة في المسجد ويراها كلَّ شيء، ويتهوَّك في حقوق الأقربين لأدنى سبب.

• **في الحديث دعوة إلى الجماعة، وإثراء واقعها في حياتنا؛ من خلال بعض الممارسات** التي يؤكِّد عليها دين الله تعالى، ويبعث مباهجها في النفوس: «**ومَنْ كانَ يُؤمنُ باللهِ واليومِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ، ومَنْ كانَ يُؤْمِنُ باللهِ واليومِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ**».

• **تبدأ الجماعة من الفرد** من خلال تعامله وتكاتفه مع أسرته، ومن حوله من الجيران والضيفان، وإذا حرص الإنسان على اكتمال هذه اللبنة تم البنيان وأتى يوماً على الكمال: «**ومَنْ كانَ يُؤمنُ باللهِ واليومِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ، ومَنْ كانَ يُؤْمِنُ باللهِ واليومِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ**».

• **إكرام الجار والإحسان إليه دين**؛ تجري فيه مساحات الأجور والحسنات، ويجري فيه كذلك السؤال والعقاب والحساب على التفريط والضياع، وهو وصية الله تعالى: ﴿وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ﴾ [النساء: ٣٦].

وقال ﷺ: «**ما زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بالجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثه**».. «**ومَنْ كانَ يُؤْمِنُ باللهِ واليومِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَه**».

• **الجيران ثلاثة:**

- الجار المسلم القريب: وله ثلاثة حقوق: حق الجوار، وحق القرابة، وحق الإسلام.

- والجار المسلم البعيد: له حقان: حق الجوار، وحق الإسلام.

- والجار غير المسلم: له حق واحد؛ وهو حق الجوار.

• **من حقوق الجار**: بذل كل معروف إليه، وزيارته، والسؤال عنه، ومساعدته في كل ما يحتاج إليه، وحفظه في أهل بيته، وكف كل شر عنه حِسّيّاً كان أو معنويّاً: «**ومَنْ كانَ يُؤْمِنُ باللهِ واليومِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَه**».

• **في مثل زماننا كثرت المعرفة بحقوق الجيران، ونضب واقع التطبيق إلى حدٍّ كبير، بل تحولت مع الزمن إلى نزاع وشقاق وخلاف،** وكم من جيران اشتعلت بينهم نيران الخلاف حتى بلغت مداها، والله المستعان! «**ومَنْ كانَ يُؤْمِنُ باللهِ واليومِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَه**».

• **إكرام الضيف من مكارم الأخلاق، وحقوق المسلمين على بعضهم،** ومن قام بهذا الواجب استشعاراً لهذا المعنى: «**ومَنْ كانَ يُؤْمِنُ بالله واليومِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ**» فقد تحقَّق له شيء عظيم.

• **الأصل أن إكرام الضيف واجب في يومه الأول، وما عدا ذلك سُنَّة،** وفي الحديث: «**مَنْ كانَ يُؤْمِنُ باللهِ واليومِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ جَائِزَتَهُ**» قالوا: وما جائزتُه يا رسول الله؟ قال: «**يَومُهُ ولَيْلَتُهُ، والضِّيافةُ ثلاثةُ أيَّامٍ**».

• **تحوَّلت هذه الشريعة ـ أعني: إكرام الضيف ـ في كثير من الأوضاع والأحوال إلى كلفة ومشقة وعنت في حياة صاحبها، ومن ثم تضاءلت لهذه الأسباب؛** حتى كان أحب للإنسان وهو في أرض غربة أن يستأجر ولا يدخل على صاحبه ليشق عليه ويعنته.

• من الجهل: أن يكون الإكرام في أذهان كثيرين محصوراً على الذبائح، بل **الأصل في الإكرام: أنه يجري بكل ممكن، وحسب طاقة الإنسان وقدرته،** ولا يكلف الله تعالى نفساً إلَّا وسعها، وقصة إبراهيم عليه السلام في إكرام ضيفه دليل على الكمال وليس على الواجب.

• ترتَّب على هذا الفقه أن **يستدين** إنسان في ليلة واحدة آلاف الريالات لإكرام ضيفه، ويصبح مرهوناً بالديون، وهو ربما لا يستطيع أن يوفي بعض مستلزمات أسرته الرئيسية.. وترتَّب على ذلك أن من لم يكرم بمثل هذه المبالغ الضخمة وإلَّا فهو ناقص بخيل... **وكل هذا من الجهل بدين الله تعالى والفوضى في فقه النصوص على غير أبوابها**. والله المستعان!.

الحديث السادس عشر

لا تَغْضَبْ

عَنْ أَبِـي هُرَيْـرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَجُلاً قـالَ للنبـيِّ صلى الله عليه وآله: أَوْصِنِي، قال: «لَا تَغْضَبْ» فردَّدَ مِرَاراً، قال: «لَا تَغْضَبْ» رواه البخاري.

* **من لطيف أدب طالب العلم: أَلَّا يسأل عن أشياء لا أثر لها في علمه وواقعه**، فهذا السائل لم يُعرف اسمه، وليس من شأن العلم السؤال عنه، ويكفي ما ورد في الحديث من توجيه.

* **حرص الصحابة رضي الله عنهم على السؤال فيما ينفعهم**، واغتنام الفرص فيما يدفعهم للمعالي: (أن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم: أوصني).

ومـن فواتح التوفيق على طالـب العلم: أن يكثر من سـؤال العلم، ويعتني به، ويغتنم وجود أهل الفضل؛ فقد قيـل لابن عباس: بِمَ بلغت العلم؟ قال: بلسان سؤول، وقلب عقول. على أن يكون السؤال في النافع المتين من العلم.

* **إذا وجـدت عالمـاً أو صاحب تجربة فـلا تفوِّت فرصة سـؤاله والاسـتئناس برأيه**، وكم من كلمة ألقت بفألها في قلب سائل! وكم من تجربة كان يكفي فيها سؤال عارض!..

* **ينبغي على المسؤول أن يعرف حال صاحبه ويوصيه بما هو أفضل وأحسن**، وإذا لم يكن يعرف عنه شيئاً فينبغي أن يسأله ويستبصر من حاله

حتى تكون وصيته نافعة في مقامها وأثرها.

• **الغضب مرض إذا استحكم من إنسان قضى على كل مصالحه، ووأد كل خيراته، وفوَّت عليه مصالح الدارين.**

كم من بيوت بعثرها الغضب؛ فوأد جمعها، وشتَّت شملها، وأعقبها الطلاق والفراق والضياع! وكم من نفوس أزهقها! ودماء أهدرها! وكم من خَلْقٍ في السجون من سنوات ينتظرون قصاصاً للحظة غضب لم يحسن صاحبها لجامها!.

• **من فقه الإنسان ووعيه: أن يعرف عاداته السلبية، ويعتني بتحليلها، ويركِّز على علاجها**، ويجهد في التخلُّص منها قدر وسعه، ويكثر من دعاء الله تعالى أن يعينه على تجاوز هذه المعاني الجالبة لسوء التوفيق في حياته.

• «**لَا تَغْضَبْ**» دعوة إلى تجنب الغضب، وأن **في إمكان الإنسان مغالبة عاداته، وتوقيها، والتخلُّص منها**، أو حتى ترقيق شأنها وآثارها في مستقبل الإنسان.

• **الوسائل لها أحكام المقاصد**، وقول رسول الله ﷺ: «**لَا تَغْضَبْ**» نهي عن فعل أسباب الغضب، وأنت أعرف بحالك؛ فإذا علمت أنك إذا صنعت شيئاً، أو دخلت في موضوع غضبت وخرجت عن طورك؛ فتجنبْ ذلك قدر وسعك.

• الأصل أن الغضب من شيم الرجال، ومن لا يغضب لا تنتظر منه عوناً في فضيلة، وكم صنع الغضب مواطنَ عزٍّ لم تكن لولاه! وميت الإحساس لا تقوم به ناصية، ويقتلك وهو بين يديك. **وليس مقصود الإسلام أن تتخلَّص من غرائزك بالكلية، وإنما تحاول فعل الأسباب التي تجنبك ثورة الغضب في غير طريقها**، وتخلصك من آثاره.

• **ورد في الشـــريعة جملة من العلاجات لهذا المرض:** كالاستعاذة، والوضـــوء، وتغيير الحال من القيام إلى الجلـــوس، أو من الجلوس إلى الاضطجاع، وتغيير المكان، وكل إنســـان أبصر بحاله، وأعرف بنفســـه، وأقدر على تجنيب حياته آثار هذا المرض والنجاة بها من تبعاته.

الحديث السابع عشر

إنَّ الله كتبَ الإحْسَانَ على كلِّ شيء

عَنْ أَبِي يَعْلى شَـــدَّادِ بنِ أَوْسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قالَ: «**إنَّ اللهَ كَتَبَ الإحْسَانَ على كُلِّ شــيءٍ، فإذا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِــنُوا القِتْلَةَ، وإذا ذَبَحْتُمْ فأحْسِنُوا الذِّبْحَةَ، ولْيُحِدَّ أحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، وَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ**» رواه مسلم.

۞ ۞ ۞

- **الإحســـان منه ما هو واجب**؛ وهو ما كان في الفرائض، والتوحيد، ونحو ذلك، بالقدر الــذي يجعل العبادة صحيحــة ومقبولة. **ومنه ما هو مستحب**؛ كسائر المندوبات والمستحبات: «**إنَّ اللهَ كَتَبَ الإحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ**» ويجري في شأن الإنسان خاصة وفي التعامل مع غيره لا فرق.

- **الإحســـان في التعامل مع ربك**؛ وفق حديــث جبريل الطويل في تعريف الإحسان: «**أنْ تَعْبُدَ اللهَ كأنَّكَ تَرَاهُ، فإنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإنَّهُ يَرَاكَ**».

فينبغي أن تتعبَّد لله تعالى كأنك ماثل بين يديه، فإن لم يكن سبيل إلى هذا الحال فينبغي أن تستشــعر أنه يراك ويرقبك في كل شــأنك خاصه وعامه.

وهذا المقام مقام عظيم، وهو شــأن الأولياء والصادقين، وإذا أُعطي حقه صار صاحبه في منازل المتقين.

• **إذا تأملت واقع كثير من أحوال المسلمين اليوم رأيت ضعفاً ظاهراً في هذا المعنى**؛ فكم من مصلٍّ ينقر صلاته لا يدري كم صلَّى! ويقرأ القرآن ويهذه هذّاً لا يفقه منه شيئاً، ويقوم على شؤون عبادات كثيرة كالصيام والصدقة والحج وهو لا يشعر فيها بمواقف الإجلال، فضلاً أن يقف فيها مواقف الإحسان.

• **ومن الإحسان في التعامل مع ربك: أن تخلص له العبادة**، وألَّا يأتي في قلبك مخلوق، وأن تتخلَّص من صور الرياء التي تحيط بالعمل وتحبط صوره وآثاره في واقعك.

• **الإحسان مع نفسك**؛ فتأتي بما أمرك الله تعالى على وفق سُنَّة نبيه ﷺ، وتؤدي العمل على مراد الله تعالى، وتجتهد في كل ذلك حسب وسعك، وتتوسط في أمورك كلها، ولا تشق على نفسك مشقة لا تحتملها، ولا تفرِّط فيما ينفعك في الدارين، كما جاء في حديث النفر الثلاثة؛ فقال أحدهم: إنه يصلي ولا ينام، وقال الثاني: إنه يصوم ولا يفطر، وقال الثالث: إنه لا يتزوَّج النساء، قال ﷺ: «**لكني أصلي وأنام، وأصوم وأفطر، وأتزوَّج النساء؛ فمن رغب عن سنتي فليس مني**».

• **ومن الإحسان في هذا الباب: أن تستثمر أيام القرب والطاعات**، وأن تستنفر فيها قدراتك بأوسع ما يكون، وقد كان نبيُّك ﷺ وسطاً في كل شيء، ويقف في جوف الليل حتى تفطرت قدماه.

وإذا فتح الله تعالى لك في شأن من شؤون العبادة فالزمه، وإياك والتفريط فيه، وإذا رأيت من نفسك إقبالاً على شيء فابسط لها فيه، وإذا رأيت منها إدباراً عن شيء فترفَّق بها، وحافظ على أصله وقاعدته حتى تنشط وتقبل من جديد.

• **ومن الإحسان: أن تحسن في التعامل مع الخلق؛** فتؤدي حقوقهم، وتكف عن ظلمهم، وتكافئ محسنهم، وتتجاوز عن مسيئهم، وتتصدق على محتاجهم، وتتعامل معهم وفق منهج الوحي: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، وكلما رعيت هذا الحق وأحسنت فيه كلما رقيت درجات في باب الإحسان.

• **ومن الإحسان: أن تقوم بشأن الأولويات في التعامل مع الآخرين؛** فوالداك أصلٌ وأهمُّ وقاعدةٌ، ثم رحمك الأقرب فالأقرب، ثم جارك، وصديقك ومن عداهم، وترعى أصل دينك: الشهادة، ثم الصلاة، ثم ما بعدها من أركان.. وهكذا تجري في كل شيء على ما أولاه شرعك اهتماماً، وجعله رأساً وقاعدة قبل كل شيء.

• **ومن الإحسان: أن تحسن لمخلوقات الله تعالى من البهائم ونحوها؛** بإطعام جائعها، وسقي عطشانها، ورعاية مريضها، وعدم أذيتها ما لم تؤذ الإنسان وتتسبب في ضرره، وفي الحديث: أن بغيّاً سقت كلباً يلهث من شدة العطش، فغفر الله تعالى لها، وقال ﷺ: «**في كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ**».. وفي الحديث: «**وإذا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَةَ، ولْيُحِدَّ أحَدُكُمْ شَفْرَتَه ولْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ**».

• **ومن الإحسان: إحسان القتل؛ سواء مع الإنسان، أو حتى مع الحيوان،** فإذا وجب القصاص أو الحد على الإنسان، فيجب إحسان القتلة؛ فلا يعذب قبل القتل أو في أثنائه إلَّا ما وردت به الشريعة، ومثل ذلك: إذا أراد الإنسان ذبح دابة من الدواب، فينبغي أن يحسن قتلها بما هو أسرع لها وأريح، وألَّا يعرضها للعذاب أو العنت والمشقة: «**وإذا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَةَ، ولْيُحِدَّ أحَدُكُمْ شَفْرَتَه ولْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ**».

• تعلِّمنا هذه الشريعة كيف يكون الإنسان أنيقاً؛ فائق التعامل، رائعاً في إدارة شأنه مع نفسه ومع غيره من المخلوقين، ومن اتهمها يوماً بأنها صانعة الإرهاب أو متعطشة للقتل؛ فليقرأ هذا الفصل من مباهجها وأناقتها في واقع الحياة.

الحديث الثامن عشر

اتَّقِ الله حيثُما كنتَ

عَنْ أَبِي ذَرٍّ جُنْدَبِ بْنِ جُنَادَةَ، وَأَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنهما، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: «**اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ**» رواه الترمذي وقال: حديث حسن.

- **هذا الحديث يمثل منهجاً في معرفة واجبات الإنسان**، وهو بمثابة القواعد التي تعينه على فقه أولوياته وكيف يتعامل معها.

- مشكلة كثيرين اليوم أنهم يفقهون حقوقهم ويدركونها على وجه التمام، ويناضلون في سبيل تحقيقها، ويفوتهم في الوقت ذاته معرفة الواجبات والقيام بتبعاتها، **والفقه الأكبر: أن تعرف واجباتك أولاً وتحسن القيام بها، ثم تشرع بعد ذلك في فقه حقوقك والطريق إلى بلوغها.**

- **التوازن أحد مقومات الحياة الكبرى، وأعظم الطرق للنجاح،** والخلل فيه مؤذن بالضياع، وإذا تأملت هذا الحديث وجدته يرعى حق الله تعالى، وحق نفسك، وحقوق الآخرين، وهو التوازن الذي من أمسك بزمامه وفقه معانيه أتى على آماله كما يريد: «**اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ**».

• «اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ»: **قاعدة في التعامل مع الله تعالى.**

والتقوى: فعل ما أمر الله تعالى، وترك ما نهى، وتعظيم شعائره تعالى. ومن قام بهذه الثلاث أدرك مناه وبلـغ مقصوده في هذا المعنى الكبير.. وهذه وصية الله تعالى للأوَّلين والآخرين، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١].

• **تتباين التقوى:**

ـ **فأصلها:** تحقيق التوحيد، والبراءة من الشرك، وتخليص القلوب من كل ما يحول بينها وبين تعظيم الله تعالى وإجلال شعائره.

ـ **ومنها:** فعل أوامر الله تعالى، وترك نواهيه، وتعظيم شعائره.

ـ **ومنها:** التـورع عـن المباحات، والابتعـاد عن الريـب ومواطن الشبهات..

وكلما صدق الإنسـان مع ربه تعالى أقبل على كل شيء، وإذا نقص الإيمان من قلبه تحلل من كثير من هذه المعاني، ووقع في درك المهلكات.

• «وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَـنَةَ تَمْحُهَا»: **هذه قاعدة من قواعد التعامل مع النفس..** وإحدى مشكلاتنا الكبار أننا نفقه التعامل مع كل أحد، ويفوتنا فقه التعامل مع هذه النفوس، وهي أوجب وأحرى ما يكون.

• **إذا فعلت سـيئة من السـيئات،** وخطأ من الأخطاء، ومعصية من المعاصي؛ **فأول الحلول وأهمها:** أن تستغفر ربك، وتؤوب إليه من جديد من خلال مشهد الحسنات بعدها، مع الندم على ما فات، والاستعتاب من الرب تعالى، والصدق في قادم الأيام: «**وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا**».

• **يحذِّر الحديـث من القنـوط واليأس والإخفـاق الذي يلاحق الإنسان بعد المعصية،** والفشل الذي يطارده حتى يشعره بأنه لا سبيل

للخلاص من تبعات الذنوب، ولا سبيل لفواتها من حياته: «**وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا**».

وهي دعوة في المقابل للفأل والأمل، وبقاء الفرص، وإمكانية التغيير والعودة للحياة من جديد.

• **الحديث نص في الصغائر التي تكفِّرها الصالحات بعدها، أما شأن الكبائر فهو بحاجة قبل الحسنات إلى توبة تجبُّ ما قبلها**، وتأتي على نهاياتها، ثم يقام صرح العمل الصالح بعد ذلك؛ لقوله ﷺ: «**الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ، والجُمُعَةُ إِلَى الجُمُعَةِ، ورَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ؛ مكفِّراتٌ لِمَا بَيْنَها مَا اجْتُنِبَتِ الكَبَائِرُ**» وفي رواية: «**مَا لَمْ تُغْشَ كَبِيرَةٌ**».

فكن من هذه الموبقات على حذر، وإياك وطريق الخسران، وإذا وقعت في حمأتها؛ فَلُذْ بباب ربك، وأطل الوقوف عليه، وأدمن الدعاء أن يعفو عنك، ويعينك على الخلاص منها.

• **هذه النافذة المطلَّة على الأمل في الشريعة لا يجوز بحال أن تكون باباً على الأمل الكاذب، ودعوة للتفريط في مقام الله تعالى، واستهانة بالحرمات**؛ فإن من أقبل على المعصية بهذه النية فلا يكاد يوفَّق بعد ذلك للعمل الصالح، ولا يفتح له باب خير، ويقف عاجزاً دون التعويض، بخلاف من وقع وقلبه يصطلي من أثر الحرمات، ولاذ بالحسنات لإطفاء تلك اللوعات والحسرات؛ فإن هذا موشك بصاحبه على بلوغ ما يريد، وفي الحديث: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ**».

• «**وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ**»: **هذه قاعدة في التعامل مع الآخرين**؛ تدعوك أن تلبس جلباب الخلق في كل تعامل تديره مع الناس، وما ترضاه

لنفسك في هذا الشأن فلتجره على غيرك، وما لا ترضاه لا يجوز لك بحال أن تتعامل به مع غيرك: **«ولا يؤمنُ أحدُكم حتَّى يحبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسه»**.

- **من قرأ نصوص الشريعة في الأخلاق بوعي، وفي قلبه حياة؛ لم يتخلَّف عن موارد هــذه الفرص بحال: «إنَّ مِــنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ، وأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِســاً: أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقاً»**.

«وإنَّ صَاحِبَ حُسْنِ الخُلُقِ يَبْلُغُ دَرَجَةَ الصَّائمِ الَّذِي لا يُفْطِرُ، والقَائِمِ الَّذي لا يَفتُرُ».

فتأمل وأنت ترعى هذا الجانب أنك أقرب إنســان إلى رسول الله ﷺ في الجنان، وأنك كالصائم الذي يُوالي بيــن أيامه، وكالقائم الذي لا يتخلَّف في كل ليلة عن القيام.

- **«وَخَالِقِ النَّــاسَ بِخُلُقٍ حَسَــنٍ» تبدأ بتجربتهــا الأولى وقاعدتها الضخمة مع والديك وأهل بيتك**، وزوجك وأبنائك، ثم رحمك الأقرب فالأقرب، ثم جارك، ثم عامة الخلق ومن تلقاه في الطريق.

ومن الأخطاء الشائعة في مثل زماننا: أن أول خاطر يجري على قلوبنا حين قراءة هذا الحديث أن ذلك في التعامل مــع الأصدقاء، ويفوتنا أن النبي ﷺ قال: **«خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي»**.

- **من مظاهر الخلل في زمانــك:** أن تجد من يضحك بملء فيه حين لقاء صديقه وزميل العمل، وإذا دخل بيته تشــكلت على وجهه تجاعيد الزمان، ومهلكات الدهر، وعقبات الحياة؛ فلا تكاد زوجه تراه باســماً، ويتوقَّون الحديث معه إلَّا في أوقات محدودة جدّاً، وتراه يلقى أصدقاءه؛ فيتبرع عنهم في ليلة واحدة بوجبة عشــائهم أو غدائهم بمئات الريالات، ويطول صراعه مع زوجه حين تطلب بطاقة شحن بعشرة ريالات.

• **نجاح الإنسان يبدأ أولاً من بيته**، ويمضي بعد ذلك إلى مسجد حيه، وجيرانه، ثم صديقه وزميله والعالمين، ومن لم يحسن البداية والخطوة الأولى فلا مفروح به بعد ذلك في أي مكان، وحين نزل جبريل عليه السلام على نبينا ﷺ أول مرة في حادث الغار، وعاد إلى بيته خائفاً قائلاً لخديجة: «**لقد خشيت على نفسي**» قالت كلمة تكتب بماء الذهب: **كلَّا والله لا يخزيك الله أبداً! إنك لتصلُ الرَّحِم، وتحمل الكَلَّ، وتَقْري الضَّيْف، وتكسبُ المعدومَ، وتُعِين على نَوائِبِ الحَقِّ**. وحق هذا الوصف أن يكون منهجاً للحياة!.

الحديث التاسع عشر

يا غلامُ إنِّي أعلِّمكَ كَلِماتٍ

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ، قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْماً، فَقَالَ: «**يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ**» رواه الترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح.

وفي رواية غير الترمذي: «**احفظِ اللهَ تَجِدْه تُجَاهَكَ، تعرَّفْ على الله في الرَّخَاءِ يَعْرِفْكَ في الشِّدَّةِ، واعلمْ أنَّ مَا أخطأكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، واعْلَمْ أنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وأنَّ الفَرَجَ مَعَ الكَرْبِ، وأَنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْراً**».

❁ ❁ ❁

- **من فقه الوالد، والمعلِّم، والمربِّي: أن يتعاهد صغاره ببناء المفاهيم والأفكار البنَّاءة، وأن يستثمر كل موقف يصلح للتوجيه في تربيتهم على** الوعي، وبناء التصورات في مستقبل أيامهم وقادم عمرهم: «**يَا غُلَامُ، إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ**».

• **لا تحتقر صغيراً من توجيه ونصيحة وكلمة معبِّرة**، فقد تأتي منها على أمانيك: «**يَا غُلَامُ، إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ**».

مَن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما حين قال له النبي ﷺ هذه الرسالة؟ وكم كان عمره حينها رضي الله تعالى عنه؟ وهاهو يحفظها لأمته أحوج ما تكون إليها، ويعيد وهجها في العالم من جديد.

• **إنّ صغير اليوم هو كبير الغد، وإذا اعتُني به مع الأيام صار صانع أحلام**، ومن وعيك وكمال فقهك: أن ترعى شأن ولدك، وطالبك، ومن تقوم على تربيته؛ حتى تأتي منه يوماً على أمانيك: «**يَا غُلَامُ، إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ**».

• «**احْفَظِ اللهَ**»: **احفظ أوامره وحدوده**، وقم بواجباته، واجتنب نواهيه، وعظِّم شعائره.

• «**يَحْفَظْكَ**»: **يحفظك في كل شأنك، في دينك ودنياك**:

- يحفظك في دنياك بحفظ بدنك، ومالك، وأهلك، وعقلك، ومصالحك، وكل شيء من حياتك.

- ويحفظك في دينك؛ بانشراح صدرك للخير، وضيقه من الشرور والمعاصي والآفات، ويخلي قلبك من تأثير الشهوات والشبهات، ويرغِّب إليك دينه ومشاهد الخير والصلاح، ويبغِّض إليك كل معصية أو فساد أو طريق من طرق الشياطين.

• **إذا وجدت خللاً في شأنك**، وضياعاً في أمرك، وشتاتاً في حياتك، وعدم بركة في وقتك، **فاعلم أن ثمة خلل في تحقيق هذا المفهوم في**

واقعك، يوجب لك اليقظة، ويعينك على الاستبصار في قادم الأيام: «**احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ**».

• «**إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ**»: توجَّهْ بقلبك ومشاعرك إلى الله تعالى، وإذا أردت حاجة لدينك أو لدنياك فسل الله تعالى أن يهيئها لك، ويقربها إليك، ويحققها لك؛ فإنه وحده المسؤول عن ذلك كله.

وإياك وسؤال المخلوقين، أو التوجه إليهم بقلبك ومشاعرك في قضاء حوائجك، فإنهم مثلك لا يملكون لأنفسهم نفعاً، فضلاً أن ينفعوا غيرهم بشيء.

وإذا سألتَ الله تعالى صادقاً أقْبَلَ بقلوب المخلوقين إليك، فقضوا لك حاجتك، وأعانوك على قضاء شؤونك.

• **مشكلة كثيرين اليوم: أن الأسباب تحولت إلى مقاصد**، وأول ما تقرع بابهم الحاجة أو المشكلة يهرعون للناس من أول وهلة، ولا يقوم في قلوبهم سوى المخلوقين، وفاتهم بذلك أعظم الأسباب في تحقيق ما يرجون؛ وهو التوجُّه إلى الله تعالى، والإقبال عليه، والاستفادة منهم على أنهم مجرد أسباب لا تقرِّب مطلوباً ولا تباعدك عن مرهوب.

• **كان السلف رحمهم الله تعالى يعون ذلَّ سؤال المخلوقين**، ويجهدون ألَّا تكون عليهم منّة لأحد من العالمين، فكان بعضهم يسقط سوطه وهو على بعيره وحوله من يمشي على ذات الطريق من الصحابة، وينزل عن بعيره ويأخذ سوطه استجابة لهذا المعنى الكبير: «**إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ**».

• من أدب بعضهم: أنه لا يسألك حاجة مهما بلغ صغرها، ولكنه في الوقت نفسه يستعلي أن ينهى الشارع عن شيء، ثم يقع في مخالفته وعياً بحقائق هذا المفهوم في الحياة: «**إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ**».

• **جرت سُـنَّة الله تعالى أن كل من عاش كَلّاً على غيره، معتمداً على من سواه؛ ذلَّ وصغر في أعين الآخرين**، ولعل من مقاصد الشريعة تعظيم قدر نفسـك، وألَّا تكون كَلّاً على غيرك مـن المخلوقين: «**إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ**».

• «**وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ**»: فهو الذي يعينك، ويقضي حاجتك، ويحقق لك ما تريد، **ولا تستعن بغيره من المخلوقين**؛ فإنهم لا يملكون لك شيئاً، والله تعالى أقدر على كل شؤونك.

• **تأصيل العقيدة من أعظم القضايا التي تُعين الإنسـان على العيش بطمأنينة وراحة واسـتقرار**، وتدفعه إلـى التعامل مـع مجريات الزمن بفاعلية، وتجنبه الأوهام والعقبات في عرض الطريق: «**وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ**».

• كم من إنسان تقدم لوظيفة ورشى فيها، وتوسَّل إليها بكل طريق، ولم يكتب له في النهاية شـيء؛ فلا هو الذي استبقى دينه، ولا هو الذي حصل على شـيء من مقاصد الدنيا الفانية: «**وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَـيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ**».

• **لا تعارض** بين هذا الحديث: «**رُفِعَتِ الأَقْـلَامُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ**» والذي فيه أن المقادير كتبت قبل أن يخلق الله تعالى السموات والأرض

بخمسين ألف سنة، وحديث: «**مَنْ أَرَادَ أَنْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، ويُبْسَطَ لَهُ في رِزْقِهِ؛ فَلْيَصِلْ رَحِمَه**» فإما أن يقال: إن الزيادة حقيقية ولكنها في صحف الملك الموكل به، وليس في اللوح المحفوظ، فيقال للملك: اكتب له كذا من العمر، وفي علم الله تعالى أنه يصل رحمه ويزاد على عمره ما شاء الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾ [الرعد: ٣٩]، أو يقال بأنها زيادة معنوية بالبركة في عمر واصل الرحم.

• «**تعرَّفْ على الله في الرخاء، يعرفْكَ في الشدة**»: **وهل جزاء الإحسان إلَّا الإحسان!.**

من تعرَّف على الله تعالى أيام الإقامة، والعافية، والسعة؛ تعرَّف الله تعالى عليه في أيام السفر، والمرض، والضيق، والحرج والمشقة، بعونه في سفره على قضاء حاجته، وتعويضه في أيام مرضه، وعونه في حالات الضيق والحرج والمشقة، وإبدال عسره وضيقه إلى فرج ويُسر، وليس أدلَّ على ذلك من حديث الثلاثة الذين أطبقت عليهم الصخرة ولم يجدوا بدّاً من سؤال الله تعالى بصالح أعمالهم؛ فكانت لهم مخرجاً وفرجاً.

• **لا يتوفَّق لأيام الطاعات الخاصة ومواسم الخيرات، إلَّا من عني بأوامر الله تعالى ومشاهد الطاعات في أيام عمره**، ومن لم يُقِمْ لطاعة الله تعالى شأناً في عمره العام؛ لم ينشرح صدره، ولا قوي جسده على القيام بحقوق الله تعالى في مواسم الخيرات والطاعات: «**تعرَّفْ على الله في الرخاء يعرفْك في الشدة**».

• **من أعظم القواعد في تحقيق الأمن والطمأنينة والراحة في حياتك: أن تعيش مؤمناً بهذه القاعدة: «واعْلَمْ أَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَمَا**

أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ» كم كانت جابرة لكسر كل مصاب، ومعينة لصاحب الأحداث على تجاوز مصابه وظروفه، وحائلة دون القلق والاضطراب والأوهام، ومن أدرك معناها وآمن به وقام به واقعاً في حياته عاش هانئاً مطمئنّاً.

• لو عرفتُ لتأخَّرتُ، ولو علمتُ لسافرتُ، ولو صنعتُ كذا لم يحدث لي كذا، وليتني فعلتُ وصنعتُ... ويعيش مريضاً ما بقي من عمره لمثل هذه الأوهام، وفاته قراءة هذا المعنى بإمعان: «**واعْلَمْ أَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ**».

• **كل من تخلَّف عن فقه هذه القاعدة: «واعْلَمْ أَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ»** والإيمان بها؛ **وقع في كثير من الأوهام**، وعاش قلقاً مضطرباً دهراً طويلاً من عمره.

• **من فقهك وكمال وعيك: أن تدرك أن خُلُق الصبر من أعظم الأخلاق الموصلة للخيرات: «واعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ»**.. وإذا رأيت ناجحاً فاعلم أن له علاقة وطيدة بهذا الخلق الكبير.

• **رحلة النجاح والتحدي والبناء، والعيش للأفكار الناهضة، والمفاهيم الكبرى؛ وقفٌ على خلق الصبر، وأثر من معانيه.**

• **من فتح الله تعالى له في هذا الخلق فقد فتح له كلَّ توفيق**، وقد أغفل الله تعالى مكافأة أهله مبالغة في عظيم أجرهم: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

وجعله أعظم مقومات أصحاب الإمامة: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤].

• **كل حالات الإخفاق والفشل التي واجهت إنساناً في الحياة؛ إنما**

واجهته لتخلُّف هذا الخلق فـي واقعه، وما حـالات الخلاف الزوجي، والطلاق، والمعاملات المعروضة في المحاكم، والمسجونين؛ إلَّا بعض الشواهد والأمثلة على ذلك.

• **إذا اشتدت أزمتك، وضاقت ظروفك، وأغلقت الأبواب في وجهك، وتعسَّرت قضيتك؛ فذلك الواقع هو بداية فرج أزمتك**، وتحوُّل ظروفك، وتحسُّـن واقعك، ووداع ليلك، وإقبال فجرك وأملك، فلا تبتئس: «**وأنَّ الفَرَجَ مَعَ الكَرْبِ، وأنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْراً**».

• **في عمق أحداثك وظروفك البائسـة**، وعقبـات طريقك الطويل؛ **تفاءل، فهذا وعد رسولك** على ذات الطريق: «**وأنَّ الفرَجَ مَعَ الكَرْبِ، وأنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْراً**».

• **إياك واليأس**! لا تقعد باكياً في منتصف الطريق، ولا تظل شـاكياً على المخلوقين! مهما بلغت مصيبتك فثمة حادٍ على الطريق: «**وأنَّ الفرَجَ مَعَ الكَرْبِ، وأنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْراً**».

۞ ۞ ۞

الحديث العشرون

إنَّ ممَّا أدْرَك النَّاسُ من كلامِ النبوَّةِ الأولى

عنْ أَبِي مَسْعُودٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ الْأُولَى: إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ، فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ**» رواه البخاري.

❁ ❁ ❁

• «**إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ، فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ**» يعني: أن هذه الحكمة النبوية الداعية إلى الحياء ممَّا توارثه الناس عن أنبيائهم جيلاً بعد جيل حتى بلغت هذه الأمة، وهي دعوة: **أن ما اتفقت عليه رسالات الأنبياء حقيق بالإجلال والاحتفاء.**

• «**إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ، فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ**»:

ـ **إما أنها تهديد ووعيد:** فإذا لم يكن عندك حياء ولديك وازع من دين؛ فاصنع ما تشاء، فإنك معاقب على فعلك وصنيعك.

ـ **وإما أنها للإباحة:** أي كل أمر تقدم على فعله لا تبالي به؛ فاعلم أنه ممَّا يباح في الأصل، فإذا كان الفعل لا يُسْتَحْيَى من فعله فاصنعه ولا تبالِ.

• **في الحديث دعوة إلى تعظيم الحياء**، وأنه من جميل الأخلاق التي تمدح في الإنسان ما لم يمنع من واجب، أو يوقع في محرم؛ فيكون

مذموماً قبيحاً في حق صاحبه، ويكلفه تبعات بين يدي الله تعالى يوم القيامة، وعليه أن يغالبه ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

• **الحياء نوعان:**

ـ **حياء يتعلق بالله تعالى:** فيجب أن تستحييَ من الله تعالى أن يراك حيث نهاك، وأن يفقدك حيث أمرك.

ـ **وحياء يتعلق بالمخلوق:** وضابطه: أن تكف عن كل ما يخالف المروءة والأخلاق وما تعارف عليه الناس فيما بينهم.

• **الحياء قسمان:**

ـ **حياء غريزي جبلي:** فتجد أناساً وهبهم الله تعالى حياءً طَبْعِيّاً لا يتكلفونه، ويلزمهم في كل شؤونهم، وفي الحديث: «**الحياءُ لا يأتي إلَّا بخيرٍ**».. وحق هؤلاء أن يفرحوا ويسعدوا، ويستشعروا نعمة الله تعالى عليهم، ويجهدوا في شكرها قدر وسعهم، وكم من محروم في هذا الباب!.

ـ **وحياء مكتسب:** يأتي من خلال المران والكسب؛ كمعرفة الله تعالى من خلال أسمائه وصفاته، والخشية منه، ومراقبته في كل صغير وكبير، وهذا هو الذي قال فيه ﷺ: «**دعه، فإن الحياء من الإيمان**».. ولا تستكثر على نفسك شيئاً، والنفس إذا رغبت شيئاً جَدَّت في السير إليه، وضربت إليه بكل ممكن، ولم تتوقف حتى تلقاه.

• **من علامات وبينات الذين لا يستحيون: أنهم يفعلون ما يشاؤون، ولا يبالون بالآخرين**، وهذا:

ـ **منه ما هو جميل لائق بأصحابه؛** كالذين يواجهون المنكرات ويقفون في وجوه أصحاب الباطل، وينكرون علانية ولا يبالون، أو يصدحون

بالحق، وبما يحملون من أفكار وتصوُّرات وحقائق لا يلتفتون في ذلك إلى مخلوق.

ـ **ومنه ما هو قبيح مذموم مزرٍ بأصحابه:** كالذين يصنعون المنكرات، ويخالفون المروءات، لا يبالون فـي ذلك بمن حولهم، ولا يكفهم حياء ولا وازع من خلق ودين.

• **من قبيح ما فاض به هذا الزمان: أن أناساً فسخوا خلق الحياء، وتجرَّدوا منه، وصنعوا للمنكرات شأناً؛** سواء في واقعهم الخاص كما تراه في ألبستهم وشعورهم، أو ما تراه في مناسباتهم الاجتماعية التي جعلوا المنكرات فيها أصلاً وما عداه عارضاً. والله المستعان!.

۞ ۞ ۞

الحديث الحادي والعشرون

قُلْ: آمنتُ بالله، ثمَّ اسْتَقِمْ

عَنْ سُــفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللهِ الثَّقَفِيِّ ﷺ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلاً لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَداً غَيْرَكَ. قَالَ: «**قُلْ: آمَنْتُ بِاللهِ، ثُمَّ اسْتَقِمْ**» رواه مسلم.

❁ ❁ ❁

• **فقه هذا الصحابي وحرصه على جوامع الكلم**، وطلبه الوصية من مظانها، واغتنامه للفرص في لقاء الكبار: (قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلاً لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَداً غَيْرَكَ)...

وهذا الفقه ينبغي أن يُعَمَّم، ويأخذ حقه من أخلاق الناس، ويسري في حياتهم حتى يأتون منه على ما يبلغ بهم الكمال.

• من كمال عقلك وموفور وعيــك: إذا لقيت كبيراً وصاحب تجربة وشــأن: أن تســأله ما يثري واقعك، ويعينك على بلــوغ أملك، ويقرِّب مسافات حلمك: (قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلاً لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَداً غَيْرَكَ).. **ووصية صاحب تجربة تعدل قراءة عشرات الكتب.**

• **حتى في وســط زحام العلم والمؤلفات والدروس واللقاءات والكلمات؛ باتت حاجتنا ماسة جدّاً لمن يقول لنا قولاً فصلاً واضحاً**

مرتَّباً: (قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلاً لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَداً غَيْرَكَ).. ومن ترك هذه الوصية في محاضرته أو كلمته أو درسه أو مؤلفه أو برنامجه ومشروعه فلا يلومن إلَّا نفسه على فوات الخيرات بين يديه، وضياع جهده في غير طائل، وإذا أردتَ واقعاً لهذا؛ فتأمل سؤال هذا الصحابي، وجواب النبي ﷺ: «**قُلْ: آمَنْتُ بِاللهِ، ثُمَّ اسْتَقِمْ**».

• «**قُلْ: آمَنْتُ بِاللهِ**» قولاً بلسانك، واعتقاداً بقلبك، «**ثُمَّ اسْتَقِمْ**» عملاً بجوارحك على ما يقتضيه قولك، مع الاستمرار على ذلك، وعدم التخلُّف عنه بحال.. **وكم من مُدَّعٍ قولاً لم يبلِّغه العمل إلى شيء**! ومثل هذه الحقائق تحتاج إلى بطل وصاحب راية، وعلو كعب حتى يبلغ منها أمانيه.

• بيان هذه الاستقامة في قول الله تعالى لرسوله ﷺ: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾ [هود: ١١٢].

فإذا أردت أن تعرف حظك من هذه الاستقامة فانظر لموقفك وموقعك من أوامر الله تعالى ونواهيه، وكل تخلُّف في هذا المعنى هو تخلُّف عن وصية الرسول ﷺ.

• **ينبغي لطالب العلم أن يرابط على الألفاظ الشرعية، وألَّا يتخلَّف عنها، وأن يرد الناس إليها كلما حادوا عن طريقها**؛ فالوصف الشرعي للمرابط على هذه الشريعة (المستقيم)، ولفظ (الملتزم) الشائع في أوساط الناس وإن كان يؤدي ذات المعنى ولكن المرابطة على اللفظ الشرعي سيما طلاب العلم.

• **كلما فقه المؤمن هذا المعنى: «قُلْ: آمَنْتُ بِاللهِ، ثُمَّ اسْتَقِمْ»**، ورابط عليه؛ **كان موعوداً بالتوفيق والسداد** في شأنه كله في الدارين، وكلما تخلَّف عنه تخلَّف عن آثاره في واقعه، وفي جزائه في الدارين.

• **ليس هناك زمان أحوج منه أهله إلى هذه الوصية: «قُلْ: آمَنْتُ بِاللهِ، ثُمَّ اسْتَقِمْ» من هذا الزمان**؛ فقد باتت تتآكل هذه الاستقامة في صفوف أهلها وصناع مجدها وأصحاب الرايات فيها، فتراه يتخفَّف كل يوم من مظاهرها في سمته وصورته العامة؛ كالأخذ من لحيته، وتطويل ثوبه، والتأخر عن الجماعة، والتخفُّف من أحمال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والانشغال بنفسه، والتنازل عن بعض قيمه، والترخُّص في قضايا كان يعدُّها قبل الترخُّص فيها من الموبقات، وتحوَّلت إلى مسألةٍ فقهيةٍ تجري فيها أقوال العلماء كما تجري في غيرها. والله المستعان.

• **الحاجة ملحَّة في مثل زماننا لتجديد هذه الاستقامة**، والدعوة إلى إحيائها، وإعادة مشاهد الحزم والعزم فيها، ومواجهة كل تقصير ناشئ عن تخلُّف أفرادها، والجهد في إعادة بنائها حتى تعود راياتها من جديد، وتعود النضارة إلى الأمة كما كانت حيناً من الدهر.

• **على القدوات وصناع الحياة والكبار والمؤثِّرين وأصحاب المشاريع أن يدركوا خطورة التقصير في هذا الباب**، وأن يكونوا مشاعل هدى في سرادق الظلام، ويحيوا مباهج القدوة التي كان يقول صاحبها يوماً: ما فاتتني تكبيرة الإحرام من كذا عام، والآخر الذي لم ير قفا مأموم من زمن طويل، والثالث الذي لم يكبِّر مؤذن مسجد النبي ﷺ من زمن طويل إلَّا وهو في المسجد؛ **فإن النموذج هو الذي يستطيع أن يعيد مباهج هذه المعاني في واقع الحياة.**

• «**قُلْ: آمَنْتُ بِاللهِ، ثُمَّ اسْتَقِمْ**»: وإن كانت الذكرى بها مطلب في تحقيق الوعي، إلَّا أن **وجود القدوات في هذا الباب كافٍ عن قيل كثير!**.

إن أمماً كثيرة يكفيها الصورة والمشهد العام.. وموقفك من تحديات واقعك، وسمتك وجهادك الخلقي، ومواقفك في مساحتك المؤثرة، وأخذك لدينك بالمعالي.. يكفيها عن حديث لا يبلغ ما نتصوَّره في كثير من الأحيان.

الحديث الثاني والعشرون

أرأيتَ إذا صليتُ المكتوباتِ

عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه، قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ ﷺ النُّعْمَانُ بْنُ قَوْقَلٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ حَلَّلْتُ الْحَلَالَ، وَحَرَّمْتُ الْحَرَامَ، وَصَلَّيْتُ الْمَكْتُوبَاتِ، وصُمْتُ رَمَضَانَ، وَلَمْ أَزِدْ عَلَى ذَلِك؛ أَأَدْخُلُ الْجَنَّةَ؟ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**نَعَمْ**». رواه مسلم.

❁ ❁ ❁

• **من أدب ذلك الجيل ووعيه: أنه كان يسأل عمَّا ينفعه في دينه، ولا تجده يخوض في مسائل لا أثر لها في واقعه:** (أَرَأَيْتَ إِنْ حَلَّلْتُ الْحَلَالَ، وَحَرَّمْتُ الْحَرَامَ، وَصَلَّيْتُ الْمَكْتُوبَاتِ، وصُمْتُ رَمَضَانَ، وَلَمْ أَزِدْ عَلَى ذَلِك؛ أَأَدْخُلُ الْجَنَّةَ؟).

وجزء من مشكلات هذا الجيل: أنه مشغول بأسئلة لا يترتب عليها عمل، ولا أثر لها في واقع سائليها.

• **يُسر الإسلام وسماحة هذه الشريعة؛ فلا تكلِّف الإنسانَ فوق طاقته،** وتقبل منه الفرائض التي يستطيعها، ولا يسعه تركها: (أَرَأَيْتَ إِنْ حَلَّلْتُ الْحَلَالَ، وَحَرَّمْتُ الْحَرَامَ، وَصَلَّيْتُ الْمَكْتُوبَاتِ، وصُمْتُ رَمَضَانَ، وَلَمْ أَزِدْ عَلَى ذَلِك؛ أَأَدْخُلُ الْجَنَّةَ؟).

• **الإسلام يتعامل مع الناس وفق طاقاتهم وقدراتهم وإمكاناتهم، ويتعامل معهم كذلك وفق إقبالهم وإدبارهم ورغباتهم، فيجعل حدّاً أدنى لا يجوز التنازل عنه:** (أَرَأَيْتَ إِنْ حَلَّلْتُ الْحَلَالَ، وَحَرَّمْتُ الْحَرَامَ، وَصَلَّيْتُ

الْمَكْتُوبَاتِ، وصُمْتُ رَمَضَانَ، وَلَمْ أَزِدْ عَلَى ذَلِك؛ أَأَدْخُلُ الْجَنَّةَ؟).. ويثير رغبات الحريصين الجادين على الرقي في مدارج الصلاح والكمال، كما في آيات وأحاديث المسارعة إلى الخيرات.

• هذا المعنى الذي يثيره هذا الصحابي يبين أن **أحوال الناس تختلف في بلوغ غاياتهم في النهاية**، كما قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ [فاطر: ٣٢].. وحال السائل حال المقتصدين.

• قصد السائل بصلاته للمكتوبة: (وَصَلَّيْتُ الْمَكْتُوبَاتِ)، وصيامه لرمضان: (وصُمْتُ رَمَضَانَ) **اقتصاره على الفريضة دون أي تطوع من جنسها**، وقوله: (أَرَأَيْتَ إِنْ حَلَّلْتُ الْحَلَالَ) أي: فعلته معتقداً حله، وقوله: (وَحَرَّمْتُ الْحَرَامَ) تركت الحرام معتقداً حرمته.

• **لم يذكر السائل فريضة الزكاة والحج**: أما الحج فلعله لم يفرض بعد، وأما الزكاة فلعله لم يكن لديه مالاً يستحق السؤال، والله تعالى أعلم.

• **هذا الحديث يُفْرِحُ المؤمن الصادق، ويزيده حبّاً لله تعالى، وفقهاً في دينه، واستشعاراً لمسؤوليته**، ويثير فيه روح الحب لهذا الدين الذي ضمن له السلامة بمجرد محافظته على أصوله، وبث فيه أشواق الإقبال على الله تعالى، والسباق إلى المعالي وإدراك منازل الكبار.. **وهو في الوقت ذاته يُقعد الكسلان، ويفتح له باب أمل كاذب**، ويغتر بمشهده البديع في الأصل، ولكنه يقعد عن مقوماته ولا يصل منه إلى شيء.

• **من الفقه أن لا يتخلَّى الإنسان عن النافلة، وقد عرف أنها مكملة لنقص الفريضة**، وسادَّة للخلل فيها، وهي الطريق الأعظم إلى محبة الله تعالى لعبده، ونيله لمراضيه: «**ولا يَزالُ عَبْدِي يتقرَّبُ إِلَيَّ بالنَّوافِلِ حتَّى أُحِبَّه**».

الحديث الثالث والعشرون

الطُّهُورُ شَطْرُ الإيْمَانِ

عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ وَالْحَمْدُ لِلهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ لِلهِ تَمْلَآنِ ـ أَوْ تَمْلَأُ ـ مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا، أَوْ مُوبِقُهَا**» رواه مسلم.

۞ ۞ ۞

• «**الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ**» **المراد بالإيمان في الحديث: الصلاة**، لقول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣] أي: صلاتكم، والطهارة شرط في صحتها؛ فصارت كالشطر.

وقيل: بل معنى الطهور هنا: **طهارة القلب من النجاسات المعنوية**؛ كالشرك والرياء وسائر المحرمات والمنهيات التي تلوِّث حياة الإنسان وتنجسه.

وأيّـاً كان المراد؛ فهذه مَعَانٍ في الإمكان، واستشـعار فضلها وأثرها موجب لاغتنامها.

• **الطهور الحسـي**: له أدب، ويحتاج حضور قلـب، ونية صالحة، وإدراكاً لآثاره، وهو آتٍ على ذنوب الجـوارح، ومُلْقٍ بها في الفلوات، ومن وعى هذا الأثر أقبل إليه بكل ما يشاء.

والطهور المعنوي: أصل في نجاة الإنسان بين يدي الله تعالى يوم القيامة، ومن لقي الله تعالى سليم القلب، نقي السريرة؛ لقيه على بر وخير ومعروف كبير، ومن لقيه على خلاف ذلك فالخسارة فوق توقُّعاته وتصوُّراته.

• «**وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ**»: **الحمد: وصف الله تعالى بنعوت الجلال والكمال مع الحب والتعظيم**، وهي مع يسرها على لسان قائلها وفي زمنها ووقتها؛ تملأ الميزان الذي توزن به الأعمال يوم القيامة.

• «**وَسُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَآنِ ـ أَوْ تَمْلَأُ ـ مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**»: من فَضْلها تملأ ما بين السماء والأرض.

• من وعيك أن تلزم هذا الذكر وتتعلَّق به، وتكثر من تكراره وترديده حتى تلقى ما وعد به نبيُّك ﷺ من آثار.. **ومن علم شيئاً كان الواجب عليه أن يصل فيه إلى ما يبلغه آماله في الدارين**، ولا يتخلَّف عن هذه المباهج إلَّا محروم.

• **الحمد: ليست كلمة تردد على لسان صاحبها فحسب، وإنما معنى يجري في مشاعره وقلبه ووجدانه، ويأتي من خلاله على أمانيه:**

ـ **الحمد لله**: التي ترددها على لسانك يجب أن تتحوَّل إلى معانٍ تطبيقية في كل حياتك.

ـ **الحمد لله على إيمانك واستقامتك**، كم من محروم من هذه الاستقامة! وكم من مطرود عن هذه الهداية! أنت الذي خصَّك الله بهدايته ومنحك مباهجها، وأسقاك الإيمان حتى وجدته حلواً عذباً في قلبك ومشاعرك؛ فكيف لا تحمده؟!.

ـ **الحمد لله على زوجك، وولدك، ووظيفتك، ورزقك،** وكل شيء يجري في حياتك.

ـ **احمد الله تعالى وأنت تشعر أنك لم تحمده حقَّ حمده،** وردد هذا الحمد ليس على لسانك فحسب، بل في كل شيء من مشاعرك ووجدانك.. وما نصنع بحرف لا نعرف معناه؟! وما نصنع بكلمة جامدة في عقولنا لا تأخذ حظَّها من مشاعرنا في الحياة؟!..

• **«وَالصَّلَاةُ نُورٌ» في وجهك وقلبك وقبرك، وعلى الصراط، وفي مواقف الجزاء والحساب،** ومن أحسن أداءها وأقامها في وقتها وحيث أمر الله تعالى بها، وأدى حقَّها من الخشوع والإجلال؛ صارت له كل شيء، وعمرت حياته بالأنوار الحسية والمعنوية في الدارين.

• الصلاة الموصوفة بهذا الأثر الكبير ليست تلك العبادة التي نتردد عليها ولا ندري ما تهبنا من أحداث وأفراح! ولا تلك الحركات التي نؤديها ثم لا نجد لها رواء في أرواحنا ومشاعرنا!..

ـ **الصلاة التي تتحوَّل إلى نور هي تلك التي يقوم إليها الإنسان ويشعر بأنه قام للحياة.**

ـ **الصلاة** التي يأرز إليها الإنسان بقلبه ومشاعره قبل أن تتحرك إليها جوارحه.

ـ **الصلاة** التي تبعث فيك هذه المعاني هي الصلاة التي تشعر فيها بأنك في لقاء مع مالك الملك، صاحب الجبروت، العلي العظيم.. وما عدا ذلك صور لا قيمة لها في واقعك.

- **«وَالصَّدَقَــةُ بُرْهَانٌ» دليــل على إيمان صاحبهــا وصدقه مع الله تعالى**، فإن المال محبوب للنفوس، ولا يخرجه في سبيل الله تعالى إلَّا صاحب إيمان وتقوى.

وكم من أماني تهاوت دون غاياتها للجبلة والشــغف بهذا المال! وكثيرون ماتوا وخلَّفوا مالاً وذهب للورثة؛ فلا هم الذين أســعدوا به أنفسهم في الدنيا، ولا هم الذين قدموه بين أيديهم ليجدوه في أحوج الأوقات!..

- **لن يفقه إنســان مقام الصدقة حتى يقرأ النصوص التي وردت في الوحي بشــأنها**، ولن يتخيَّل كذلك أثرها حتى يقرأ تلك النصوص قراءة مشاعرية، **وحين يشــبع من تلك القراءة المشاعرية، وتدخل أعماقه على وجه حقيقي؛ سيدفع كل ما يملك تلك اللحظة ولو بات بلا عشاء.**

- ماذا لو قرأ الإنسان وعد الله تعالى في كتابه: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾ [البقرة: ٢٤٥]؟!.

وماذا لو قرأ الإنسان حديث رسوله ﷺ: «**ما مِنْ يومٍ يُصبح فيه العبادُ إلَّا وينزل مَلَكان، يقول أحدُهما: اللهمَّ أعْطِ منفقــاً خَلَفاً. ويقول الآخَرُ: اللهمَّ أعطِ مُمْسِكاً تَلَفاً**»؟!.

كم نحن بحاجة إلى إعادة قراءة الوحي قراءة مشاعرية وجدانية حتى يحصل ذلك التفاعل الذي يريده الله تعالى مع نصوص وحيه وشريعته.

- **«وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ» مكلف وشاق ويحتاج إلى جهاد.**

وهو على ثلاثة أنواع: صبر على طاعة الله تعالى، وصبر عن معصيته، وصبر على أقداره المؤلمة. وهذه مواطن يتفـاوت فيها الناس بناء على كمال هذا الخلق في نفوسهم أو ضعفه.

• **خُلُق الصبر من أعظم الأخلاق في تحقيق آمال الإنسان في الدارين، ومن لزمه صار إلى خير وتوفيق..**

وكم من مصائب وفجائع حضرها هذا الخلق فألبسـها الاحتسـاب والرضا والأمل؛ فعادتْ كنوزَ حسـناتٍ في حيـاة أصحابها!.. وكم من خسارة خلَّفها فواته لحظة فواته عن تلك المواقف.

• **لا يمكن أن تبلغ مشـروعك، وتحقق آمال رسالتك، وتأتي على أمانيك إلَّا من خلال هذا الخلق**، وإذا قرأت سيرة النبي ﷺ أدركت كم آب به هذا الخلق إلى نجاحات في بيته، ومع صحابته، وفي مشـروعه حتى بلغ منه النهايات.

• **إذا غاب هذا الخلق في مشروع فلا تحلم فيه بنجاح**، وإذا تخلَّف في بيت وأسـرة تفشَّـى فيها النزاع والاختلاف، وافترق شملها ولو بعد حين، وإذا تخلَّف عن صاحبه في عمل لم يحظَ بشيء من نجاحه أو ثمرته في مستقبل الأيام.

• **من هذا الخلق ما هو جبلي وطبعي** في بعض الناس، ومن وجده فليحمد الله تعالى وليدمن شـكره على ذلك، **ومنه مكتسـب** يحتاج العاقل أن يتخلَّق به ويتعـوَّد عليه، ويذكِّر به نفسـه في كل موقف، ويدعو الله تعالى ملحّاً أن يحقق منه مراده، وفي الحديث: «**وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ الله**».

• **كثير من العادات تحتاج إلى بناء**، ولا ينقصها سوى النفوس الجادة، والسعي الحثيث، والأمل والفأل الذي يصحب تلك المحاولات حتى تبلغ نهايتها، وليس ذلك ببعيد.

• «**وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ**»:

ـ **حجة لك**: إذا كنت مؤمناً به، مصدقاً بجميع ما فيه، عاملاً بأوامره، مجتنباً لنواهيه، معظِّماً له، مقدِّراً لما فيه.

ـ **وحجة عليك**: إذا لم تمتثل ما فيه من أوامر، ووقعت فيما فيه من النواهي، ولم تقم بواجبه من العمل والتطبيق.

• **من فقهك وكمال وعيك: أن تنصب لكتاب الله تعالى فكرك ومشاعرك، وتقتطع له من سنام وقتك**، وألَّا تتخلَّف في يومك وليلتك عن ورد ثابت يخلق ربيعاً في عمرك مع مرور الأيام والليالي.

• **ورد التلاوة مفضٍ بصاحبه إلى آفاق من التوفيق**، وإذا صحبه ورد تدبر فقد دق صاحبه باب الحياة بصدق، وأقبلت عليه الخيرات كما يشاء.

كان بعض السلف يقول: **على قدر ما تهب للقرآن من وقتك تغمرك البركة في باقيه!**.

• «**كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو؛ فَبَايِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا، أَوْ مُوبِقُهَا**» كل الناس يخرجون في صباحهم لطلب أرزاقهم، وقضاء حوائجهم، ولكن غدوَّهم مختلف:

ـ **فمنهم من يغدو** لمصلحته، وبناء مستقبله، ونجاح رسالته، وتحقيق آماله في الدارين.

- **ومنهم من يغدو** للضياع؛ لا يعرف مستقبلاً، ولا ينشد فكرة، ولا يعيش لهدف، وإنما يغدو كما تغدو جماهير كثيرة لا تدري ما تصنع كل يوم، أو تغدو وهمومها لا تعدو الطعام والشراب واللهو.

- **«فَبَايِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا، أَوْ مُوبِقُهَا»:**

- **منهم من يبيع نفسه لله تعالى** في رسالة ومشروع وغايات كبرى وحياة الدارين.

- **ومنهم من يبيعها لهواه والشيطان**؛ فيوبقها ويرديها ويهلكها، ويكتب على نفسه البوار والخذلان.

- **كل الناس يغدو، ولكن ثمة فرق بين غدو وغدو:**

- **هذا يحمل هموم أمة**، ويعيش أنفاس المشاريع، ويجهد في بناء تاريخ، ويكتب لها مواطن العز والنصر والتمكين.

- **وذاك يغدو وهمُّه إشباع رغباته**، ولو على حساب منهجه ورسالته ودينه.

- **ما أحوج هذه الأمة لأفرادها!:**

- كم هم الذين يعيشون في الهامش! وتضيع أوقاتهم في الفوضى، ولا مشروع لهم في الحياة!.

- وقلة جدّاً تلك التي تتنفَّس مشاريعها، وتعيش آمال أمتها، وتدفع لها من سنام أوقاتها ما تشاء.. وإنَّا لمنتظرون فجراً قادماً بدأت بعض ملامحه في مشاهد هذا الكون البديع.

الحديث الرابع والعشرون

إنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ على نَفْسِي وجَعَلْتُه بينكم مُحَرَّماً

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فِيمَا رَوَى عَنِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَّهُ قَالَ:

«يَا عِبَادِي، إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّماً، فَلَا تَظَالَمُوا.

يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ.

يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ جَائِعٌ، إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ.

يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ عَارٍ، إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ.

يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ.

يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي، فَتَنْفَعُونِي.

يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ؛ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئاً.

يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ؛ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئاً.

يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ؛ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَسَأَلُونِي، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ.

يَا عِبَادِي، إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْراً، فَلْيَحْمَدِ اللهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ، فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ» رواه مسلم.

• **«يَا عِبَادِي»: نداء من الله تعالى لعباده، وتشريف لهم بأعظم الأوصاف: وصف العبودية الذي وصف به نبيَّه ﷺ في أشرف المواطن.**

ومن شرف الإنسان وعزه وسؤدده أن يكون عبداً حقيقيّاً لله تعالى، لا يستنكف من هذا المعنى في شيء.. ومن زعم أنه حرٌّ لا سلطان عليه أفضى به إلى عبودية الشياطين.

• **تأسيس معنى العبودية في حياة المؤمن أصل مهم يجب العناية به وتأصيله في حياة الإنسان**، حتى يصبح هذا المعنى من أجلِّ المعاني التي يجد فيها الإنسان حريته الحقيقية.

يجب أن تحرر مفاهيم هذه العبادة، ويجري فيها الحديث، وتبان من خلالها حقائق هذه العبادة الكبيرة.

• يجب أن نعرف أن العبادة ليست هذه الصور التي يؤديها المسلمون فحسب، **وإنما هي غايات ومقاصد عظيمة تجلُّ عن الوصف**، لو أدركها الناس لصنعت فيهم غير الواقع الذي نراه في واقع كثيرين، والله المستعان!.

• **يعلو مقام العبودية في حق صاحبه بتعظيم أوامر الله تعالى وإجلالها والقيام بحقوقها**، والابتعاد عن مناهيه واعتبارها السفول والانحطاط والذل والهوان، وتعظيم شعائر الله تعالى وإجلالها قدر وسعه وإمكانه.

• «**إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي**»: فمنعته مع قدرتي عليه «**وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّماً، فَلَا تَظَالَمُوا**»: وحرَّمته كذلك عليكم، فلا يجوز لأحد من العالمين أن يظلم أخاه.

• **الظلم قبيح، وعاقبته سيئة، ومرد صاحبه للضياع والهوان**، ومن أخذ حقوق الناس يريد إتلافها أتلفه الله تعالى، وتصعد دعوة المظلوم ولها شرار، ويقول الله تعالى لها: لأنصرك ولو بعد حين.

ومن وعي الإنسان: أن يتخفف قدر وسعه من هذا الخلق، ويحرص غاية الحرص ألَّا يلقى الله تعالى رهيناً بحقوق ربه، أو حقوق نفسه، أو حقوق الآخرين.

• **الظلم أنواع:**

ـ **أوله وأعظمه: تلوُّث الإنسان بالشرك:** ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]، ومن أعطى مخلوقاً من العالمين حق الله تعالى وصرفه إليه؛ فقد وقع في أعظم الرزايا، وارتكب أسوأ الأخلاق، ووقع في نهايات السوء، وعاقبته الخيبة والخسران.

ـ **ومنه: ظلم النفس**: فلا يقوم بحقها، ولا يأطرها على واجباتها، ولا يرعى لها شأناً، فتضيع في الشهوات والشبهات.

ـ **ومنه: ظلم الآخرين**: وهذا الظلم مُفْضٍ لضياع حسناتك وأعمالك، وكل من ظلمته في عرضه وماله سيجري القصاص في ذلك من عملك في يوم أحوج ما تكون فيه لحسنة؛ فما بالك بضياع حسنات؟!.

• كم من ظلم يجري على الأسر، وفي البيوت، وعلى الزوجات!..

وكم من ظلم يجري على العمال والأجراء!..

وكم من ظلم يجري في المال العام!..

وكم من ظلم يجري في بخس حقوق الوظائف، وعدم القيام بالأعمال!..

ومن أدرك عاقبة الظلم وشؤمه أدرك نفسه وتخلَّص منه قدر وسعه قبل حلول ساعات الندم، وفي الحديث: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «**أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟**» قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ. فَقَالَ: «**إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ**».

• «**يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ**»: تائه عن طريق الحق، ضال عنه، إلَّا من أعلمته ووفقته.

ولا يعارض هذا الأصل الذي ورد في حديث النبي ﷺ: «**كلُّ مولودٍ يُولَدُ على الفِطْرة**»؛ لأنهم يولدون على الفطرة، ثم تجتالهم الشياطين بعد ذلك.

وفي كل إنسان مهما بلغ مقامه ضلال بقدره يحتاج معه لهداية ربه وتوفيقه، وينبغي أن يسأله جادّاً ملحّاً حتى يبلغه.

• «**فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ**»: اطلبوا الهداية مني واسألوها جادين؛ أهْدِكم إليها وأبلغكم إياها. **وفي ذلك دليل على حاجة الإنسان إلى ربه في أعظم المقاصد وأكثر القضايا أثراً في حياته.**

• **كل مخلوق بحاجة إلى الهداية**؛ حتى من بلغ في درجاتها مبلغاً فهو بحاجة إلى عون الله تعالى وتوفيقه وتسديده في كثير من أموره وشؤونه.

مَنِ الإنسانُ لولا الله تعالى! لولا هذه الهداية لجلس الإنسان في منتصف الطريق لم يجد عوناً للوصول.

ولولا هذه الهداية لعجز الإنسان أن يمد يديه إلى فضيلة، أو تمشي قدمه إلى خير، أو تشتاق نفسه إلى العمل.. ولكنها منن الله تعالى وتوفيقه على الإنسان أن يجد كل هذا.

• **أثر الدعاء في تحقيق آمال الإنسان ومقاصده في الدارين**.. وكم جلب الدعاء من توفيق! وكم منع من شر! وكم أدنى مطالب إنسان وقرَّبها إليه! وكم أزاح من عقبات ومشكلات في عرض الطريق!..

ومن فقه أثره أقبل إليه بكليته، وسأل الله تعالى ملحّاً بلوغ آماله، ومع كل ذلك ترى عزوف كثيرين عنه رغم حاجتهم إليه، وإذا دعا أحدهم دعا دعاء عارضاً لا معنى له ولا روح فيه.

• «**يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ جَائِعٌ، إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ**»: وكل رزق ينال الإنسان في الحياة فهو من عند الله تعالى؛ هو الذي قدَّره ويسره وأعان عليه، ويسر السبل إليه، ومن الفقه أن يبذل الإنسان الأسباب الكافية لتحقيق هذا المعنى، ويعلّق قلبه بالله تعالى، ويعلم أن ما سيكون بقدره، وما لا فلا.

وكل الذين تحقق لهم شيء من لعاع هذه الحياة فهو من عند الله تعالى أصلاً وبداية، وما فعلوه مجرد أسباب؛ لولا أنه قدَّرها وأعان عليها لم يبلغوا ما يريدون.

• «**يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ عَارٍ، إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ**»: فلا تملكون ما تلبسونه إلَّا بإذن الله تعالى، وكل ما تحقق لكم من هذه النعمة فهي بقدر الله تعالى ومشيئته.

ومن فقهك وكمال وعيك: أن تلحَّ على الله تعالى أن يرزقك ويعينك، ويفتح لك أبواب توفيقه، ويبلغك مقصودك في هذا الشأن.. **ماذا لو استشعر الإنسان أن ثوبه الذي يلبسه هو من عون الله تعالى وتيسيره له!.**

• «**يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ**»: وهذا هو الأصل في الإنسان: أنه مجبول على الخطأ، ومطبوع عليه: «**كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ**»، والذي يغفر تلك الخطايا ويعفو عن الذنوب هو الله تعالى، والطريق إلى ذلك الاستغفار.

وليس ذلك الاستغفار المجرد عن معناه الذي يكررهُ صاحبه لفظاً ولا يدرك معناه، وكلمات لا يعي ما تستلزم حتى تأتي مقصودها في النهاية.

وإنما الاستغفار الذي يشعر معه صاحبه بخيبة الذنب وألمه ولظاه في قلبه، ويشعر في الوقت ذاته أنه اعتدى على حق خالقه، وأخطأ في جنابه، ويشعر بالحياء الذي يلازمه، ويجهد في الاستعتاب من خطيئته وذنبه قبل لقاء الله تعالى.

• «**يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي**» الله تعالى هو النافع الضار، وهو المالك القادر الكبير المتعال،

والخلق كلهم ضعفاء محاويج إليه، لا سبيل لهم إلى شيء من ضره وأذاه.

وذنب الإنسان على نفسه، ولا يضر الله تعالى من ذلك شيء.. ولو أدرك هؤلاء الذين يتطاولون على ربهم وخالقهم وموجدهم أنهم ليسوا إلَّا به، وخطيئتهم على أنفسهم، ولن ينال الله تعالى من ذلك شيء؛ لأدركوا أنفسهم قبل الفوات. ليتهم استبقوا ما يعينهم على الاعتذار عن خطايا الخلوات؛ فكيف بما يصنعون على مسامع العالمين!..

• «**يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئاً**» فالله تعالى لا تنفعه طاعة الطائعين، ولا تزيده في شيء، وإنما مردُّ طاعتهم إليهم، ونفعها لهم، لا حاجة لله تعالى منها إلى شيء.

• **لا ينبغي للعاقل أن يمنَّ بطاعته على ربه**، أو يتكاثرها بين يديه، أو يشعر بحجمها في قلبه ومشاعره، فإن عائد ذلك عليه وليس لله تعالى منها شيء: «**يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئاً**».

• «**يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَسَأَلُونِي، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ**» وفي ذلك من سعة ملك الله تعالى ما فيه؛ فلو أن الخلائق كلهم إنسهم وجنهم منذ خلق الله تعالى الخليقة إلى يومنا هذا اجتمعوا وسألوا الله تعالى أن يهبهم ويعطيهم من ملكه، ثم أفرغ عليهم من سابغ عطائه ما يشاؤون؛ ما نقص من ملكه شيئاً إلَّا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر.

• إذا علمت هذه العقيدة: «**يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَسَأَلُونِي، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي، إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ**» واستقرت في قلبك، وتمكنت من مشاعرك؛ لم يلتفت قلبك إلى مخلوق بعد ذلك ولو كان يملك كل شيء.

وهي سلوة لكل محتاج وفقير: أن يتعلق قلبه بالله تعالى، وأن يعلم أنه لم يفته شيء، وأن الخزائن بيد ربه وخالقه، وأن الله تعالى لو أراد لأفاض عليه من نعم الدنيا ما يشاء، ولو منعه لم ينل شيئاً ولو دفع في سبيله كل ممكن.

• **حياتك تاريخ، ورحلتك في الدنيا محسوبة، وكل شيء مكتوب، وستعرض عليك في يوم أحوج ما تكون إليه**: «**يَا عِبَادِي، إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْراً، فَلْيَحْمَدِ اللهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ، فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ**».

وإذا علمت هذا بلغت وسعك في كل عمل تنال به حظّاً في آخرتك، وحسَّنت نيتك في كل قضية تديرها في شأنك، **وجهدت ألا يفوتك شيء من أرباح العمل.**

• **سوء عاقبة التفريط في حياة صاحبه**، وأنه مؤذن بالفشل والحرمان وفوات حظوظه في الدارين: «**وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ، فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ**»..

ومن قرأ هذا الحديث بوعي عني بالعمل، واستثمر كل لحظة من حياته، وجهد في تحقيق آماله قبل النهايات.. وما ينفع الندم بعد الفوات!..

• لم يُقرأ هذا المعنى: «**وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ، فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ**» قراءة واعية بعد، ولو وجد طريقاً إلى قلوب كثيرين؛ لصنع فيها أحلام الدارين.

الحديث الخامس والعشرون

ذَهَبَ أهلُ الدُّثورِ بالأُجور

عنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه: أَنَّ نَاساً مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ: يَا رَسُولَ اللهِ، ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالْأُجُورِ، يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُونَ بِفُضُولِ أَمْوَالِهِمْ، قَالَ: «**أَوَلَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللهُ لَكُمْ مَا تَصَّدَّقُونَ؟ إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةً، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنْ مُنْكَرٍ صَدَقَةٌ، وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ**» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟ قَالَ: «**أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وِزْرٌ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ**» رواه مسلم.

❁ ❁ ❁

• **حرص الصحابة رضوان الله تعالى عليهم على كل خير وبر، وسؤالهم عمَّا ينفعهم في الدارين؛ وتعلقهم بكل وسائل الفلاح:** (أَنَّ نَاساً مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ: يَا رَسُولَ اللهِ، ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالْأُجُورِ، يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُونَ بِفُضُولِ أَمْوَالِهِمْ).. **وهذا دأبُ كل عاقل فَطِن؛ ألَّا يفوِّت كل عمل يؤدي به لنهايات الطريق.**

• **أسئلتك دليل على كمال عقلك وحِسِّك وشعورك وإيمانك،** ألا ترى سؤال هؤلاء الفقراء وحسراتهم على ذهاب أهل الدثور بالأجور،

وفواتهم الأرباح التي لا سبيل إليها: (أَنَّ نَاساً مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ: يَا رَسُولَ اللهِ، ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالْأُجُورِ، يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُونَ بِفُضُولِ أَمْوَالِهِمْ).

وكم من أسئلة تدار في مثل زمانك من كثيرين لا قيمة لها ولا فائدة فيها! **من خلال السؤال ستعرف قيم السائل ومعاييره ومبادئه التي يعيش بها**.. وإذا تأملت سؤال هؤلاء الفقراء أدركت سرَّ التوفيق.

• **قدرة المربي ﷺ على حفز همم السائلين بأقرب الطرق إليهم،** وفتح النوافذ التي يمكنهم مشاهدة الأنوار من خلالها، قَالَ: «**أَوَلَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللهُ لَكُمْ مَا تَصَّدَّقُونَ؟ إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةً، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنْ مُنْكَرٍ صَدَقَةٌ، وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ**».

وقدرتك على حفز سائلك ودعمه وتشجيعه، وفتح نوافذ الأمل بين يديه، وتعليقه بالممكن، ودفعه للعلو؛ دليل على عمق تربيتك له وتفعيلك له.

• **من فقه المربي: أن يدل السائل على ما هو أقرب إليه،** وما يمكنه فعله والقدرة عليه وتطبيقه في واقعه: «**أَوَلَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللهُ لَكُمْ مَا تَصَّدَّقُونَ؟ إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةً، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنْ مُنْكَرٍ صَدَقَةٌ، وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ**».

ليس الشأن أن ترفع نظر من تربِّيه إلى مستحيل؛ فإن ذلك حائل له عن بلوغ أمانيه، ومورث لليأس والقعود والخمول فيما يستقبل من أيامه،

وإنما الشأن حين تحفزه للممكن، وتقرِّب له طريق المعالي، وتلفت نظره إلى كل ما في وسعه من تحديات.

• **فضل الذكر**، وأنه صدقات تجري في حساب صاحبها، وأثقال يكاثر بها الإنسان ميزانه في ذلك اليوم: «**إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةً**».

وهو من أيسر العبادات وأقلها كلفة ومؤونة، ولا يتعلق بزمان ولا مكان، وفي مقدور كل إنسان، ومن فقه أثره أقبل عليه بكل ما يملك.. ولكنه محتاج إلى سؤال الله تعالى والإلحاح عليه حتى يدنيه له ويمكنه منه.

• **فضيلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**، وأن فاعله على الخير متصدق لله تعالى بأعظم الصدقات؛ لأن نفعه متعدٍّ إلى غيره، ويحقق مكاسب كبيرة للأمة، ويدفع عنها البلاء، ويقيم دولة الحق في أوساط العالمين: «**وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنْ مُنْكَرٍ صَدَقَةٌ**».

• **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دليل إيمان صاحبه**، وما يتخلَّف عن الإنكار حين المنكرات إلَّا ضعيف إيمان!.

وهو من أعظم صفات الأمة ودليل خيريتها، قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وحكى الله تعالى في كتابه أنه لعن بني إسرائيل بسبب فوات حظوظه من واقعهم: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ۝ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٨ ـ ٧٩].

وقال ﷺ: «**مَنْ رَأى مِنْكم مُنْكَراً فليغيِّرْه بيده، فإن لم يستطعْ فبلسانه، فإن لم يستطعْ فبقلبه، وذلك أضعفُ الإيمانِ**».

• **لو استَشعر كل إنسان أن شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تعنيه، وهي فرض عليه، وتفريطه فيها موجب لعذابه؛ لقام بأدواره فيها على أتم وجه**، ولما ترك الأمر لجهاز يعيِّنه ولي الأمر أو يتركه.

• **تبدأ هذه الشعيرة من أَطْرِ المؤمن نفسه على الخير، ومجانبة المنكرات، وتأخذ حظها في واقع الأسرة** من خلال الأدوار التي يقوم بها الأبوان في تلك المساحة، ولو عني بذلك في أي مجتمع لصارت الفضيلة منهجاً، ولتقلَّصت المنكرات إلى أبعد درجة.

• «**وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ**» أي: في جماع الرجل لزوجه صدقة؛ **لأن فيه إعفاف الإنسان لنفسه وزوجه، وإنجاب الولد الصالح، وتكثير سواد الأمة**، ونحو ذلك من المصالح العظيمة.

ومن فقه الإنسان: أن يعتني بِنِيَّتِهِ في هذا الموطن، ويفقه مراد الله تعالى منه حتى لا تفوته أرباح الاحتساب.

• **في الحديث إشارة إلى جمال هذه الشريعة؛ ترى ذلك في احتسابها لممارسة الإنسان لشهواته، وجعلها من دين الله تعالى**، وكونها نوافذ تجري بالحسنات على صاحبها: «**وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ**».

الحديث السادس والعشرون

كلُّ سُلَامى مِنَ النَّاسِ عليه صَدَقَة كلَّ يوم

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قالَ: «**كُلُّ سُلَامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ، كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ**» قَالَ: «**تَعْدِلُ بَيْنَ الِاثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وَتُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا، أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ، والْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ خُطْوَةٍ تَمْشِيهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ، وَتُمِيطُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ**» رواه البخاري ومسلم.

۞ ۞ ۞

• «**كُلُّ سُلَامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ**» السُّلامى: الأعضاء والمفاصل في بدن الإنسان، وهي ثلاث مئة وستون مفصلاً، وهذه من النعم التي تحتاج إلى شكر لله تعالى، وقد جعل فيها النبي ﷺ جملة من الأعمال إذا أُدِّيت أو بعضها؛ كانت كافية في شكرها والقيام بحقها.

• **سعةُ الشريعة ويُسرها؛ إذ عَدَّدَتِ الأعمال ونَوَّعَتْها ويَسَّرَتْها للوصول إلى مراضي الله تعالى، وتحقيق مطالب العباد**؛ فجعلت الصلح، ورفع المتاع، والابتسامة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وصلاة الضحى (كما في رواية لمسلم)؛ كافية في بلوغ مراد الله تعالى في اليوم كله.

• «**تَعْدِلُ بَيْنَ الِاثْنَيْنِ صَدَقَةٌ**»: تحكم بينهما في قضية فتعدل، فتلك صدقة منك على نفسك.

وفيه إشارة لبذل زكاة علمك وجاهك ومقامك، وتسخيرها لدين الله تعالى ونفع الناس.. وكم من صاحب جاه وسلطان ومقام بين العالمين، ولكن لا نفع فيه، خامل لا ذكر له، كسول لا يقوم بواجب هذه النعم في واقعه، وليس وراء ذلك حرمان.

• **حرص الإسلام على الوفاق والاجتماع، ونبذ الفرقة والخلاف،** حتى إنه جعل الصلح بين المسلمين من الصدقات الجارية على صاحبها، وقد قال تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٤] .

• «**وَتُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا، أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ**»: ترفعه إلى دابته وتضعه عليها؛ سواء حملته بيدك، أو جعلت له من جسدك متكأ يعينه ويبلغه مقصوده؛ فهذه صدقة، أو تناوله متاعه؛ كأن يكون راكباً على دابة ويحتاج إلى مناولته لحاجته فهو منك صدقة.

وهذا مجرد مثال، وإلَّا فالصدقات في هذا الباب كثيرة جدّاً؛ كمن أعان إنساناً محتاجاً في عرض الطريق، أو قام بحق أرملة أو يتيم أو مسكين، أو علّم جاهلاً، أو دلَّه على الطريق؛ كلها في باب الحسنات، ومفضية بصاحبها إلى الخيرات.

• «**والْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ**»: وهي الكلمة التي تحمل فألاً وأملاً، وتفسح في قلب مكروب أو مهموم، أو تلك التي تعلِّم جاهلاً، أو تكشف عن ضلال، ومثلها تلك التي تأمر بمعروف، أو تنهى عن منكر، أو حتى لو كانت سلاماً أو دعاء.

• **على الآباء والمربِّين أن يفقهوا هذا المعنى في تربيتهم وتأهليهم لأبنائهم؛ فإن كثرة ملابسات النصح مع هؤلاء تنسيهم آثار الكلمة، وهو**

موطن يحتاج إلى تذكر ودعاء وتوفيـق، وكم من كلمة أفضت بصاحبها إلى خواتيم السعادة! وكم من كلمة كتب شؤمها على آخرين! ومثل ذلك الدعاة والمصلحون؛ عليهم أن يرعوا شأنها ويحتفوا بها حتى يبلغوا منها الآمال: «**وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ**».

• **حاول قـدر جهدك ووسـعك أن تعتني بكلمتك؛ فقد تأتـي منها على مقاصدك في الحياة**.. إن الكلمة الطيبة تسعد إنساناً، وتبني آخر، وتعين ثالثاً على الإصلاح، وتؤدي أدواراً كثيرة وكبيرة في الوقت ذاته: «**وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ**».

• **من الوعي: أن تستثمر وسائل التواصل الاجتماعي اليوم في إثراء واقع الكلمة الطيبة ومد أثرها**، وتكوين مساحات الربيع من خلالها، وإحياء الناس بها؛ فإن ذلك من أعظم وسائل الخير وسبل الفلاح: «**وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ**».

• **الكلمة من أعظم الأسلحة في مواجهة الباطل**، ومن مكَّنه الله تعالى من العلم فعليه أن يبسط واقعه في الأرض، وأن يُغِيرَ على مفاهيم الباطل، ويحصر مساحاتها في أضيق نطاق، وليبسط للحق مساحات تفيض على الناس مباهج الحياة: «**وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ**».

• **من فقه الكلمة الطيبة: أَلَّا تثرِّب على من وقع في منكر أو سيئة أو حصل منه خطأ غير مقصود**، وتحاصره بأخطائه التي وقعت منه، وأنه لا سبيل للعودة للحق، وإنما تبيِّن له أن هذا قدر الله تعالى ومشيئته النافذة، وما أراد الله تعالى كان، ولا يمنع أن يبني له من خلالها جسراً للخلاص والخروج من أنفاق الظلام: «**وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ**».

• «**وَكُلُّ خُطْوَةٍ تَمْشِيهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ**» تجري في ميزان حسناتك، ومن فَقِهَ هذا المعنى فرح وسر لبعد بيته عن المسجد، وكثرة خطواته في

الطريق إليه، ولذلك لما أراد بنو سلمة أن ينتقلوا إلى جوار المسجد لما خلت البيوت حولـه، قال لهم النبـي ﷺ: «**بني سـلمة ديارَكم تُكتبْ آثارُكم**».. **وكم من خطو سيأتي يوم القيامة أمثال الجبال!..**

• **الخطوة مؤثِّرة؛ خاصة تلك التي تجري في فلك دين الله تعالى، وتوسع أثره في العالمين**، وإذا كانت الخطوات التي يمشـيها الإنسان إلى المسجد إحداها ترفع حسنة والأخرى تحط خطيئة؛ فما بالك بالخطوات التي يمشيها الإنسان في سبيل الله تعالى؛ لرفع ذكره، وإعلاء كلمته ومنهجه في العالمين!..

• «**وَتُمِيطُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ**» أيّاً كان هذا الأذى الذي تلقاه؛ **حِسِّيّاً**: كالشوك والزجاج ونحوه، مما يعيق الناس في طرقاتهم، ويتسبب في عثراتهم. أو كان هذا الأذى **معنويّـاً**: كالجهل، والأفكار الخاطئة، والعادات السـيئة، والتصورات السلبية التي يزيلها العلم، ويفتح حولها آفاق الحياة.

ومن فقه هذا المعنى حرص ألَّا يترك شـيئاً في طريـق الناس إلَّا وأزاله، وحرص كذلك ألَّا يرمي من يده شـيئاً يزاحم الناس في طرقاتهم، أو يلوِّث بيئاتهم بالأذى، وجهد مع كل هـذا في تبليغ العلم الذي مكنه الله تعالى منه، وإزاحة المفاهيم الخاطئة والتصورات السلبية، والعادات السيئة من حياة الناس.

• **في الحديث دعوة إلى استثمار عمرك وحياتك فيما ينفعك في الدارين**، وألَّا تبخـل بما أعطـاك الله تعالى من الخيـر، وأن تجهد في مد مسـاحات الفضيلة، وأن تكون سراجاً في الظلام، وغيثاً على مساحات الصحراء.

ويحارب الحديث في المقابل الكسل والأنانية والانشغال بنفسك عن هموم الآخرين من أمتك، ويدعو للنضال والعمل وإفشاء فضيلة التعاون بكل وسيلة وطريق.

الحديث السابع والعشرون

البِرُّ حُسْنُ الخُلُق

عَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ الْأَنْصَارِيِّ ﷺ، قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنِ الْبِرِّ وَالْإِثْمِ، فَقَالَ: «**الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ**» رواه مسلم.

وعن وابصة بن معبد ﷺ، قال: أتيتُ رسولَ الله ﷺ، فقال: «**جِئْتَ تَسْأَلُ عَنِ البِرِّ وَالإِثْمِ؟**» قلتُ: نعم، قال: «**اسْتَفْتِ قَلْبَكَ؛ البِرُّ مَا اطْمَأَنَّتْ إليه النَّفْسُ، واطْمَأَنَّ إليه القَلْبُ، والإثْمُ ما حَاكَ في النَّفْسِ وتَرَدَّدَ في الصَّدْرِ، وإنْ أفتاكَ النَّاسُ وأَفْتَوْكَ**» رواه الإمام أحمد والدارمي بإسناد حسن.

۞ ۞ ۞

- **من فقه المربي: معرفته بأحوال صحابته وحاجتهم وما يقلقهم: «جِئْتَ تَسْأَلُ عَنِ البِرِّ وَالإِثْمِ؟».**

وهذا المعنى حافل في سيرة النبي ﷺ، كما صنع مع جابر بن عبد الله في قصة زواجه، وغيره من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، وكذلك ينبغي أن يكون المربي في التعامل مع من يربيه؛ حتى لا يضطره إلى الفوضى في حياته بعد ذلك.

- **للمتربين حاجات كثيرة جداً ناتجة عن ظروفهم وأحوالهم، ومن فقه المربي: أن يقرأ هذا قبل حديثهم عنه.**

إن واجب الأب وهو يتعامل مع أبنائه، والمربي مع طلابه: أن يقرؤوا نفسياتهم، ويدركوا حاجتهم، ويشبعوا رغباتهم حتى لا تزل بهم الأقدام والأفكار والأهواء بعد ذلك في غير طريق: «**جِئْتَ تَسْأَلُ عَنِ البِرِّ وَالإِثْمِ؟**».

• بعض الآباء يُحْـرِج ولده في طلب المال، وقـد يضطر لطلبه من زملائه، وتعريض وجهه للآخرين صغيراً كان أو كبيراً، ومثل ذلك المربي مع طلابه، **ومن لم تشبع حاجته لديك أشـبعها عند غيرك**، وفوات تلك الحظوظ منك فوات في النهاية لأثرك: «**جِئْتَ تَسْأَلُ عَنِ البِرِّ وَالإِثْمِ؟**».

• «**الْبِرُّ حُسْـنُ الْخُلُقِ**» البر: اسـم جامع لكل خصال الخير، إلَّا أنه **خصه بحسن الخلق؛ لعظم تلك المنزلة**، كما قال ﷺ: «**إنَّ صاحبَ حُسْنِ الخُلُقِ يبلغُ درجةَ الصَّائمِ الَّذي لا يُفطر، والقائمِ الَّذي لا يَفْتر**».

• «**وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ**» والإثم: خلاف البر، وهو اسم جامع لكل خصال الشر، وضبطه النبي ﷺ في هذا الحديث بأنه ما حاك في نفسـك؛ أي: ما أوجد فعله حرجاً وضيقاً وقلقاً واضطراباً في صدرك، وكرهت أن يطلع الناس عليه فينكرون عليك فعله.

• «**اسْـتَفْتِ قلبَكَ؛ البِرُّ ما اطمأنَّتْ إليه النَّفْسُ، واطمأنَّ إليه القَلْبُ**» **فالقلب دليلك**، وكثيـراً ما يكون معبراً عن الحقيقة؛ فإذا رأيته منشـرحاً مطمئنّاً فاعلم أن ذلك دليل على شرعية ما أنت فيه.

• «**والإثمُ ما حاكَ فـي النَّفْسِ، وتَرَدَّدَ في الصَّـدْرِ، وإنْ أفتاكَ النَّاسُ وأَفْتَوكَ**» وإذا شعرت بتردد وقلق وهمٍّ يغشاك ويقف في طريقك، فاعلم أن ما أنت فيه موشك بك على الظلام.

• **الأخلاق من عطايا الله تعالى لإنسان، وإذا فتح الله تعالى لعبد في هذا**

الباب فقد فتح له كل خير، ويكفي أن النبي ﷺ جعلها هي البر كله: «**الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ**».

وقد قال ابن القيم رحمه الله كلمة تكتب بماء الذهب في هذا الشأن: **الدين كله خلق؛ فمن سبقك في الخلق فقد سبقك في الدين**. اهـ.

• **كم من ربيع خلَّفَتْهُ هذه الأخلاق** في واقع الأفراد والبيوت والمؤسسات! **وكم من خلاف ومشكلات وطلاق وفراق وهجران سببه ضياعها** من حياة إنسان! «**الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ**».

• **الأخلاق المشار إليها في الحديث: بسط الوجه وطلاقته، وبذل المعروف، وكف الأذى**، وجماعها في قول الله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩] أي: خذ ما عفا وتيسَّر وسهل من أخلاق الناس، ولا تكلِّفهم ما لا يطيقون، وَأْمُرْ بكل معروف، وترفَّعْ عن كل جاهل في الطريق.

• **الأصل سلامة القلوب، ونفورها من الباطل، وقلقها واضطرابها من الحرام؛ إلَّا لعارض سوءٍ صَدَّها عن هذه المعاني**، وأفسد عليها حلاوة الإيمان، وجعلها ترتع في الظلام، ولا ترى له أثراً في قلوبها، والله المستعان: «**وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ**».

• **من كمال عقلك ووعيك: إذا ارتاب قلبك من شيء فدعه وجاوزه لغيره، أو تأكد من صحته وسلامته على دينك**، حتى لو قال لك من قال من العالمين بحل ذلك الشيء وجوازه وصحته: «**اسْتَفْتِ قَلْبَكَ؛ الْبِرُّ ما اطْمَأَنَّتْ إليه النَّفْسُ، واطْمَأَنَّ إليه القَلْبُ، والإِثْمُ مَا حَاك في النَّفْس وتردَّدَ في الصَّدرِ، وإنْ أفتاكَ النَّاسُ وأفْتَوْكَ**».

• **لا تُلْقِ لأحاديث الناس والعوام في شأن دينك بالاً، وإياك من قول كثيرين: هكذا صنع الناس**، وكلهم فعلوه، ولو كان حراماً لما تهافت الناس على فعله؛ فالأصل في الكثـرة الضلال: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦].

وعليك بسـؤال أهل العلم المعروفين بالتقوى والفقـه، وحمَّال راية الشريعة بصدق، امتثالاً لأمر ربك: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].. ولا ترضى في دينك بأنصاف الحلول.

• **في مثل زمانك سـتجد فتاوى مكتوبة وموقَّعـاً عليها ومن علماء ومعروفين، فلا تقع فريسـة هذه الصور**، وقد ثبت أن بعضهم وقع على صورة عرضت عليه، ثم استخدمت فتواه في غير محلها: «**والإثمُ ما حاكَ في النَّفْسِ، وتَرَدَّدَ في الصَّدْرِ، وإنْ أفتاكَ النَّاسُ وأفْتَوْكَ**».

ولا تسـتغرب أن تجد من يعالج جسده في مستشفيات خاصة ولدى استشاريين كبار، ومثل ذلك سيارته يجهد في إصلاحها لدى أكثر الناس دربة ودراية، ودينه يكفيه أن يستفتي أقرب الناس إليه، وكل من وجده في الطريق، ولا يبالي من ذلك بشيء.

الحديث الثامن والعشرون

أُوصِيكُمْ بِتَقْوى اللهِ والسَّمْعِ والطَّاعَة

عَنْ أَبِي نَجِيْحٍ العِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ رضي الله عنه، قالَ: وَعَظَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مَوْعِظَةً، وَجِلَتْ منها القُلوبُ، وَذَرَفَتْ منها العُيونُ، فقلنا: يا رسولَ الله! كأنَّها موعظةُ مُوَدِّعٍ فَأَوْصِنا. قال: «**أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ عز وجل، والسَّمْعِ والطَّاعَةِ، وإنْ تَأَمَّرَ عليكم عَبْدٌ، فإنَّهُ مَنْ يَعِشْ منكم فَسَيَرَى اخْتِلافاً كثيراً، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي، عَضُّوا عَلَيْهَا بالنَّوَاجِذِ، وإيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ، فإنَّ كلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**» رواه أبو داود والترمذي.

- **من فقه المربي والداعية والوالد وكل من يدير شأن التربية: أن يتعاهد من يربيهم بالموعظة قدر وسعه وإمكانه**، فكم من موعظة اجتالت أناساً للحق ما كان أحد يصدق أنهم يأتون إليه يوماً ما: (وَعَظَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مَوْعِظَةً، وَجِلَتْ مِنْهَا القُلُوبُ، وذَرَفَتْ مِنْهَا العُيونَ).

- **من شأن المربي: أن يعتني بكلمته وموعظته قدر وسعه، وأن يجمع لها من وسائل النجاح ما يفضي بها إلى قلوب سامعيه**، وخير ما جمع من ذلك: صفاء قلب، وحسن سريرة، وتعظيم شعائر الله تعالى، وقيامه بواجباته، واستكثاره من الطاعة، وبعده عن المحرمات والمنكرات، ثم إعداد كلمته وترتيبها وتنظيمها، وبنائها على الوحي، واختصارها قدر

الإمكان، حتى تلقي بأحداث الخير في قلوب سامعيها، وتأتي بهم إلى حياض الخيرات: (وعَظَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مَوْعِظَةً، وَجِلَتْ مِنْهَا القُلُوبُ، وذَرَفَتْ مِنْهَا العُيونُ).

• **باتت الدعوة في بعض المساحات والأمكنة كلأ مباحاً**؛ كل من سنحت له الفرصة أقبل على المصلين بموعظة لم يتذكَّر بعضها إلَّا حين جلس بين أيديهم، وسرد عليهم ما سنح به الخاطر، وأطال في موعظته، وربما لم يحسن الموضوع الذي اختاره، ولا يعرف حاجة من ذكرهم لذلك الموضوع، وهل هذا الموضوع الذي تحدَّث فيه أصل أو فرع، أو المصلحة تقتضي تأجيله... إلى غير ذلك؛ فالدعوة يجب ألَّا يقوم بأحمالها إلَّا أصحاب الشأن.. **ولا ينبغي لمخلوق أن يتسوَّر محراباً ليس له ولا من شأنه.**

• **الأصل أن من استجمع وسائل النجاح، وعني بها، بلغ مقصوده من سامعيه مباشرة**، وأتى إليها من أوسع الأبواب، ودق عواطف المشاعر والقلوب، وأثار مكامن العقول، وأبقى في النفوس تساؤلات كبيرة وكثيرة حول بلوغهم لنتائج هذه الموعظة المؤثِّرة ولو بعد حين: (وَعَظَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مَوْعِظَةً، وَجِلَتْ مِنْهَا القُلُوبُ، وَذَرَفَتْ مِنْهَا العُيونُ).

• **حرص تلك الأجيال على استثمار المواقف العابرة، وخلق منها مواطن للعبرة والذكرى**: (فقلنا: يا رسولَ الله! كأنَّهَا مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَأَوْصِنَا).

وإذا صلحت القلوب فلا تسل عن استثمارها للخيرات ومواقف النجاح وتجارب الحياة، وإذا خربت فلا تنتظر منها سوى الحرمان وفوات الفرص.

• **كان ﷺ سهلاً قريباً من أصحابه، فلا يردُّ لهم طلباً وفي إمكانه إجابته: «أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى الله ﷻ، والسَّمْعِ والطَّاعَةِ، وإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عبدٌ، فإِنَّه مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلَافاً كَثِيراً، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي، عَضُّوا عَلَيْها بالنَّواجِذِ، وإِياكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأمورِ، فَإِنَّ كلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ».**

وهذه أخلاق الكبار، وحياة صناع الحياة، ومن قرأ سيرته ﷺ بإمعان أدرك هذا المعنى، وفقه كيف كان يثير شجون مساحاته في واقعهم تلك الأيام.

• **من فقه الإنسان وكمال وعيه إذا لقي صاحب تجربة، أو ناجح، أو صاحب مشروع: احتفى به، واستثمر اللحظات التي يلقاه فيها، وسأله عن وسائل النجاح، واستوصاه في حياته بما ينفعه في الدارين:** (فقلنا: يا رسولَ اللهِ! كأَنَّها مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَأَوْصِنا).

وغالباً من حرص على هذا المعنى، وأحسن السؤال، واختار من يسأل؛ فإنه يصل إلى وسائل النجاح، ويطلع على تجارب القوم، ويتعرف على مشارب الكبار بما لم يصل إليها غيره.

• **الوصية بتقوى الله تعالى من أعظم الوصايا،** وأكثرها أثراً في تاريخ صاحبها، وهي وصية الله تعالى للأولين والآخرين، ووصيته لنبيه ﷺ.. ومن عرف معناها، وجهد في تحقيقها؛ بلغ منها مراده في الدارين: «**أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى الله ﷻ**».

تقوى الله تعالى: تعني القيام بواجباته، والكف عن حرماته، وتعظيم شعائره تعالى. ومن قام على هذا الطريق بوعي؛ ذاق عاجل البشرى في دنياه قبل لقاء الله تعالى.

• **شـأن الوصية في موضوعها، وكلما ركَّز الموصي على الأصول، وبناء العادات الإيجابية، وإصلاح ما بين الإنسـان وربه؛ بلغت وصيته مبلغها في قلب المستقبِل لها.**

وهذه الوصية جاءت لمعرفة النبي ﷺ بحال السائلين، وقد جاءت وصايا مختلفة ومتفرقة بحسـب السائل، فمن اسـتوصى في ذلك فَلْيُعْطِ الوصية حقَّها، وليعرف الأنفع للسائل ويدله عليه، فإن هذا من أعظم الفقه والوعي.

• «**والسَّـمْعِ والطَّاعَةِ**»: وهذه وصية خاصة بتعامل الإنسان مع ولي الأمر، وضرب النبي ﷺ حدّاً لهذه الطاعة، فقال: «**والسَّمْعِ والطَّاعةِ، وإنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ**»..

فلا يتمعَّر المؤمن من طاعة ولي أمره مهما كان شأنه، وذلك لما يترتب على معصيته والخروج عن طاعته من المفاسد ما لا يمكن حصره وبيانه.

• **العلاقة مع ولي الأمر علاقة كبيرة وخطيرة، وشأنها عظيم، وأي خلل فيها مؤذن بضياع مصالح كبرى، وحصول مفاسـد عظمى**، فجرى التنبيه عليها بهذا العمق.

وحاجة الناس إلى بيـان هذه العلاقة وحدودها وأهمية التمسـك بها وضرورتها في اسـتقامة الحال وإقامة الأمن، ويحصـل فيها من الأخطاء والجهل ما يعرِّض البلاد والأوطان إلى الفوضى في قابل الأيام.

• «**فإنَّه مَـنْ يَعِشْ مِنْكُـمْ فَسَـيَرَى اخْتِلافاً كَثيراً**»: **خبـر عن تغيُّر الأحوال، وضياع كثير من المصالح، وانحسار الدين.**

وهذا الخبر لا ينبغي أن يفضي إلـى البكاء والأحزان، والتخلي عن العمل، والانحسار عن الحياة العامة، والقعود في هامش الأحداث، بل **دعوة للاستعداد والاستثمار والتفاعل مع ذلك الواقع.**

• **من فقه المربي: أنه يعرض المشكلة مقرونة بِحَلِّها**، وإذا ذكر شيئاً من الظلام جاء بما يدفعه من النور، وهو بهذا الطرح يعين السامع على العمل والتفاعل مع الأفكار المطروحة بشكل إيجابي وفاعل ومثمر: «**فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي، عَضُّوا عَلَيْها بِالنَّواجِذِ**».

• مشكلة كثير من الطروحات والأفكار، التي تخرج في شكل موعظة، أو خطبة، أو رسالة، أو حتى في برامج فضائية؛ تعرض المشكلات معزولة عن الحلول، وتثير مساحات الظلام، وتوسِّع في دائرة اليأس والإخفاق والفشل، وهي بهذا تودي بحياة كثيرين في الهامش. **ومن كمال الفقه: أن تأتي المشكلة مصحوبة بعلاجها الإبداعي**، الذي يعين على الإجهاز عليها بشكل جذري.

• **أهم الحلول، وأكثرها تأثيراً في مواجهة الفساد بصوره وأشكاله: التمسُّك بسيرة النبي ﷺ وسيرة خلفائه الراشدين المهديين**، والعمل بمضامينها، وتفعيلها في واقع كل إنسان: «**فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي، عَضُّوا عَلَيْها بِالنَّواجِذِ**».

• يجب أن يكون هذا الحل: «**فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي، عَضُّوا عَلَيْها بِالنَّواجِذِ**» هو أهم الحلول، وأكثرها عرضاً، وألصقها بكل مشكلة.. وأي تخلُّف في هذا الحل هو سقوط لأكثر العوامل إسهاماً في العلاج.

• إذا حَلَّتْ بك مشكلة، أو وقعت في بيتك أزمة، أو ثارت في مجتمعك ووطنك وأمتك فتنة؛ **فاعلم أن الذي أوجب ذلك هو التفريط في هذا المعنى الكبير**: «**فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي، عَضُّوا عَلَيْها بِالنَّواجِذِ**».

• **لا تستغرب في زمان الفتن أن ترى من كان مغرماً بسُنَّة النبيِّ ﷺ، محبّاً لها، شغوفاً بتطبيقاتها؛ عاد متخلِّفاً عنها، صادّاً عن طريقها، متخلِّياً عن مظاهرها.**

وليس أدل على هذا من تقصير بعض الأخيار من لحاهم، وتطويلهم لثيابهم، وتبرُّم المرأة المؤمنة من الحجاب الشرعي، وتحويله إلى مجرد لثام يغطي جزءاً يسيراً من الوجه، وتقصيرهم في واجبات كبرى أودت بهم في النهاية إلى الضياع.

• «**وإيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ، فإنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»: تذكير بخطر البدع في الواقع.

وجه خطر البدعة: أنها تسن للناس ديناً جديداً، ويتهافت الناس عليها على أنها شريعة، وتضيع السُّنَّة، ويذهب نورها مع الأيام، وتصبح غريبة في واقع الناس، ويترتَّب على هذا فوات دين الله تعالى من واقع الناس، وإحلال البدع والمحدثات ديناً جديداً.

• **البدعة ضلال، وخروج عن الطريق، واستدراك على الشارع، وتحكيم الأهواء على حساب الحق**، وكل بدعة شؤم في حياة صاحبها.

ومن استحسن شيئاً لم يَرِدْ به نصٌّ صحيح؛ فهو ممَّن استدرك على الشريعة، واعتبرها ناقصة تحتاج إلى إتمام.

ومن تأمل سوءة هذا المعنى، وآثاره على حياته؛ أدرك خطر البدع، وسما بنفسه عن دركات الجاهلية: «**وإيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ، فإنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**».

الحديث التاسع والعشرون

أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الجنَّةَ ويُباعِدُنِي عنِ النَّار

عنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ﷺ، قَالَ: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَأَصْبَحْتُ يَوْماً قَرِيباً مِنْهُ وَنَحْنُ نَسِيرُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الجَنَّةَ، وَيُبَاعِدُنِي عَنِ النَّارِ. قَالَ: «**لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ عَظِيمٍ، وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللهُ عَلَيْهِ؛ تَعْبُدُ اللهَ وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجُّ البَيْتَ**».

ثُمَّ قَالَ: «**أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الخَيْرِ؟: الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ المَاءُ النَّارَ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ**» قَالَ: ثُمَّ تَلَا ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ...﴾ حَتَّى بَلَغَ ﴿يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٦ ـ ١٧].

ثُمَّ قَالَ: «**أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الأَمْرِ كُلِّهِ، وَعَمُودِهِ، وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ؟**» قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: «**رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الجِهَادُ**».

ثُمَّ قَالَ: «**أَلَا أُخْبِرُكَ بِمِلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟**» قُلْتُ: بَلَى يَا نَبِيَّ اللهِ. فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ، قَالَ: «**كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا**».

فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ، وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: «**ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ، أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ، إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟!**» رواه الترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح.

• **من فقه الإنسان وكمال وعيه: أن يوظِّف أسئلته فيما ينفعه في الدارين:** (عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ﷺ، قَالَ: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَأَصْبَحْتُ يَوْماً قَرِيباً مِنْهُ وَنَحْنُ نَسِيرُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الجَنَّةَ، وَيُبَاعِدُنِي عَنِ النَّارِ).

ما أكثر الأسئلة التي لا معنى لها، ولا تقوم بها مساحة عمل، ولا يُرجى منها فواتح توفيق، ولا تمد في رسالة، وكل ما يُدار أو غالبه في قضايا تؤثِّم الإنسان وتوقعه في الحرج بين يدي الله تعالى يوم القيامة، ولا يستفيد منها في حياته العملية شيئاً.

• **وضوح الرؤية لدى الجيل الذي رافق النبي ﷺ:** (أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الجَنَّةَ، وَيُبَاعِدُنِي عَنِ النَّارِ).

ومن عرف ما ينتظره كدَّ إليه جهده بكل ممكن، ودفع بأمانيه إلى تلك الأشواق.

أخطر قضية تواجه أجيال هذه الأمة فوات الرؤية الواعية من حياتهم، وكثير من هؤلاء رؤيته لا تتجاوز سيارته التي يركبها، أو ثوبه الذي يلبسه، أو بيته الذي يسكنه، وما عدا ذلك لا يشغله شيء.

• **فقه المربي ضروري في إيصال الرسالة التي يريد بلاغها، وبناء الأفكار والمفاهيم والتصورات من خلالها:** «**لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ عَظِيمٍ، وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللهُ عَلَيْهِ**».

بيَّن له أن ما يسأل عنه عظيم يستحق السؤال والاحتفاء، ولكنه مع تلك العظمة في إمكانه، فشوَّقه إليه، ورفع رؤيته إلى أبعد مدى، واستثار مشاعره، وغازل عواطفه بشيء بهيج، ثم قرَّبه إليه وطمَّعه فيه حتى لا يُوجِد فارقاً بين تلك الأمنية التي يعيشها والعمل الذي يبلِّغه إياها.

• **تقاس الأمور وتقدَّر بأثرها الأخروي، ومكانها من واقع الشريعة، وتحقيقها لمقاصد الحياة الكبرى: «لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ عَظِيمٍ».**

وفوات هذا الضابط من حياة الناس مفضٍ لخلل في الحكم على الأشياء، ولذا ترى أن الإنجازات والنجاحات باتت تأخذ منحًى آخر، ولم يعد ضابطها واضحاً في النهاية.

• **التوفيق بيد الله تعالى، ومن استطاع أن يبذل الأسباب الموصلة لهذا المعنى أتى على فواتح التوفيق كما يشاء: «وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللهُ عَلَيْهِ».**

وما كل ما يُراد ويطمح فيه الإنسان يتحقق له إلَّا بتوفيق الله تعالى، وتوفيق الله تعالى لا ينال إلَّا بطاعته، ومَنْ أَحْسَنَ الطريق بصدق، وأقبل عليه جادّاً، وقام بحقوق الله تعالى، وعظَّم شعائره تعالى؛ بلغ مناه، وأتى على أعظم مقاصده، والله المستعان.

• **لا تعتمد على نفسك، ولا تثق بقدراتك، ولا تتوهَّم أنك قادر على إنجاز مشاريعك، بل تيقَّنْ تماماً أنك من دون توفيق الله تعالى لا شيء.**

وأعظم الخذلان: أن يكلك الله تعالى لنفسك، حتى إن رسولك ﷺ كان يشعر بذلك في كل لحظة، ومن قرأ موقفه ودعاءه وتوسله يوم بدر على العريش؛ أدرك كيف يبلغ الإنسان مراده من هذا المعنى الكبير: «**وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللهُ عَلَيْهِ**».

• **إذا أردت أن تعرف هذه الحقيقة؛** فتأمل ذلك الذي فتح الله تعالى عليه في الخيرات، وما من باب فضل وخير وتوفيق إلَّا وله فيه راية، وصاحب سبق وتأثير في مساحته، وبركة في وقته وحياته، وأوراده منتظمة لا يكاد يختل منها شيء.

وآخر مشـــغول بلا مشـــروع، ومجهد بلا عمل، وكلما قام إلى قضية ورســـالة تهاوت خطاه قبل بلوغها، ويعاني من ضمور في همته، وكسل يعتري جسده، كلما قام إلى فكرة أو مشروع عجز عن إتمامها، لا يدري ما الذي أصابه، ومن أين جرت عليه هذه الرزايا: «**وَإِنَّهُ لَيَسِـــيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللهُ عَلَيْهِ**».

• «**تَعْبُدُ اللهَ وَلَا تُشْـــرِكُ بِهِ شَـــيْئاً**»: هـــذه وصية الله تعالـــى لعباده: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ [النساء: ٣٦].

والشرك أيّاً كانت صورته؛ سواء كان شركاً أصغر أو أكبر؛ مفضٍ لفساد العمل وبطلانه، ومن تلوَّث به ضاع منه كل شيء، وخسر كل أمانيه.

• «**وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجُّ البَيْتَ**»: **هذه أركان الإسلام ومبانيه العظام**، ومن أتى بها صار إلى خير، ولقي الله تعالى فائزاً في الدارين.

• ثُمَّ قَالَ: «**أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الخَيْرِ؟: الصَّوْمُ جُنَّةٌ**»: **ســـترة ودرع** واقٍ لك من النيران.

• «**وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِـــئُ المَاءُ النَّارَ**»: **وهي من أعظم ما تواجه به الخطايا والمعاصي في جنب الله تعالى.**

وإذا تأملت صورة الماء إذا صُب على نـــار ما يصنع بها؛ علمت أثر الصدقات في مواجهة الذنوب. **وهذه الصدقة شاملة لـ:**

ـ **صدقة القول**: مـــن الكلمة الطيبة، والأمر بالمعـــروف، والنهي عن المنكر.

ـ **وصدقة العمل**: من المال والوقت والأفكار، وتعليم العلم، وبيان الحق، ومواجهة الجهل، والتصدي للمنكرات، والوقوف في وجه البدع ونحو ذلك.

ـ **وصدقة عون الآخرين** في أعمالهم ومشاريعهم ومنافعهم وما يحتاجون إليه.

• «**وَصَلَاةُ الرَّجُلِ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ**» قَالَ: ثُمَّ تَلَا ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ...﴾ حَتَّى بَلَغَ ﴿يَعْمَلُونَ﴾ أي: **إن فضلها عظيم وكبير، وجالبة للخيرات، ودافعة للمشكلات، وهي سيما الصالحين**: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ [الذاريات: ١٧].

وقام ﷺ حتى تفطرت قدماه، وهي جزء من أوراد الكبار وصُنَّاع الحياة من أزمان السلف إلى يومنا هذا، ومن عقد مع هذه العبادة عهداً وميثاقاً لا يتخلَّف عنه؛ رأى فواتح التوفيق تجري في حياته كأبهج ما يكون.

• «**أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الأَمْرِ كُلِّهِ، وَعَمُودِهِ، وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ؟**» قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: «**رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الجِهَادُ**».

ـ «**رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلَامُ**» الإسلام: أن تستسلم لله تعالى في كل شيء، وتكون عبداً لا يتحرك إلَّا بإذن ربه تعالى، وإذا قطع الرأس فلا حياة، وإذا ذهب الإسلام بهذا المعنى لم يعد شيئاً باقياً.

ـ «**وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ**»: شبَّه الصلاة بالنسبة للإسلام بعمود الخيمة الذي إذا سقط سقطت الخيمة؛ فالصلاة كذلك إذا تخلفت من حياة إنسان ضاع منه كل شيء، ولم يبق له ما ينفعه من العمل، وفي الحديث: «**بينَ الرَّجُلِ وبَيْنَ الشِّرْكِ والكُفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ**».

- «**وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الجِهَادُ**» وهذا تشبيه بالجَمَل، فأعلى ما فيه سنامه، والجمل متحرك، والجهاد هو الحياة، وهو مبعث الحركة والقوة والعز والتمكين في واقع الأمة، ومن دونه لا قوام للأمة ولا شوكة.

هذا هو الجهاد؛ فما تقول الأمة التي تتحرج اليوم من هذه الكلمة، وإذا تكلم بها طالب علم أمامهم رمقته الأعين؛ لأن العدو أقنعهم أن الجهاد هو سبب الثورات، وتفشي الفوضى، وحصول الخلل في الأمن، وفاتهم أن هذا هو أعز ما يملكون، ولو نضب من قلوبهم ومشاعرهم أكلهم العدو ضُحًى، ولا عزَّ لهم بدونه، **ومن عزِّ الأمة أن تناضل عن قيمها ومبادئها وأسمائها الشرعية، وألَّا تنخذل عن قضيتها الكبرى.**

• «**أَلَا أُخْبِرُكَ بِمِلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟**» قُلْتُ: بَلَى يَا نَبِيَّ اللهِ. فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ قَالَ: «**كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا**» فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ، وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: «**ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ، أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ، إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟!**»: ما أكثر خطر اللسان على صاحبه إذا لم يرعه حقه، ولم يكممه عن موارد السوء والخطيئات، فقد جعله النبي ﷺ جامعاً لتلك الخيرات التي ذكرها في الحديث، وهو في المقابل سبيل إلى كبِّ الناس على وجوههم أو مناخرهم في نار جهنم..

وعضو بهذا الشأن حريٌّ بأن يجهد العاقل في تحصينه، وتكميمه قدر الوسع، وفي الحديث: «**وإنَّ العبدَ ليتكلَّمُ بالكلمةِ مِنْ سخطِ الله تعالى لا يُلقي لها بالاً، تَهْوي به في جَهَنَّم**».

ومن أعظم علامات الخذلان: أن يبتليك الله تعالى بالخوض في أعراض المسلمين.. ومن أعظم علامات التوفيق: أن يشغلك الله تعالى بالخير وموارد التوفيق، ويعينك على ذلك ويسددك.

الحديث الثلاثون

إنَّ اللهَ فَرَضَ فَرائضَ

عن أبي ثَعْلبةَ الخُشَنِيِّ جُرْثُومِ بنِ ناشِرٍ ﷺ، عن رسولِ اللهِ ﷺ، قالَ: «**إنَّ اللهَ تَعالى فَرَضَ فَرَائِضَ فَلَا تُضَيِّعُوهَا، وَحَدَّ حُدُوداً فَلا تَعْتَدُوهَا، وَحَرَّم أَشْيَاءَ فَلَا تَنْتَهِكُوهَا، وَسَكَتَ عَنْ أَشْيَاءَ رَحْمَةً لَكُمْ غيرَ نِسْيانٍ فَلَا تَبْحَثُوا عَنْهَا**» حديث حسن، رواه الدارقطني وغيره.

- **الحكم لله تعالى، وهو الحاكم والمشرِّع**، وليس لبشر أو نظام أن يصدر شيئاً في هذه الدنيا؛ إلَّا بإذن الله تعالى: «**إنَّ اللهَ تَعالى فَرَضَ فَرَائِضَ فَلا تُضَيِّعوها، وحَدَّ حُدُوداً فَلَا تَعْتَدُوهَا، وحَرَّمَ أشياءَ فَلَا تَنْتَهِكُوهَا، وسَكَتَ عَنْ أشياءَ رَحْمَةً لَكُمْ غَيْرَ نِسْيانٍ فَلَا تَبْحَثُوا عَنْها**».

- **من فقه الإنسان وكمال وعيه: أن يجتهد في معرفة حكم الله تعالى حتى يأتي على مراده**؛ سواء في ثبوت الحديث أو ضعفه، وفي معرفة معناه وتوجيهه حين يصح ويصبح ثابتاً.

- **شريعة الله تعالى كاملة ليس فيها شيءٌ مجهولٌ**، ومن لم يعلم بمراد الله تعالى في مسألة من مسائل العلم المعاصرة والحاضرة؛ فليسأل أهل العلم، وسيجد بيان ذلك لا لبس فيه: «**إنَّ الله تعالى فَرَض فَرَائِضَ فَلَا تُضَيِّعوها، وحَدَّ حُدوداً فَلَا تَعْتَدوهَا، وحَرَّمَ أشياءَ فَلَا تَنْتَهِكُوها، وسَكَتَ عن أشياءَ رحمةً لكمْ غيرَ نِسْيانٍ فلا تَبْحَثُوا عنها**».

• **دين الله تعالى أصول وفروع**، منه ما هو واجب، ومنه ما هو محرم، كما أن منه ما هو مستحب، ومنه ما هو مكروه، ولم يترك الله تعالى شيئاً هملاً بلا حكم، بل بيَّن ذلك وفصَّله، ولم يَدَعْ فيه للظنون مجالاً.. «**إنَّ الله تَعَالى فرضَ فرائضَ فلا تُضَيِّعوها، وحدَّ حدوداً فلا تَعْتَدُوها، وحرَّم أشياءَ فلا تَنْتَهِكوها، وسَكَتَ عن أشياءَ رحمةً لكم غيرَ نِسيانٍ فلا تَبْحثوا عنها**».

• **كل ما سكتت عنه الشريعة فهو حلال**، وهذا في عموم الأشياء؛ سوى العبادات فالأصل فيها الحظر؛ فليس لأحد من الخلق أن يختلق عبادة من العبادات لم ترد في شريعة الله تعالى: «**وسَكَتَ عن أشياءَ رحمةً لكم غيرَ نِسْيانٍ فلا تَبْحَثُوا عنها**».

• **من أدب الإنسان وكمال وعيه: ألَّا يسأل عن أشياء سكتت عنها الشريعة ولم تبينها**، إلَّا إذا كان هذا السؤال في إطار البحث والمناقشة، كما يجري من طلاب العلم؛ فلا حرج: «**وسَكَتَ عَنْ أشياءَ رحمةً لكمْ غيرَ نِسْيانٍ فلا تَبْحَثوا عنها**».

• **من الأسئلة التي لا يجوز بحال السؤال والبحث فيها: كل ما يتعلق بأمور الغيب، ومثل ذلك صفات الله تعالى**، ولا المسائل التي لا يترتب عليها عمل وثمرة في حياة الناس: «**وسَكَتَ عَنْ أشياءَ رحمةً لكمْ غيرَ نِسْيانٍ فلا تَبْحَثوا عنها**».

• **كل ما كان فيه الحِلُّ فلا ينبغي فيه السؤال مطلقاً**، والسؤال عن ذلك نوع من التنطُّع في دين الله تعالى، وهو مذموم: «**وسَكَتَ عَنْ أشياءَ رحمةً لكمْ غيرَ نِسْيانٍ فلا تَبْحَثوا عنها**».

• **رحمة الله تعالى بعباده**، وأن للشارع حكماً لم يتركها نسياناً، وإنما تركها رحمة وشفقة بالإنسان: «**وسَكَتَ عَنْ أشياءَ رحمةً لكمْ غيرَ نِسْيانٍ فلا تَبْحَثوا عنها**».

الحديث الحادي والثلاثون

ازْهَدْ في الدُّنيا يُحِبَّكَ الله

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ ﷺ، قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا أَنَا عَمِلْتُهُ أَحَبَّنِيَ اللهُ وَأَحَبَّنِيَ النَّاسُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللهُ، وَازْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبَّكَ النَّاسُ**» رواه ابن ماجه وغيره بأسانيد حسنة.

- **فقه الصحابة ﷺ وكمال وعيهم**: ترى ذلك في نوعية الأسئلة التي يطرحونها على رسول الله ﷺ: (يَا رَسُولَ اللهِ، دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا أَنَا عَمِلْتُهُ أَحَبَّنِيَ اللهُ وَأَحَبَّنِيَ النَّاسُ).. وكذلك ينبغي أن يكون وعي كل حريص على آخرته، جادٍّ في بلوغ آمالها، ومستعدٍّ لتكاليف الطريق.

- **وضوح الهدف والغاية والرؤية لدى تلك الأجيال**، فأكثر ما يثير شجونهم، ويسيطر على مشاعرهم، ويبحثون له عن جواب: محبة الله تعالى، وبلوغهم لذلك الأمل الكبير في حياتهم: (يَا رَسُولَ اللهِ، دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا أَنَا عَمِلْتُهُ أَحَبَّنِيَ اللهُ وَأَحَبَّنِيَ النَّاسُ).

- **جزء كبير من أجيال اليوم ضاعت منهم هذه الرؤية**، وفقدوا بوصلة الشمال، وضاعت أهدافهم الكبرى في الحياة، فلم يعد هذا السؤال الكبير: (يَا رَسُولَ اللهِ، دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا أَنَا عَمِلْتُهُ أَحَبَّنِيَ اللهُ وَأَحَبَّنِيَ النَّاسُ)

يستحوذ على أفكارهم، ويأخذ من مساحات مشاعرهم، ويستولي عليهم، ففاتهم بفوات هذا المعنى كل شيء.

• **محبة الناس مقصد شرعي**؛ ولهذا سأل هذا الصحابيُّ عن تحقيق هذا الهدف، وأقره النبيُّ ﷺ.. (وَأَحَبَّنِيَ النَّاسُ).

فإن المصالح المتحققة بهذا الهدف كثيرة جدّاً، ولو لم يكن فيها إلَّا أن يعيش سليم القلب، متسامحاً خالياً من العداوات والإحن والمشكلات؛ لكان كافياً، فكيف إذا كان في هذا المعنى مصالح أكبر من هذا؛ كقضاء حوائجه، وتسهيل أمور دينه ودنياه، وبلوغه غاياته كما يريد.

وفي قصة أبي هريرة رضي الله تعالى عنه في صحيح مسلم، قال: قلت: يا رسولَ الله، ادعُ الله أنْ يُحَبِّبني أنا وأمِّي إلى عبادِهِ المُؤمنين، ويُحِبِّبَهم إلينا. فقال ﷺ: «**اللَّهُمَّ حَبِّبْ عُبيدَك هذا وأمَّه إلى عبادك المؤمنين، وحَبِّبْ إليهم المُؤمنين**».

• **وليس من الفقه قول من يقول: لا علاقة لي بالخَلْق؛ أُرْضِي الله تعالى، ولا شأن لي بالآخرين!** بل ينبغي أن تعتني بمن حولك، وتقوم بواجباتهم، وتعينهم، وتتعاون معهم في كل ما من شأنه توسيع رقعة دين الله تعالى في الحياة، وكم من مصالح تحققت بهذا المعنى! وكم من مصالح تعلَّقت من أجل ذلك، والله المستعان!.

• **من سوء الفقه وفهم النصوص على غير بابها: سعي الإنسان في إرضاء المخلوقين على حساب شريعة الله تعالى**، وهذا فهم أعوج لا علاقة له بشريعة الله تعالى، وفي الحديث: «**مَنْ أَرْضى النَّاسَ بسخطِ اللهِ؛ سَخِطَ اللهُ عليهِ وأَسْخَطَ عليه النَّاسَ**».

وإنما الواجب أن يتعامل مع الخلق بما يتوافق مع شريعة الله تعالى؛ من بسطة الوجه وبشاشته، وعونهم فيما يحتاجون إليه، ومحبتهم كما يحب لنفسه، ويكره لهم ما يكره لنفسه، ويقضي حوائجهم ويقف معهم في كَرْبهم.

• «**ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللهُ**»: الزهد في الدنيا هو الطريق إلى محبة الله تعالى.

والزهد: ترك ما لا ينفع في الآخرة، فمن رغب في تحقيق هذا المطلوب فينبغي ألَّا يأخذ من الدنيا إلَّا ما يبلغه الآخرة فحسب.

• **إذا تأملت في هذه الوصية أدركت مدى الفاصل بيننا وبين تحقيقها، وتزداد مسافتها كل يوم في واقعنا**، والناس مقبلة على توسُّع كبير وفي كل شيء، وغالباً ما يكون مع هذا التوسع ولوغ في المحرمات، وتساهل في المناهي؛ فلا يبلغ الإنسان مقصوده من حب الله تعالى، **بخلاف الزاهد المتخفف؛ فإنه يصبح مع الأيام صافياً خالياً من دنس الشبهات والمحرمات.**

• **لا يُفهم من هذا: أن الزهد هو التبذُّل في اللباس والمراكب والسكن ونحوها، وكم من متبذِّل في هذه الجوانب وهو أكثر الناس شرهاً في الدنيا، وإقبالاً عليها، وموادة ومعاداة فيها ومن أجلها**، وما تراه من تبذُّل إنما هو من شدة تمسكه بالدنيا، وإقباله عليها، ونسيانه للآخرة.

فإذا أخذ الإنسان كفايته من هذه الحياة؛ فركب جميلاً، ولبس أنيقاً، وسكن واسعاً، وكانت عوناً له على مراضي الله تعالى، ولم تخلق في قلبه كِبْراً وعلوّاً على الآخرين؛ لم تعارض الزهد الذي يقرِّب إلى الله تعالى، وإنما كانت عوناً على بلوغه كل حين.

• «**وَازْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبَّكَ النَّاسُ**»: جُبلت الناس على الشهوات، وحب التملك، والشغف بزيادة ما في أيديها من دنيا، وكل من تركهم ودنياهم واستعلى على تلك المظاهر ولم يسألهم منها شيء؛ كلما أحبوه وتعلقوا به؛ لأنه لا يزاحمهم على دنياهم، ولا يسألهم ما يبدد ذلك النعيم الذي في أيديهم.

بخلاف من سألهم ورغب فيما عندهم؛ فمثل هذا يكرهونه، ويتجنبون مجالسه، وإذا رأوه اشمأزوا منه، وعرفوا أنه ما جاء إلَّا لما عندهم..

ولذلك كان سؤال الخلق مذموماً في الشريعة، وكان الصحابة رضوان الله تعالى عليهم يسقط سوط أحدهم على الأرض وهو على بعيره، ما يرضى أن يسأل أحداً أن يعيده إليه ويناوله إيَّاه، وإنما ينزل عن جمله ويأخذه ويعود راكباً.. وهذا من أخلاق الكبار ومنازل المتقين.

• **من جمال هذه الشريعة: أنها تحرص على استعلاء المؤمن عن الدنيا**، وترفعه عن حياض الرذيلة، وتشجعه على الاعتماد على النفس، وتمنعه من أن يمد يده بالسؤال إلى الآخرين: «**ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللهُ، وَازْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبَّكَ النَّاسُ**».

الحديث الثاني والثلاثون

لا ضَرَرَ ولا ضِرَارَ

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قالَ: «**لَا ضَرَرَ ولَا ضِرَارَ**» رواه ابن ماجه.

- **الضرر: ما حصل بقصد. والمضارة: ما حصل بدون قصد.**

وهذا هو أصل الشريعة الثابت: أنها تُحرِّم الضرر وتنهى عنه أيّاً كانت صوره وأشكاله: «**لَا ضَرَرَ ولَا ضِرَارَ**».

- **أناقة الشريعة وجمالها؛ فكلُّ تشريعاتها تحمي الإنسان من الاعتداء عليه**، وتواجه ذلك بقوارع النصوص الناهية عن أذيته، وتخلق بهذه المعاني اجتماع الكلمة، وائتلاف الرأي، وتكاتف الجماعة نحو تحقيق مقاصد شريعة الله تعالى في الحياة: «**لَا ضَرَرَ ولَا ضِرَارَ**».

- **كل عمل تسبب في ضرر على آخر فهو ممنوع بكل حال؛ سواء قصده صاحبه أم لم يقصده**، ولا تجيزه الشريعة، وتوقفه مهما كان أثر ذلك الضرر، ما لم تقم عليه ضرورة أخرى فتقدَّر بقدرها: «**لَا ضَرَرَ ولَا ضِرَارَ**».

- تجري هذه القاعدة في التعامل بين الزوج وزوجه، والإنسان مع جاره، والصديق مع صديقه، والموظف مع زميله: «**لَا ضَرَرَ ولَا ضِرَارَ**».. **وكل عمل يترتب عليه ضرر لآخر فهو ممنوع موقوف.**

الحديث الثالث والثلاثون

لو يُعْطَى النَّاسُ بِدَعْوَاهم

عنِ ابْنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: أنَّ رَسُولَ الله ﷺ، قالَ: «**لَوْ يُعْطَى النَّاسُ بِدَعْوَاهُمْ لادَّعَى رجالٌ أموالَ قومٍ ودماءَهم، ولكِنِ البَيِّنةُ عَلَى المُدَّعِي، واليَمِينُ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ**» حديث حسن، رواه البيهقي.

❁ ❁ ❁

• **هذا الحديث قاعدة تجري في فصل الخصومات والنزاعات التي تكون بين المخلوقين**، وتمكنهم من أخذ حقوقهم، وتحجز أهل الظلم وتمنعهم من الاعتداء على تلك الحقوق بلا بيِّنة.

• **حب الدنيا، والتعلُّق بها، والاستمتاع بما فيها؛ أصل جُبل عليه الناس، وفطروا عليه، ولهذا تجدهم يخاصمون وينازعون ويظلمون**، ويدعي كل واحد بدعوى لا واقع لها، وربما يستجلب من الشهود من يعينونه على تحقيق مآربه طمعاً في شيء من لعاع الحياة العاجل: «**لو يُعْطَى النَّاسُ بِدَعْوَاهُم لادَّعَى رجالٌ أموالَ قومٍ ودِمَاءَهُم**».

• **الدعوى ليست خاصة بالأموال والدماء**، كما في الحديث: «**لو يُعْطَى النَّاسُ بِدَعْوَاهُم لادَّعَى رجالٌ أموالَ قومٍ ودِمَاءَهُم**».. وإنما تجري كذلك في الأعيان والمنافع وكل شيء.

• **أناقة الشريعة وجمالها؛ فقد جاءت لحماية حقوق الآخرين**، وسَنَّتِ الأنظمة الكفيلة بمنع اعتـــداء الناس على بعضهـــم، وكفلت لهم بذلك الحياة: «**لو يُعْطَى النَّاسُ بِدَعْوَاهُم لادَّعَى رجالٌ أموالَ قومٍ ودِمَاءَهُم**».

• **عدالة الشريعة وحسن نظرها؛ فقد جعلت البينة على المدعي؛ لأنه صاحب الدعـــوى**؛ فعليه أن يأتـــي بالبينات الدالة علـــى صدقه في تلك الدعوى، وإلَّا فإن أموال الناس لا يمكن أن تكون حقّاً مشاعاً لكل مدِّعٍ: «**لَوْ يُعْطَى النَّاسُ بِدَعْوَاهُمْ لادَّعَى رجالٌ أموالَ قومٍ ودماءَهم، ولكِنِ البَيِّنةُ عَلَى المُدَّعِي، واليَمِينُ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ**».

الحديث الرابع والثلاثون

مَنْ رَأى مِنْكُم مُنْكَراً فَلْيُغَيِّرْه

عن أبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يقولُ: «**من رَأى منكُمْ مُنْكَراً فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فإنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فإنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وذلكَ أضْعَفُ الإيمَانِ**» رواه مسلم.

❁ ❁ ❁

• **عظم شعيرة الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر**، وهي من صفات المؤمنين المتقين: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [التوبة: ٧١].

وبها قوام الدين، وإقامة شعائره، وتحقيق مقاصده الكبرى، ولذلك كان فرضاً على كل من شهده: «**من رَأى منكُمْ مُنْكَراً فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فإنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فإنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وذلكَ أضْعَفُ الإيمَانِ**».

• **وهو فرض على كلٍّ من حضره ورآه، أو بلغه يقيناً**؛ للحديث: «**من رَأى منكُمْ مُنْكَراً فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فإنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فإنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وذلكَ أضْعَفُ الإيمَانِ**».. والأصل في الأمر الوجوب.

• **الإنكار على درجات ثلاث: اليد، واللسان، والقلب**.. ولا ينزل من الأعلى إلى الأدنى إلَّا بتعذُّر القدرة على المرتبة الأعلى: «**من رَأى منكُمْ مُنْكَراً فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فإنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فإنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وذلكَ أضْعَفُ الإيمَانِ**».

• **تغيير اليد متعلِّــق بأصحاب الولايات**؛ كالآبــاء والأزواج وولاة الأمر، وكل من ولَّاه الله تعالى مسؤولية في مساحة من الأرض: «**من رَأى منكُمْ مُنْكَراً فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فإنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فإنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وذلكَ أضْعَفُ الإيمَانِ**».

• **اللسان هو المرتبة الثانية، ولا يعذر منه مخلوق شهد منكراً أو رآه أو بلغه خبره**؛ إلَّا إذا تحقق أن مفســدة ذلك عليه أشد وأعظم وأكبر من السكوت، فتقدر المصلحة والمفسدة حينها بقدرها: «**فإنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ**».

• **فإن تعذَّر عليه الإنكار باليد واللســان، فلا أقل من أن يتأثر قلبه، ويتمعَّر وجهه**؛ غضباً لله تعالى على مشــهد المعصية: «**فإنْ لَمْ يَسْــتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وذلكَ أضْعَفُ الإيمَانِ**».

• **الأصل أن للإيمان حركة ومشــهد حياة في قلب صاحبه**، والسلبية والتخلي عن مشهد الحركة والفاعلية والإنتاجية في أي مساحة دليل على ضعف الإيمان: «**فإنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وذلكَ أضْعَفُ الإيمَانِ**».

• الصالح العابد المتنسِّك القائم بأوامر الله تعالى، والمتخلِّف عن مشهد الحركة والفاعلية في إقامة شــعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ يهلك مع الهالكين، ويذهب في لجج الظلام، ويأخذه الفساد في غمرته، ويضيع في النهاية كأنه لم يصنع شيئاً: أنهلكُ وفينا الصَّالحونَ؟ قال: «**نَعَمْ، إذا كَثُرَ الخَبَثُ**».

بينما القائمون بمشــهد الحياة، والفاعلون والمنتجون، والذين يحيون شعائر الله تعالى، ويقيمون حدوده؛ لا ينالهم شيء من عواقب الفساد: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود: ١١٧].

• **أفضى التساهل بشـــريعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى انتشار الفساد وتطبيعه**، وتهوينه في أعين الناظرين، حتى عاد ما كان منكراً بالإجماع فيه خلاف ولا حرج من الوقوع فيه.

• **بدأ مشهد ترك هذه الشريعة من الزوج مع زوجه؛ والأب مع أبنائه**؛ فتساهل معها في الخروج للأسواق بلا ضابط ولا حاجة ملحَّة، ودون نظر أو تأكيد لمســائل الحجاب في هــذه الأماكن، حتى اســتمرأت الزوجة والأبناء هذه المشاهد، وتربوا على هذه المعاني، ونشؤوا عليها، وصعب عليهم بعد ذلك التخلي عنها عند الكبر، وفات هؤلاء حديث رسولهم ﷺ: «**من رَأى منكُمْ مُنْكَراً فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فإنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فإنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وذلكَ أضْعَفُ الإيمَانِ**».

• **ومثل ذلــك منكرات الأفراح؛ بدأت بمثل هذا التســاهل**، حتى أفضت بألبسة فاضحة ومشينة ولا تليق بمؤمنة، مع ما يصحب هذا من منكرات الغناء والموســيقى التي قال عنها ابن القيــم في كتابه «إغاثة اللهفان»: **لو أذن الله لامرأة أن تحبل من الغناء لحبلت**. اهـ.

ومثل ذلك ما يُدار في حفلات الرجال؛ بدأت من السفهاء والصغار وأصحاب الشهوات، ثم توســعت حتى بات يديرها أصحاب الشأن.. وقل مثل ذلك في كل منكر تراه في مكان ما.

• **يتحمَّل جملةٌ مــن الصَّالحين والصالحات نتائــج هذه المنكرات وانتشــارها وفســادها يوم القيامة**؛ فإنهــم حضروها ودعموهــا بمالهم ومشاركتهم فيها، ولم تتمعَّر وجوههم لله تعالى، ولو أنكروها وعزفوا عن حضورها وذكَّروا الواقعين فيها؛ لأجهضوا كثيراً من مشاهد الفساد.

• **وجود هيئة على مستوى البلد مَطْلب وضرورة لإشاعة الخير، وردِّ الباطل، ومواجهة الفساد**، ومن أراد أن يعرف أثر هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فَلْيَزُرْ أي فرع من الهيئات الموجودة ببلاد الحرمين، وليقرأ ما لديهم من إحصاءات؛ ليعرف عن قرب ضخامة الدور الذي كانت تقوم به في المساحات التي كانوا يعمرونها بمشاهد الفضيلة.

• **جزء من مشكلاتنا: أننا في كثير من الأحيان نصنع المنكر ثم نطالب بهيئة تزيله**، لو وعى كل فرد دوره ومسؤوليته تجاه هذه الشعيرة؛ لأقمنا لدين الله تعالى راية، ولدفعنا بالفساد للهامش مرغماً، ولكن هذا التخلي من جهة، وهذا التعاطي مع المنكرات من جهة أخرى؛ جعلنا نطالب بهيئات تحتسب علينا، وتوقف منكراتنا.. والله المستعان.

• **أثر المنكرات خطير، ومؤذن بعواقب وخيمة إن لم تتدارك هذه الشعيرة**، وقد قال الله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا﴾ [الإسراء: ١٦].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦].

وفي الحديث: قال ﷺ: «**ويلٌ للعَرَبِ من شرٍّ قدِ اقْتَرَبَ، فُتح اليومَ من ردمِ يأجوجَ ومأجوجَ هكذا..**» فقالت زينبُ: يا رسولَ الله، أنهلكُ وفينا الصَّالحونَ؟! قال ﷺ: «**نَعَمْ، إذا كَثُرَ الخَبَثُ**».

وأحاطت لعنة الله تعالى يوماً بالمتخلِّفين عن هذه الشريعة من بني إسرائيل: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى

ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ۝ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٨ ـ ٧٩].

ويوشك الواقع في المنكر والحاضر لمشاهده أن يدعو الله تعالى فلا يستجيب له، قال ﷺ: «**والَّذي نَفْسِي بيدِهِ لتأمُرُنَّ بالمعروفِ، ولتنهوُنَّ عَنِ المُنْكـر، أو ليوشِكَنَّ الله أن يبعثَ عليكُم عِقاباً منه، ثم تَدْعُونَه فلا يُستجاب لَكُم**».

- **هذه الشعيرة تحتاج فقهاً يعين القائم بحدودها على أدائها وفق شريعة الله تعالى**، لا يتجاوز فيها، أو يتخلف عنها؛ فلا بد أن يكون عالماً بأن هذا منكر في شريعة الله تعالى، ولا بد أن يكون عارفاً بأساليب التغيير، وكيف يكون، وما الطرق المناسبة لذلك، ويعي مسألة المفاسد والمصالح؛ بحيث يستطيع أن يوازن في هذه الجوانب؛ فلا يخلط فيها ويبعثر مصالح متحققة على مفاسد موهومة.

الحديث الخامس والثلاثون

لا تَحَاسَدُوا

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَاناً. الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ. التَّقْوَى هَاهُنَا** - وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ - **بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ: أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ؛ دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ**» رواه مسلم.

۞ ۞ ۞

• «**لَا تَحَاسَدُوا**» **الحسد: تمني زوال النعمة عن الغير أو كراهة حصولها للغير ولو لم يتمنَّ زوالها**، وهو من أسوأ الأخلاق، ودليل على ضيق هذه النفوس وأنانيتها، وهو كذلك اعتراض على قدر الله تعالى وقسمته وعدله، وقد قال تعالى: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ﴾ [الزخرف: ٣٢].

• **يختلف ذلك الحسد ويتبعَّض في نفوس الحاسدين**: فمنهم من لا تروق نفسه لمشهد خير عند آخرين، ومنهم من يتمنى زواله، ومنهم من يسعى في زواله وذهابه بكل طريق.

وهو أشد ما يكون بين الزملاء في حقل الدراسة، أو حلق طلب العلم، أو عند أصحاب المهن ذات النشاط الواحد، والأصل أنه يعتري كل إنسان إلَّا مَنْ مَنَّ الله تعالى عليه فَسَلَّ ذلك من قلبه.

• **الحاسد من أنكد المخلوقين في الحياة، ولا يكاد يهنأ بنعمة،** ويعيش مهموماً عمره كله، وكلما رأى خيراً لدى إنسان توافدت عليه الهموم والغموم حتى تلقيه في بحور الشتات.. والله المستعان!.

• **لا يكاد يخلو الحسد من قلب إنسان! ولذا من الفقه وكمال العلم والوعي أن ينتبه الإنسان لقلبه، ويتعرَّف على أمراضه ويتعاهدها بالعلاج بين الحين والآخر.**

ومن أعظم الأدوية: كثرة دعاء الله تعالى والإلحاح عليه، والوقوف ببابه أن يعافيه من أدران هذا المرض، ويعينه على التخلص منه.

وعليه في المقابل: أن يدرِّب نفسه على الفرح بنجاحات من حوله، ويحاول أن يكرمهم أو يشارك في تكريمهم، حتى يتعود القلب مع الزمن على الشعور بكل من حوله، والفرح والرضا بما قسم الله تعالى.

• لا يشكل عليك حديث رسولك ﷺ: «**لا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ**»؛ **فالمراد بالحسد هنا: الغبطة**؛ وهي أن تتمنى مثل ما ناله أخوك من علم أو مال أو صحة أو جاه أو منصب وغير ذلك.

• «**وَلَا تَنَاجَشُوا**» **النَّجْش: الزيادة، وهو رفع قيمة السلعة ممَّن لا يريد شراءها**؛ إما لنفع صاحب السلعة، أو إضراراً بالمشتري، أو كلا الأمرين، وفي هذا من الظلم والاعتداء على أموال الناس وإثراء سخط القلوب والتشاحن والتهاجر ما فيه.

• «**وَلَا تَبَاغَضُوا**»: **لا يبغض بعضكم بعضاً، ما لم يكن هذا البغض في الله تعالى،** ومن أجل الله تعالى؛ فهذا محمود مشكور صاحبه على قدر نيته، وهو بقدره كذلك، ولا ينبغي أن يتعدَّاه.

• «**وَلَا تَدَابَرُوا**»: **لا يولي أحد منكم أخاه دبره، لا حسّاً ولا معنى**، بل الواجب أن يحسن استقباله ويكرمه، ويقوم له بواجبه، ويشعره بأخوته قياماً بحقوق الله تعالى، وقطعاً لطرق الشيطان وخططه.

• «**وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ**»: كأن يأتي شخص إلى آخر اشترى سلعة بألف ريال، فيقول له: عندي لك أفضل منها بتسع مئة.

والشراء كمن اشترى سلعة من صاحب محل بألف، فيأتي آخر إلى البائع ويقول له: أنا أزيدك على ثمن السلعة التي بعتها بألف، **وهذا فيه من العدوان على الآخرين، والجرأة على حقوقهم وظلمهم والتعدي عليهم؛ وهو طريق للتشاحن والتباغض بين المؤمنين.**

• «**وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَاناً**»: استشعروا هذا المعنى، واجهدوا في بنائه في قلوبكم، وقوموا بحقوقه ومتطلباته، وفي المقابل: تجنبوا كل طريق يُفضي بكم إلى النزاع والخلاف والفرقة والشتات.

• «**الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ؛ لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ**»: هذه هي مفاهيم الإسلام وواجب هذه الأخوة وآثارها، فلا يظلم مسلمٌ أخاه أيّاً كان نوع الظلم وشكله وصورته، ولا يخذله في موطن يحتاج فيه إلى نصر وعون وسداد، ولا يسلمه فيتركه بيد من يؤذيه ما دام لديه القدرة على نصره وعونه.. ولا يكذب عليه، ولا يحقره فيسخر منه أو يزدريه في شيء من حاله وشأنه.

• «**التَّقْوَى هَاهُنَا**» وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ؛ **أي: في القلب**، وهو موطن كل شيء، وما تراه على الجوارح إنما هو فرع عمَّا يُدار في القلب، وأثر من آثاره، وإذا صلح القلب صلح العمل، وإذا فسد القلب فسد العمل ولم يبق للإنسان شيء صالح في الحياة.

• «**بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ**»: يكفيه من الشر تحقير أخيه وازدراؤه والاستهزاء به، فإن ذلك مبلغ الشر وغاية السوء.. والله المستعان!.

• «**كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ**»: لا يحل لك من أخيك شـــيءٌ؛ فدمه حرام ولا يحل لك أن تستبيح ذلك بشبه وأوهام عارية عن الحقائق، ومثل ذلك ماله وعرضه لا يحل لك أن تأخذ ماله أو تستطيل في عرضه لمثل ذلك. **والأصل في تحريم كلِّ هذا، وعدم الوقوع فيه: أنه نوع من الظلم والتعدي على حقوق الآخرين.**

• **تهاون بعض الناس بهذه النصوص**، وما هذا القتل، واســتحلال الدماء بأدنى الشــبه إلَّا دليل على ذلك، ومثل ذلك اســتحلال المال؛ تجد من يؤجِّر عاملاً، حتى إذا انتهى من عمله لم يعطه حقه، وظل يطالب لأشهر وسنوات وهو يماطل به؛ يستحل عرق هؤلاء المحتاجين بأدنى الحيل، ومثل ذلك: ما يجري من صور الغش والتحايل على أموال الآخرين، والخوض في أعراضهم والتطاول عليها بدون سبب: «**كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ**».

• **تَحرص الشــريعة على جمع الكلمة، وائتلاف الــرأي، وحصول مقصــود الجماعة بكل وســيلة**، ولذلــك حرمت كل وســائل الخلاف والشقاق، وذكَّرت بأثرها على صاحبها في الدارين.

• **من فقهك وكمــال وعيك وتوفيقك: أن تحرص على كل مشــهد من مشاهد الجماعة وتكثر سواده**، وتحذر من التخلُّف عنه، ولا تكن شاذّاً برأي أو فكرة أو موقف، فالشذوذ موجب للخلاف، ومن ثم موقع بصاحبه للضياع.

• **من الوعي: أن تخلق المجتمعات بين أفرادهــا روابط وتطبيقات تمكنهم من الاندماج مع بعضهم**، وتشجِّعهم على اللُّحمة، وتعينهم على تذكر مواقف الإخاء كل حين.

ومن صور تلك التطبيقات: الصناديق الخيريــة التي تعين الناس في مواقف الحياة، ومشاهد العون في الزواج، ونحو تلك المعاني التي تؤكِّد الأخوة، وتعين على الاجتماع.

الحديث السادس والثلاثون

مَنْ نَفَّسَ عن مُؤْمِنٍ كُرْبَةً

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِماً، سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْماً، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقاً إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ**» رواه مسلم.

۞ ۞ ۞

• «**مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ**»: من وسَّع وخفَّف عن أخيه كربة من كرب الدنيا، وسعى في عون أخيه في هذه الكربة، نفَّس الله تعالى عنه كربة من كرب يوم القيامة.. **وفي ذلك دعوة إلى عون أخيك المسلم، ولا تَكِلْه للظروف والمشكلات وعوائق الدهر والزمان.**

• **التنفيس قد يكون بمال، أو بعلم، أو بفكرة، أو بتصحيح تصوُّر، أو بمفهوم، أو بجاه، أو شفاعة،** أو كل ما يمكن أن يسهم في تفريج كربة؛

فإن ذلك موجب لتنفيس كرب المعين لأخيه في أحلك الظروف، وأشد المواقف حاجة لهذا المعنى.

• **في مرات كثيرة يكون هذا التنفيس بفتوى** كان صاحبها مكروباً في طلاق زوجه، أو مشكلة أخرى، أو موقف مع أمه أو أسرته، أو فتوى في رأي في خلاف مع رئيسه أو رفقة العلم، **وكثيرة هي المرات التي أزاح العلم فيها كرب كثيرين.**

• **وقد يكون التنفيس لطالب فاته الاختبار لنوم أو ظرف طارئ أو نسيان،** فيقتطع المختبر من وقته لهذا المكروب ويختبره، فينفِّس عنه أو يزيل عنه كربته بالكلية؛ كمن تكون هذه المادة هي التي يتوقف عليها تخرجه، ونحو ذلك.

• **وقد يكون هذا التنفيس بتوظيف ولد أسرة معدمة** ليس معها ما يعينها على قضاء حوائجها، فيأتي هذا الولد ويحيل واقع أسرته ربيعاً مع الأيام، فينال ذلك الذي كان سبباً وعداً كريماً بتفريج كربه في الدنيا ويوم القيامة.

• **وقد يكون هذا التنفيس في فك مسائل** في الأصول أو الفرائض أو النحو عند جملة كبيرة من الطلاب، أو في مسائل فقهية وحديثية، أو في مسائل علمية وتخصصات أدبية وإدارية كان يحتاج فيها جواباً للإشكال الذي أورث له الحيرة والقلق والاضطراب في جزء من حياته.

• **الجزاء من جنس العمل؛** فمن نفَّس عن مسلم كربة من الدنيا نفَّس الله تعالى عنه كربة من كرب يوم القيامة.. وهذه سُنَّة جارية في كل شيء؛ سواء كان العمل صالحاً أو سيئاً فالجزاء من جنسه.

• «**مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ**»: لم يأتِ الجزاء هنا مضاعفاً الحسنة بعشر أمثالها؛ لأن **كربة القيامة تعادل أضعافاً مضاعفة من كرب الدنيا**، ولا تقاس بها أصلاً.

• «**وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ**»: ومن يسَّر على ذي إعسار، فأمهله ومد له في الأجل وصبر عليه وأعطاه فسحة حتى يجد ما يغنيه ويسد دَيْنَه؛ يسَّر الله تعالى عليه في الدنيا والآخرة، يسراً عاجلاً يجده في وقته وعمله وأهله وزوجه وفي سائر حياته، ويسراً آجلاً يجده في مواقف الحساب وعرصات القيامة، وقد قال الله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ [البقرة: ٢٨٠].

وفي صحيح مسلم: قصة الرجل الذي كان يداين الناس، وكان يقول لعامله: خذ ما تيسَّر، واترك ما عسر، وتجاوز لعل الله تعالى أن يتجاوز عنا. فلما مات قال الله تعالى لملائكته: انظروا هل له من عمل؟ قالوا: لا، إلَّا أنه كان يداين الناس ويقول لعامله: خذ ما تيسَّر، واترك ما عسر، وتجاوز لعل الله تعالى أن يتجاوز عنا. قال الله تعالى: يا ملائكتي، أدخلوه الجنة، أنا أحق بالتجاوز منه.

• «**وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِماً، سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ**» **أي: أخفى وغطَّى عنه ما يعاب منه**؛ كأن يراه في وضع لا يصلح لأمثاله، أو رأى منه صفة لا يحب أن يعرفها أحد، فسترها عليه؛ ستره الله تعالى في الدنيا والآخرة.

وهذا محمول على إنسان وقعت منه هفوة، وليس موغلاً في هذه الخطايا ممَّن يحتاج أن يبلغ عنهم حتى يكف شرهم، فهذا ليس من هذا،

وعلى هذا تُحمل الآيات والأحاديث الواردة في إقامة الحدود، والقاعدة: أن الجمع بين الأدلة واجب ما أمكن.

• «**وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ**»: فإذا كان العبد في قضاء حاجة أخيه وعونه، كان الله تعالى في حاجته، وأعانه على قضاء أموره، ويسَّرها له، وفي الحديث: «**أحبُّ الناسِ إلى الله أنفعُهم لعباده**».

وهذا العون صوره لا تكاد تنحصر، وضابطها أن كل عون تقدمه لإنسان تقضي له به حاجة لا تتعارض مع دين الله تعالى؛ فهي جالبة لمراضي الله تعالى وعونه وتوفيقه في الدارين.

• «**وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْماً، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقاً إِلَى الْجَنَّةِ**»: كمن يحضر الدروس، ويسمع الشروح ويلخصها، ويشتري الكتب ويقرأ فيها، ويحفظ المتون ويراجعها؛ كل هذه الأسباب موجبة لدخول الجنة؛ سواء أصبح عالماً أم لم يتمكَّن من بلوغ نهاية ذلك الطريق؛ **فمجرد السعي كافٍ في تحقيق هذه الأماني الكبار**.

• «**وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ**»: هذا وعد بأن من اجتمعوا في بيت من بيوت الله تعالى؛ يتذاكرون كتاب الله تعالى، ويتدارسونه بينهم؛ تنزّلت عليهم السكينة؛ أي: الطمأنينة، وشملتهم رحمة الله تعالى، وحفتهم الملائكة؛ أي: صارت حولهم، وذكرهم الله تعالى وباهى بهم ملائكته؛ لعظيم عملهم وشأن مشروعهم.

• **مَنْ فَقِهَ مباهج الاجتماع على كتاب الله تعالى، وأدرك هذا المعنى؛ أقام لهذا المشهد موقعاً في يومه وليلته، أو في أسبوعه، وصنع من خلاله ما يوسِّع في أثره ويزيد من مباهجه.**

وما حاجة الأمة اليوم إلى شيء حاجتها إلى طالب علم يجلس للناس ويدارس معهم هذا القرآن ويتدبره؛ ليعينهم على الحياة.

• «**وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ**»: ومَنْ قلَّ عمله وضعف، وأبطأ به عن موارد الفوز والنجاة؛ لم ينفعه نسبه مهما بلغ، وكم من سادات قريش وأعمام النبي ﷺ ذهبوا حطباً لجهنم مع فائق نسبهم وعظيم مقامهم، **فدل على أن المقام عند الله تعالى يوم القيامة على العمل الصالح لا على الأنساب والجاه والسلطان**، ومن تأمل سيرة بلال وسلمان وعطاء رضي الله تعالى عنهم عرف أثر العمل، وأدرك مناه من الدارين.

الحديث السابع والثلاثون

إنَّ اللهَ كتبَ الحَسَناتِ والسَّيِّئاتِ

عن ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فِيمَا يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ عز وجل، قَالَ: «**إِنَّ اللهَ كَتَبَ الحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ لَهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِ مِئَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ لَهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً**» رواه البخاري ومسلم.

- «**إِنَّ اللهَ كَتَبَ الحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ**»: كتب وقوعها وثوابها أو عقابها في اللوح المحفوظ، وأثبتها فيه.

- «**ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً**»: **الهَمُّ مرتبة فوق حديث النفس ودون العزم**؛ فمن هَمَّ فقط ولم يعملها لوجود مانع خارج عن طوقه وقد بذل الأسباب فتكتب له حسنة كاملة.

- «**فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ لَهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِ مِئَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ**»: **ولا حَدَّ لفضل الله تعالى**، ومن أقبل صادقاً على الله تعالى، وصنع جهده في تلك الأعمال؛ لقي ما عند الله تعالى من جزاء.

• «**وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً**»: هَمَّ بها ثم تركها من أجل الله تعالى: «**إِنَّمَا تركها مِنْ جَرَّائي**»، فيكتبها الله تعالى عنده حسنة كاملة، وهذا فضل الله تعالى وكرمه وواسع فضله وبره وإحسانه، **ولا يُحَدُّ فضل الله تعالى بشيء.**

• «**فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ لَهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً**»: وهذا كذلك من فضل الله تعالى؛ فإنه يجازي عامل السيئة بالمثل، ويجازي عامل الحسنة بالضعف، **ولن يهلك على الله تعالى إلَّا هالك.**

• **تتضاعف الحسنات في الزمان**؛ لحديث: «**ما مِنْ أيامٍ العملُ الصَّالِحُ فيهنَّ أحبُّ إلى الله مِنْ هذه الأيامِ العَشْرِ**» قالوا: ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: «**ولا الجهاد في سبيل الله**».

ومن ذلك: ما ورد في فضل ليلة القدر.

وتتضاعف بالمكان؛ قال ﷺ: «**صلاة في مسجدي هذا أفضلُ مِنْ ألفِ صلاةٍ فيما سواه إلَّا المسجدَ الحرامَ**».

وتتضاعف باعتبار العمل: «**فما تقرَّبَ إليَّ عبدي بشيءٍ أحبَّ إليَّ ممَّا افترضتُ عليه**».. ونحو ذلك ممَّا هو واضح بيِّن بدليله وشاهده.

• **من فقهك وتوفيقك: أن يدفعك هذا الحديث وأمثاله إلى حبِّ الله تعالى، والتعلُّق به، والاستحياء من معصيته، وتعظيمه**، ولا تحملك بحال على الاستهانة بمعصيته، والتهاون في حدوده؛ فإن ذلك ليس من أخلاق المؤمن في شيء، وقد جرى عرف الناس أن من أكرمك زاد حياؤك منه، وتجمَّلت له بكل شيء.

الحديث الثامن والثلاثون

مَنْ عَادَى لِي وَلِيّاً

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيّاً فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ المُؤْمِنِ، يَكْرَهُ المَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ**» رواه البخاري.

- «**مَنْ عَادَى لِي وَلِيّاً فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ**»: اتخذه عدوّاً له.

وأولياء الله تعالى: هم كل مؤمن تقي، ومن اتخذ وليّاً من أولياء الله تعالى عدوّاً فقد آذنه الله تعالى بالحرب؛ أي: أعلن عليه الحرب، وفي ذلك من إكرام الله تعالى وحبه لأهل الإيمان وأصحاب التقوى ما فيه.

- **تختلف هذه الولاية في درجاتها**؛ بحسب قوة إيمان الولي وقيامه بحقوق الله تعالى وضعف ذلك، وعلى قدر هذا المعنى تكون ولاية الله تعالى له قوة وضعفاً؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [الحج: ٣٨]؛ فدفعه ودفاعه بحسب قوة إيمانه وضعفه.

• **كَرَمُ أهل الإيمان عند الله تعالى**؛ للدرجة التي يتولَّى الله تعالى عنهم حرب أعدائهم ومواجهتهم وخذلانهم: «**مَنْ عَادَى لِي وَلِيّاً فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ**».

ومن عرف هذا المعنى ووعاه حقَّ الوعي، أقبل على طاعة الله تعالى ومراضيه: «**مَنْ عَادَى لِي وَلِيّاً فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ**».

• **من توفيق الله تعالى لإنسان: أن يرعى حقوق أهل الإيمان**، ويطيع الله تعالى فيهم، ولا يتعرَّض لهم بسوء؛ فيتعرض لوعيد الله تعالى وسخطه وعقابه: «**مَنْ عَادَى لِي وَلِيّاً فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ**».

ومن تأمل أنه إذا ناصب أحداً من هؤلاء العداء ناصبه الله تعالى الحرب؛ أدرك نفسه قبل الفوات.

• «**وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ**»: **الفرائض أعظم حقوق الله تعالى**، ومن الفقه الإقبال عليها ورعايتها، والاهتمام بها وتعظيمها؛ فإن منازل ولاية الله تعالى أول ما تقع عليها.

وهذه الفرائض تحتاج رعاية في حضورها، والقيام بمشاهدها في أوقاتها، وفي خشوعها وإجلال الله تعالى من خلالها.

• «**وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ**»: نوافل العبادة مُفْضِية بصاحبها إلى محبة الله تعالى، ومن فقه أثرها وعلم ما تبلغه من آمال بذل فيها كل ممكن.

• **من فقه المؤمن: أن يكون له وِرْدٌ ثابت في كل عبادة، لا يتخلَّف** عنها البتة في كل أركان الإسلام، وهي عادة السلف: «**وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ**».

ومثل ذلك: العمرة، وتلاوة القــرآن، والذكر، وصلة الأرحام، وطلب العلم، وغيرها من الأعمال.

• «**فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَــمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِــشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِــي بِهَا**»: فــإذا أحبه الله تعالى بمحافظته على الفرائض، واســتكثاره من النوافل؛ وفَّقَهُ الله تعالى فسدده في قوله وفعله، ويسَّر له اســتعمال هذه النعم فيما يرضيه، فلا يسمع إلَّا ما يحب الله تعالى، ولا يرى ويشاهد إلَّا ما يرضي الله تعالى، ولا يستعمل بيده إلَّا ما أحل الله تعالى ويرضيه، ولا يمشي بقدمه إلَّا إلى كل خير.

• «**وَإِنْ سَــأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ**»: ولئن ســأل الله تعالى ممَّا ينفعه في دينه ودنياه، أعطاه الله تعالى ولم يردَّه، **وهذا ما لم يكن إثماً أو قطيعة رحم أو ظلماً**؛ كما ورد في الحديث، وتلك منزلة كبيرة ورفيعة وعظيمة لا ينالها إلَّا أصحاب الولايات.

• «**وَلَئِنِ اسْــتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ**»: إذا اســتعاذ هذا الولي ربه من شيء؛ أجابــه الله تعالى لذلك، وأعــاذه ممَّا اســتعاذ منه، **وهــي كذلك منزلة لا يستحقها إلَّا مَنْ بينَه وبين الله تعالى مثل هذه المقامات.**

• «**وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَــيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَــنْ نَفْسِ المُؤْمِنِ، يَكْرَهُ المَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَــاءَتَهُ**»: **وتردد الله تعالى فــي الحديث مردُّه لتعارض ما قدَّر الله تعالى وما يحبُّه العبد**؛ فالعبد الولي يكره الموت، والله تعالى يكره قبض روحه، ولكنه أمر مكتوب محتوم عليه لا بد من وقوعه ونفاذه.

ولا يأتي على بالك أن هذا التردد هو ما تراه في المخلوق من جهل العاقبة، **ولكنه تردد يليق بجلال الله تعالى لا يشبه تردد المخلوقين.**

• **إذا تأملت هذا الحديث رأيت مشاهد من إكرام الله تعالى وإجلاله للمؤمن**؛ للدرجة التي يحبه فيدافع عنه، ويتولى الحرب التي يشنها عليه أعداؤه، وما يزال يحتفي به حتى إنه ليتردد جَلَّ في علاه عن قبض روحه لمثل هذه المعاني الجليلة في واقعه.

• **المعرفة الناهضة هي تلك المعرفة التي تتحوَّل إلى تطبيقات في حياة صاحبها**، ومن قرأ هذا الحديث وتأمله أقبل على العبادة، وصنع لها من الأوراد في حياته، وكاثر فيها حتى يبلغ هذه الأحلام.. ومن لم تحرِّكه هذه النصوص فما لجرح بميت إيلام!..

• **لا أعلم معنى يؤدي إلى قصة حب كهذا المعنى الذي يدير شأنه الإنسان من خلال يومه وليلته**، ومن عرف حقيقة ما في هذا الحديث لم يتخلَّف لحظة، ومن لم ينهزه هذا الحديث إلى هذه المعاني الكبار فعليه أن يتحسس واقعه؛ فلعل ذلك أثر من ذنب، والله المستعان!..

الحديث التاسع والثلاثون

إِنَّ اللهَ تجاوَزَ عَنْ أُمَّتِي الخَطَأَ وَالنِّسْيَانَ

عنِ ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: أنَّ رسولَ الله ﷺ، قالَ: «**إِنَّ اللهَ تجاوَزَ لِي عَنْ أُمَّتِي: الخَطَأَ، والنِّسْيَانَ، وما اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ**» حديث حسن، رواه ابن ماجه والبيهقي وغيرهما.

۞ ۞ ۞

• «**إِنَّ اللهَ تجاوَزَ لِي**»: **هذا التجاوز من خصائص هذه الأمة**، وإلَّا فغير هذه الأمة إذا همَّ العبد بحسنة لم تكتب له حسنة، وإذا همَّ بسيئة فتركها لم تكتب له حسنة، ومن ذلك: التجاوز عن الخطأ والنسيان والإكراه.

وقارئ هذه الشريعة سيرى مواطن من إكرام هذه الأمة، ومعالم من فواتح التوفيق لها، وإذا أراد الله تعالى شيئاً بسط له كل شيء.

• **سعة رحمة الله تعالى بعباده، ولطفه بهم**؛ حيث رفع عنهم الإثم والحرج عند حدوث الخطأ والنسيان والإكراه: «**إِنَّ اللهَ تجاوَزَ لِي عَنْ أُمَّتِي: الخَطَأَ، والنِّسْيَانَ، وما اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ**».

ولا يتصوَّر إنسان هذه السعة حتى يتأمل كيف لو أن الله تعالى أجرى عقابه على الخطأ والنسيان!..

• كل المحرمات التي تقع في العبادات وغيرها إذا فعلها الإنسان جاهلاً أو ناسياً أو مكرهاً؛ **فلا شيء عليه فيما يتعلق بحق الله تعالى، بخلاف حق الآدمي**؛ فهو مضمون بكل حال: «**إنَّ اللهَ تجاوَزَ لِي عَنْ أُمَّتِي: الخَطَأَ، والنِّسْيَانَ، وما اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ**».

وهذا من التوازن الذي ترعاه الشريعة؛ فحقوق الله تعالى مبناها على المسامحة، وحقوق المخلوقين مبناها على المشاحة، فترفق به الشريعة، فلا تحمله تبعات الخطأ والنسيان في حقوق الله تعالى، ولا تضيع حقوق الآخرين من أجل ذلك.

• **يُسْر هذه الشريعة، ولطفها وسماحتها، وخلوها من التعقيد**: «**وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ**».

ولو قرأ الغرب هذه الشريعة قراءة واعية من مصادرها الصحيحة؛ لجاؤوا إليها وحداناً وزرافات. والله المستعان!..

الحديث الأربعون

كُنْ في الدُّنْيا كأنَّكَ غَرِيبٌ

عنِ ابنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قال: أخَذَ رسولُ الله ﷺ بِمَنْكِبِي، فقال: «**كُنْ في الدُّنيا كَأَنَّكَ غريبٌ، أو عابرُ سَبيلٍ**».

وكانَ ابنُ عُمَرَ رضي الله عنهما يقولُ: إذا أمْسَيْتَ فلا تنتظرِ الصَّباحَ، وإذا أصبحتَ فلا تنتظرِ المَسَاءَ، وخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، ومِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ. رواه البخاري.

- **أثر المربي في توجيه من يربيه:** (أخَذَ رسولُ الله ﷺ بمنكبي).

وفي هذا الفعل من الأثر النفسي والمشاعري ما يثير كوامن النفوس، ويجعل فاعلية الوصية تبلغ أثرها الكبير في نفس المتربِّي.

ما حاجة المتربِّين اليوم إلى شيء حاجتهم إلى أرواح المربين ومشاعرهم، قبل حاجتهم إلى توجيهاتهم وأحاديثهم ونصائحهم.

- **الدعوة والتربية مشاعر ووجدان صاحبها، وهي في مرات كثيرة تقبل بالمتربِّين إلى هذه المعاني قبل أن يُقبل بهم التوجيه.**

إذا عنيت بقلب المتربي ومشاعره ووجدانه، وشعر بك، أقبل إليك

بكليته، ومنحك قلبه ومشاعره، وأقبل يتهادى إلى كثير من النعيم الذي تدعوه إليه بمجرد حديثك وتذكيرك.. فيا أيها المربون هبوا من مشاعركم ووجدانكم لمن تربونهم، قبل أن تُلقوا إليهم بشيء من مواعظ العلم.

• **من فقه النفوس في بداية اللقاء بها: أن تجهد في بناء مشاعرها وتوجيهها قبل أن تعاملها بشيء من العلم والفكر**؛ لأن قابلية أفكارك وقف على صناعة مشاعر المتلقين.

وهي رسالة للذين يخرجون بزمر الشباب في لقاءات ورحلات طويلة: أن يجعلوا راية المشاعر هي الأصل، فجهدك في رعايتها يجب أن يكون أضعاف جهدك في بناء الأفكار والمفاهيم في البدايات، والأرض القابلة للغراس تهيج بالزرع في زمن يسير، والأرض الصلبة لا تكاد تنبت إلَّا بعد زمن طويل وعناء كبير.

• **حُسْن تعليم النبي ﷺ**؛ فقد ضرب مثلاً واضحاً لإدراك الحقيقة التي يريد إيصالها للمتلقي: «**كُنْ في الدُّنيا كَأَنَّكَ غريبٌ، أو عابرُ سَبيلٍ**».

وهذا المشهد معروف وكافٍ في إيصال الرسالة، ولا يحتاج إلى جهد لفقهه وفهمه.

وعلى الدعاة والمصلحين أن يرموا بثقلهم في هذا المعنى، وأن يكثروا من الأمثلة التطبيقية التي تعين على تقريب مقصودهم في العلم، حتى يلقى ما يقولون الإجلال والاحتفاء.

• **استشعار رحلة هذه الحياة ودور الإنسان فيها، وأنه بمثابة الغريب في أرض لا يعرف أهلها**، ولا يأخذ منها إلَّا ما يتزود به ليومه فحسب: «**كُنْ في الدُّنيا كَأَنَّكَ غريبٌ، أو عابرُ سَبيلٍ**».

• **ينبغي للعاقل ألَّا يركن إلى الدنيا**، وأن يأخذ منها ما يبلغه الدارَ الآخرة فحسب: «**كُنْ في الدُّنيا كَأَنَّكَ غريبٌ، أو عابرُ سَبيلٍ**».

نحن في زمان توسعت فيه الدنيا إلى حدٍّ كبير، وأقبل إليها كثيرون، وانشغلوا بها عن أعظم المقاصد التي جاؤوا من أجلها، ومن قرأ هذه الوصية بوعي أدرك معناها بعمق: «**كُنْ في الدُّنيا كَأَنَّكَ غريبٌ، أو عابرُ سَبيلٍ**».

• **كثيرون يقرؤون هذا الحديث، ومع ذلك تراهم يعودون للدنيا حتى بعد سن الرشد!.**

فهذا ترك مشروعه وفتح له بوفيه، وذاك يرعى ضأناً، وثالث غارق في المزارع، ورابع مشغول بالتجارة الإلكترونية، وخامس يبيع ويشتري في أسواق العامة، وليتهم حين ذلك صرفوا لها جهداً من حياتهم، وعاشوا على أفكارهم ومشاريعهم فيما بقي، ولكنها الخسارة التي لم تُبْقِ لها وقتاً، ولم يعودوا يحسنون الالتفات إلى ما ينفعهم في الدارين.

• **يعلِّمنا هذا الحديث قضية الاستثمار في حياة كل عاقل**، وأن الواجب على كل مؤمن أن يعي قصر هذه الحياة، وأنها وسيلة لغايات الأخرى الكبرى: «**كُنْ في الدُّنيا كَأَنَّكَ غريبٌ، أو عابرُ سَبيلٍ**».

الاستثمار الحقيقي: أن تجد فكرة ناهضة، ومشروعاً بهيجاً يتوافق مع قدراتك وإمكاناتك، وتستوعب طاقاتك فيه، وتهب له روحك ومشاعرك ووقتك ومالك، حتى تقيم فكرة تحيا بها الأجيال بعد رحيلك.

• «**إذا أَمْسَيْتَ فلا تنتظرِ الصَّباحَ، وإذا أصبحتَ فلا تنتظرِ المَسَاءَ**»: وهذه وصية ابن عمر رضي الله تعالى عنهما، وهي أثر من وصية رسول الله ﷺ: كن متأهِّباً للقاء الله تعالى، ولا تنشغل بشيء غير هدفك ومشروعك وغايتك التي جئت من أجلها.

كم من واحد ما زال يخرج من بيته وفي مشـــهد سفره ويده على قلبه خوفاً من حوادث الزمان، ولو فقه هذا الحديث لاســتعدَّ لكل المواقف، ورابط علـــى الصالحات، حتى إذا ما جاء المـــوت صنع كما صنع الأول الذي كان يردد في ليلة وفاته: غداً نلقى الأحبة، محمداً وحزبه. أو الآخر الذي كان يقول عند مشهد الموت: مرحباً بحبيب جاء على فاقة!.

• «**وخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِـــكَ، ومِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ**»: **وهذه الوصية كذلك في فقه أثر الاستثمار الحقيقي**، وأن من كمال وعي الإنسان وفقهه وتوفيق الله تعالى أن يســتثمر صحته، وأن يعتني بأيام حياته، وألَّا يفوِّت الفرص، وأن يكون يَقِظاً في كل حال ما أمكنه ذلك.

• لو لم يكن من أثر هذه المعاني التي أرشد إليها رسولُ الله ﷺ إلَّا حديث: «**إذا ســافرَ العبدُ أو مرضَ؛ كُتِــبَ له مِنَ العملِ مــا كان يعملُ صحيحاً مُقِيمــاً**» لكان كافياً، فكيف به وهو يُغري باســتثمار اللحظات، وإدراك كلِّ ممكن قبل الفوات.

• **من فقهك وكمال وعيك: أن تجهد في العمل، وتقوم بحظوظه في حياتك وأنت تعي أن أياماً من عمــرك تحتاج إلى هذا المعنى الكبير في قادم الأيام**! ولعلك رأيت مســنّاً في آخر عمره توقف كثير من عمله، أو مريضاً، أو مسافراً في أرض غربة؛ كم كانوا يحتاجون إلى رواء العمل في أيام الفرص والصحة والعافية؟!.. والله المستعان!.

الحديث الحادي والأربعون

لا يُؤْمِنُ أحَدُكم حتَّى يكونَ هَوَاه تَبَعاً لِمَا جِئْتُ به

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ رضي الله عنهما، قالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لا يُؤْمِنُ أحدُكم حتَّى يكونَ هَوَاه تَبَعاً لِمَا جِئْتُ به**» حديث صحيح، رويناه في كتاب الحجة بإسناد صحيح. وصححه أحمد شاكر رحمه الله.

۞ ۞ ۞

• «**لا يؤمنُ أحدُكم حتَّى يكونَ هَوَاه تَبَعاً لِمَا جِئْتُ به**»: لا يؤمن الإيمان الكامل، حتى تكون رغباته تبعاً لمنهج الله تعالى وسُنَّة رسوله ﷺ، كما قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥].

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ [آل عمران: ٣١].

وقال ﷺ: «**لا يؤمنُ أحدُكم حتَّى أكونَ أحبَّ إليه مِنْ نَفْسِه، وَوَلَدِه، وَأَهْلِهِ، والنَّاسِ أجْمَعينَ**».

وقال ﷺ: «**ثلاثٌ مَنْ كنَّ فيه وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الإيمانِ.. أنْ يكونَ اللهُ ورسولُه أحبَّ إليهِ مِمَّا سِوَاهما**».

• **الواجب على المؤمن إجلال شريعة الله تعالى والاحتفاء بها وتقديمها على كل شيء: «لا يُؤْمِنُ أحدُكُم حتَّى يكونَ هَوَاه تَبَعاً لِمَا جِئْتُ به»** فإن ذلك هو الحياة الحقيقية لكل عاقل.

• **الحذر من تقديس العقل فوق مقامه، وتقديمه على الوحي؛** فالأصل الوحي، والعقل تبعاً لما فيه، ومن جعل من عقله حاكماً على شريعة الله تعالى فقد ضل: **«لا يُؤْمِنُ أحدُكُم حتَّى يكونَ هَوَاه تَبَعاً لِمَا جِئْتُ به».**

• **الهوى من أصل الإنسان، ومنه ما هو محمود:** وهو ما وافق شريعة الله تعالى؛ كالذي يحب العلم، ويجد هواه في شريعة الله تعالى وسُنة نبيه ﷺ، ويفرح بذلك فرحاً شديداً. **ومنه ما هو مذموم:** وهو ما كان باطلاً ومخالفاً لشريعة الله تعالى.

• **وجوب تحكيم شريعة الله تعالى في كل شيء: «لا يُؤْمِنُ أحدُكُم حتَّى يكونَ هَوَاه تَبَعاً لِمَا جِئْتُ به».**

وما لم تجرِ شريعة الله تعالى في شأنك كله، وإلَّا فلا قيمة لها في شيء من حياتك.

• **كل المعاصي والانحرافات التي يقع فيها الإنسان هي أثر من تقديم الهوى، وغلبته في تلك المواطن،** كما قال الله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ [القصص: ٥٠].

• **صور وتطبيقات أثر الهوى في حياة الإنسان تجلُّ عن الوصف،** وكم مرة تقدَّم الهوى على شريعة الله تعالى، وجهد صاحب الهوى في تشريع ما يفعله، وإخراجه في ثوب الحق: **«لا يُؤْمِنُ أحدُكُم حتَّى يكونَ هَوَاه تَبَعاً لِمَا جِئْتُ به».**

• كان يفتي بأنه لا يجوز لأحد من العالمين أخذ شيء من اللحية مثلاً، ثم رقَّ دينه فبلغ جهده في أدلة يكاثر بها تلك الحال التي لم يعد يجد مناصاً منها، واحتاج إلى مالٍ وتحولت الفتوى التي كان يرددها بالتحريم إلى الجواز، والمسألة فيها خلاف، والتيسير منهج نبوي، وتوسَّع في مباحات كان يتحرَّج من الحديث فيها على الأقل إلى تشريعها والاستدلال عليها، **وهكذا هي قصة الهوى في تاريخ صاحبه والمبتلى به مع الزمن.**

• **من تعلق بالله تعالى، وجهد في تعظيم شعائره تعالى، وعني بالفرائض، وأكثر من النوافل، استثقل كل صور الهوى،** وتقلَّصت صوره في واقعه، إلى أن يتلاشى من حياته أو يكاد: «**لا يُؤْمِنُ أحدُكُم حتَّى يكونَ هَوَاه تَبَعاً لِمَا جِئْتُ به**».. والله المستعان، وعليه التكلان، ومنه الحول والطول.

الحديث الثاني والأربعون

يا بْنَ آدمَ إنَّكَ ما دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غفرتُ لك

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يقولُ: «**قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا بْنَ آدَمَ، إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي، غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلَا أُبَالِي. يَا بْنَ آدَمَ، لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ، ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي، غَفَرْتُ لَكَ وَلَا أُبَالِي. يَا بْنَ آدَمَ، إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا، ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئاً، لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً**» رواه الترمذي وقال: حديث حسن.

- من أعظم أسباب إجابة الدعاء: حسن الظن والرجاء بالله تعالى: «**يَا بْنَ آدَمَ، إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي، غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلَا أُبَالِي**».. وقال ﷺ: «**ادْعُوا الله وأنتم مُوقِنونَ بِالإِجَابَةِ**».

- **الرجاء وحسن الظن بالله تعالى فرع عن تعظيم الله تعالى وإجلاله، ومعرفة أسمائه وصفاته: «ادْعُوا الله وأنتم مُوقِنونَ بِالإِجَابَةِ».**

وما حاجة مؤمن اليوم لشيء حاجته إلى قراءة باب الأسماء والصفات بإمعان.

الرجاء لا يأتي إلَّا من خلال معرفة ما عند الله تعالى، وسؤال الرحمة كذلك لا يأتي إلَّا من خلال قراءة نصوص الأسماء والصفات في هذا

الباب، وقُلْ مثل ذلك في كثير من المعاني التي يجب قبل أن نأتي إليها أن نقرأ عنها، وتتعلَّق بها مشاعرنا، وندرك مباهجها وآثارها في حياتنا، ثم نأتي إليها والشوق يملأ قلوبنا ويدفع بمشاعرنا إلى أحداثها.

• **فضيلة الاستغفار، وأنه مؤذن بذهاب الذنوب ومحو الخطايا**، وليس المراد ما يردده العبد بلسانه، وإنما ما قام أولاً في قلب صاحبه من الخوف والوجل، وخشية الله تعالى، وتوقع عذابه العاجل له، وحرمانه من التوفيق، وكان اللسان تابعاً لذلك، وكان متبوعاً بترك المعصية، والتباعد عنها، ومباغضة طريقها: «**يَا بْنَ آدَمَ، لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ، ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ وَلَا أُبَالِي**».

• **أهمية التوحيد، وعظيم أثره في واقع صاحبه**، وأنه جالب للخيرات، موجب لغفران الذنوب: «**يَا بْنَ آدَمَ، إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا، ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئاً، لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً**».

ـ **التوحيد الذي يراد له أن يبلغ قلب صاحبه**: أن يعلم أن الذي يهب ويمنع، ويعطي ويبسط ويقدر، ويمرض ويصح؛ هو الله تعالى، وأن كل آمال الإنسان التي يريدها قد تأتي في لحظة: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢].

ـ **التوحيد الذي يُراد له أن يعيش قلب صاحبه به ويحدث فيه أثراً**: هو إدراك الإنسان لهذه القضية الكبرى: «**إنَّ الله كتبَ مقاديرَ الخلقِ قبل أن يخلقَ السَّمواتِ والأرضَ بخمسين ألف سنة**» فلا يجري في الحياة إلَّا ما جرى به قلم القدر.

ـ **التوحيد الذي يراد له أن يأخذ حظه من نفوسنا**: هو إيماننا بقول

رسولنا ﷺ: «**واعلم أنَّ ما أصابَكَ لم يكن ليخطئكَ، وَما أخطأك لم يكنْ ليصيبَكَ**» رُفعت الأقلام، وجفت الصحف.

• **خطر الشرك وأثره الكبير**، وأنه مفضٍ إلى ضياع صاحبه، وحاجب له عن غفران الذنوب: «**يَا بْنَ آدَمَ، إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا، ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئاً، لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً**».

ربما لو حدَّثت إنساناً عن هذه القضية لم يُعِرْها اهتماماً لقناعته أنه لم يعد للشـــرك وجود في حياة كثيرين، وفاته أنه باسط أشكاله وصوره في حياة كثيرين.

• **لو تأمل الإنســـان ما يقوم في قلبه لغير الله تعالى خوفاً وخشـــية؛ لعرف أنه أحوج ما يكون إلى الاســـتعاذة من الشـــرك، والالتجاء إلى الله تعالى، والخوف منه**، وكم من متردد على بيوت الله تعالى وهو واقع في أعظم الخطايا وأكثر الذنوب أثراً على حياته!..

• **خطايا القلوب كبائر**! ومن عرف قدر الله تعالى لم يهب شيئاً من قلبه للمخلوقين! وكم من أمـــراض وأخطار تعتـــري قلوبنا ونحن عنها غافلون، والله المستعان!..

تم هذا المصنَّف بحمد الله تعالى في ليلة الخميس: الخامس من شهر رمضان لعام (١٤٣٨هـ)، في السحر، الساعة الثالثة فجراً، ومن الله تعالى العون والتوفيق.

الفهرس

• المقدمة ٥

ـ الحديث الأول: إنّما الأعمالُ بالنِّيّات ٧

ـ الحديث الثاني: بيانُ الإسلامِ والإيمانِ والإحسانِ ١٩

ـ الحديث الثالث: بُنِيَ الإسلامُ على خَمْسٍ ٣٠

ـ الحديث الرابع: إنَّ أحَدَكم يُجْمَعُ خَلْقُه في بطنِ أمِّه ٣٧

ـ الحديث الخامس: إبْطَالُ البِدَعِ والمُنْكَرات ٤٨

ـ الحديث السادس: الحَلال بَيِّنٌ والحرامُ بَيِّن ٥٢

ـ الحديث السابع: الدِّينُ النَّصِيحَة ٥٨

ـ الحديث الثامن: حُرْمَةُ المُسْلم ٦٥

ـ الحديث التاسع: ما نَهَيْتُكم عنه فَاجْتَنِبوه ٦٩

ـ الحديث العاشر: إنَّ الله طَيِّبٌ لا يقبلُ إلَّا طيِّباً ٧٤

ـ الحديث الحادي عشر: دَعْ ما يَرِيبُكَ إلى ما لا يَرِيبُك ٧٩

ـ الحديث الثاني عشر: مِنْ حُسْنِ إسْلامِ المَرْءِ تَرْكُه مَا لا يَعْنِيه ٨٢

ـ الحديث الثالث عشر: لا يُؤمنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيْهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ ٨٦

ـ الحديث الرابع عشر: لا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مسلمٍ إلَّا بإحْدى ثلاثٍ ٩١

ـ الحديث الخامس عشر: مَنْ كانَ يُؤمنُ بالله واليومِ الآخرِ فليقلْ خيراً ٩٣

ـ الحديث السادس عشر: لا تَغْضَبْ ٩٨
ـ الحديث السابع عشر: إنَّ الله كتبَ الإحْسَانَ على كلِّ شيء ١٠١
ـ الحديث الثامن عشر: اتَّقِ الله حيثُما كنتَ ١٠٥
ـ الحديث التاسع عشر: يا غلامُ إنِّي أعلِّمكَ كَلِماتٍ ١١٠
ـ الحديث العشرون: إنَّ ممَّا أدْرَكَ النَّاسُ من كلامِ النبوَّةِ الأولى ١١٧
ـ الحديث الحادي والعشرون: قُلْ: آمنتُ بالله، ثمَّ اسْتَقِمْ ١٢٠
ـ الحديث الثاني والعشرون: أرأيتَ إذا صليتُ المكتوباتِ ١٢٤
ـ الحديث الثالث والعشرون: الطُّهُورُ شَطْرُ الإيْمَانِ ١٢٦
ـ الحديث الرابع والعشرون: إنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ على نَفْسِي وجَعَلْتُه بينكم مُحَرَّماً ١٣٣
ـ الحديث الخامس والعشرون: ذَهَبَ أهلُ الدُّثورِ بالأُجور ١٤١
ـ الحديث السادس والعشرون: كلُّ سُلَامى مِنَ النَّاسِ عليه صَدَقَة كلَّ يوم ١٤٥
ـ الحديث السابع والعشرون: البِرُّ حُسْنُ الخُلُق ١٤٩
ـ الحديث الثامن والعشرون: أُوصِيكُمْ بِتَقْوى الله والسَّمْعِ والطَّاعَة ١٥٣
ـ الحديث التاسع والعشرون: أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الجنَّةَ ويُباعِدُني عنِ النَّار ١٥٩
ـ الحديث الثلاثون: إنَّ الله فَرَضَ فَرائضَ ١٦٥
ـ الحديث الحادي والثلاثون: ازْهَدْ في الدُّنيا يُحِبَّكَ الله ١٦٧
ـ الحديث الثاني والثلاثون: لا ضَرَرَ ولا ضِرَارَ ١٧١
ـ الحديث الثالث والثلاثون: لو يُعْطَى النَّاسُ بِدَعْوَاهم ١٧٢
ـ الحديث الرابع والثلاثون: مَنْ رَأى مِنْكُم مُنْكَراً فَلْيُغَيِّرْه ١٧٤
ـ الحديث الخامس والثلاثون: لا تَحَاسَدُوا ١٧٩
ـ الحديث السادس والثلاثون: مَنْ نَفَّسَ عن مُؤْمِنٍ كُرْبَةً ١٨٣
ـ الحديث السابع والثلاثون: إنَّ الله كتبَ الحَسَناتِ والسَّيِّئاتِ ١٨٨

ـ الحديث الثامن والثلاثون: مَنْ عَادَى لِي وَلِيّاً..... ١٩٠
ـ الحديث التاسع والثلاثون: إنَّ اللهَ تجاوَزَ عَنْ أمَّتِي الخَطَأ وَالنِّسْيَانَ..... ١٩٤
ـ الحديث الأربعون: كُنْ في الدُّنْيا كأنَّكَ غَرِيبٌ..... ١٩٦
ـ الحديث الحادي والأربعون: لا يُؤْمِنُ أحَدُكم حتَّى يكونَ هَوَاه تَبَعاً لِمَا جِئْتُ به..... ٢٠٠
ـ الحديث الثاني والأربعون: يا بْنَ آدمَ إنَّكَ ما دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غفرتُ لك ٢٠٣
• الفهرس..... ٢٠٦